شاعر البوادي الخضر
عبد العزيز سعود البابطين
سيرته وشاعريته

محمد رضوان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : **شاعر البوادي الخضر**

المـــــؤلف : محمد رضوان

رقــم الإيداع : 2849/ 2019

الطبعة الأولى 2019





يقـــرأ العشَّـــاقُ شـــعري فيـــه نـــوحي وعـــذابي

فيميـــلُ القلـــب أنّـــي لم أُبـــح إلا بمـــا بـــي

ياليـــالي الـــدَّهْر وافـــت ليلـــةُ العمِـــر بمـــا بـــي

إن أيـــامي تقضَّـــتْ في شـــتاتٍ وانتهـــابِ

عبد العزيز سعود البابطين

مقدمة

▪ محمد رضوان

ناقدًا ومؤرخًا أدبيًا

بقلم د. ماهر شفيق فريد

يسلك الأديب الناقد محمد رضوان في دراساته النقدية التاريخية لأعلام الشعر العربي المعاصر منهجًا وجدانيًا يجمع بين التحليل الموضوعي ، والاستجابة العاطفية ، يغلب عليها طابع الذاتية ، فهو يحرص على أن نتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل أو كما يقول عنه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد (1905-1980) في مجال تقيمه لمنجهه الوجداني :

«حين يتولى محمد رضوان كتابه سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه فتجيء ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى » .

فالنقد – وإن ضرب بسهم من مناهج العلم المنضبطة – يظل أقرب إلى الفن ، أنه كما قيل بحق إبداع مواز .

ومحمد رضوان في دراساته التحليلية النقدية التأريخية كان ناقدًا فنانًا في رهافة حسه وتفتحه على التجارب الإبداعية المختلفة .

فنانًا في فطنته إلى ما تقوله السطور وما تسكت عنه .

فنانًا في قدرته على التمييز بين الجواهر الأصيلة والجواهر الزائفة .

وقد أصدر كتبًا عن شاعر الكرنك أحمد فتحي ، وشاعر الأطلال إبراهيم ناجي وشاعر الجندول علي محمود طه المهندس ، كما خص صالح جودت بدراسة أخرى معمقة عنوانها «شاعر النيل والنخيل» كما أصدر عنه دراسة بعنوان «قيثارة مصر : صالح جودت» كما قام بجمع وتحقيق ودراسة دواوين علي محمود طه ، وصالح جودت وأحمد فتحي وعبد الحميد الديب [1].

ويرتد محمد رضوان إلى الوراء قليلاً في الزمن فيخرج طبعة محققة لديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب (1898 – 1943) قدم لها فاروق شوشة (المجلس الأعلى للثقافة 2000) وكان رضوان قد أخرج عنه كتابًا عنوانه «فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب» (مركز الراية بالقاهرة 1999) ، وفي مقدمته للديوان – وهي تستحق أن تقوم دراسة قائمة برأسها – استعرض سيرته وبؤسه وصعلكته وإدمانه الخمر ثم الكوكايين وما عاناه من حرمان وزواجه ، ووطنيته ، وحياته في الوظيفة . ثم نهايته المؤسية بعد حياة قصيرة في حساب الزمن ولكنها أنتجت شعرًا نابضًا «بالحرارة والصدق والعذاب» .

وإذا تركنا كتابات محمد رضوان عن كتاب أفراد فربما كان خير مدخل إلى فكره النقدي هو كتابه الممتع المسمى «رحلتي مع القلم » وقد صدر في مسقط ، عاصمة سلطنة عمان سنة 1984 ، وقدم له السفير الشاعر الأديب أحمد عبد المجيد ، وكتابه أشبه بسيرة أدبية ، أو ترجمة لجوانب من حياته من منظور الأدب ، وذلك منذ شب في قرية «الجمالية» بمحافظة الدقهلية المطلة على البحر الصغير حتى بدأ يكتشف عالم القراءة السحري ، ثم أقام بالقاهرة ، والتحق بكلية دار العلوم حيث كانت فترة دارسته الجامعية بها (1966– 1970) من أخصب سنوات حياته وأحفلها بتجارب الأدب والفن ، ويروى لنا كيف اتجه إلى أدب السير والتراجم منذ وقع في يده ديوان إبراهيم ناجي «ليالي القاهرة» في عام 1962 تقريبًا، ثم قرأ كتاب صالح جودت عن «ناجي، حياته وشعره ».

(1) د: ماهر شفيق فريد : ناقد أدبي ومترجم وقاص (مواليد القاهرة 1944) من مؤلفاته : في الشعر الإنجليزي المعاصر ، ممالك الذهب – في الأدب والنقد .

ويسجل محمد رضوان ذكرياته عن أعلام عرفهم مثل أنور الجندي وتوفيق الحكيم وأحمد حسن الزيات وصالح جودت ويوسف السباعي وإبراهيم المصري والمفكر التركي مقداد يالجن وأنيس منصور وعبد العليم القباني ومحمود البدوي ورستم كيلاني والشعراء إبراهيم عيسى وأحمد خميس ومحمد الجيار وأحمد عبد المجيد .

وتستغرق النصف الثاني من كتابه دراسات عن ناقدنا بأقلام الشاعر صالح جودت والشاعر عبد العليم القباني ، والشاعر أحمد عبد المجيد والناقد نبيل راغب . ألقوا فيها الضوء على مؤلفاته ودراساته عن زكي مبارك وعبد الحميد الديب وعلى محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، وأحمد فتحي ، فضلاً عن كتابه «من أبطال الإسلام » ، ودراسة بقلم السفير الشاعر أحمد عبد المجيد عن «منهج محمد رضوان في أدب السير والتراجم» .

وطبيعي أن يخوض محمد رضوان – في حياته الأدبية التي توشك أن تغطي أربعة عقود – عددًا من المعارك الأدبية ، تميز فيها بسطوع الحجة ، وبلاغة القلم ، وعفة اللسان .

وفي زمن جنح فيه النقد الأدبي إلى الوعورة والمعاظلة ، حتى صار الناقد منفرًا لا مبشرًا ، تبرز كتب محمد رضوان ومقالاته نموذجًا للوضوح الجميل ، والبساطة التي لا يعوزها العمق ، وإشراق اللغة ، والتمكن من تراث العربية شعرًا ونثرًا مع نزوع إلى التجديد دون تطرف ، وحفاظ على الموروث دون جمود ، وستظل حياتنا الأدبية مدينة له بإزالته الغبار عن قيم أدبية لم تلق في عصرها ما تستحقه من تقدير وإكبار فهو – إذا استعرنا كلمة شوقي في رثاء حافظ – منصف الموتى من الأحياء أو هو – كما يقول فاروق شوشة – قد «وقف قلمه على إنصاف كثير من الأدباء والشعراء ونشر المجهول من أعمالهم الإبداعية وإعادتهم إلى قلب الذاكرة الأدبية » كما يقول الشاعر فاروق شوشه في كتابه «جمر الكتابة » [2] .

***

(2) فاروق شوشه : جمر الكتابة / المجلس الأعلى للثقافة / القاهرة 2010 / ص 117 .

محمد محمود رضوان ناقد جمالي ينفذ بروحه الرحبة إلى تذوق الفن الجيد ، فبفضل استبصاراته وتحليلاته أنار لنا من زوايا الأدب والفن ما كان مظلمًا ومجهولاً مما مكننا أن نتذوق نماذج من الشعر العربي المعاصر على نحو أعمق وأصدق وأرهف ، كما اتصف العديد من الشعراء والأدباء أمثال على محمود طه ، وأحمد فتحي ، وصالح جودت ، وأحمد خميس ، وعبد الحميد الديب وغيرهم فقام بدراسة سيرهم وإبداعهم كما قام بجمع وتحقيق أعمالهم الإبداعية المعلومة والمجهولة ، فأنصفهم وأتاح لنا أن نقرأ سيرهم وأعمالهم الكاملة ، فأنقذها من الضياع والنسيان .

***

وبعد ، فإن مؤلفات الأديب الناقد محمد رضوان التي أصدرها منذ حوالي نصف قرن شكلت إضافة غنية إلى حقل الدراسات الأدبية في مجال الشعر العربي المعاصر ، واهتمام خاص بشعراء الوجدان المعاصرين ، ومنهم شاعر البوادي الخضر ، عبد العزيز سعود البابطين وهو كتاب جديد يعد أحدث حلقة في سلسلة مؤلفاته التي اطرد صدورها منذ أكثر من أربعة عقود ، وتناول فيه بالدراسة والتحليل سيرة الشاعر وينابيع تكوينه ، وألقى الضوء على ملامح شعره الوجداني الذي جمع فيه بين الوجدان العاطفي والوجدان الوطني والقومي كما ذكر المؤلف في كتابه .

د. ماهر شفيق فريد

القاهرة 2018

مقدمة

■ لماذا «شاعر البوادي الخضر» ؟

بقلم : محمد رضوان

ارتبط الشاعر عبد العزيز سعود البابطين بديوانه «بوح البوادي» ارتباطًا فنيًا وعاطفيًا ووجدانيًا ، مثلما ارتبط شعراء الوجدان بديوانهم الأول فارتبط على محمود طه بديوانه «الملاح التائه» وارتبط إبراهيم ناجي بديوانه «وراء الغمام» وارتبط محمود حسن إسماعيل بديوانه « أغاني الكوخ» وارتبط الشاعر أبو القاسم الشابي بديوانه «أغاني الحياة» .

وإذا كان للشاعر عبد العزيز سعود البابطين داووين أخرى مثل «مسافر في القفار» (2004) وأغنيات الفيافي (2017) إلا أنني أعتبر أن «بوح البوادي » هو الدفقة الأساسية الأولى التي حددت اتجاه شاعرنا وكشفت عن أعماق ذاته وملامحه النفسية والوجدانية والإنسانية فكان هذا الارتباط الوجداني والشعري بين شاعرنا وديوانه الأول الذي نم عن أعماقه وانتمائه العربي واعتزازه بالبادية والصحراء وعشقه للحسن والجمال وتغنيه بالحب العفيف بكل ما يحمله من سمات وخصائص صافية ، فضلاً عما يحتويه من قيم نبيلة واعتزازه بالشعر العربي الفصيح بجناحيه الوزن والقافية وسط طوفان «التغريب » و «التخريب» .

وقد يكون ذلك راجعًا إلى أن كل ديوان من دواوين شعراء الوجدان كان التعبير العميق لشخصية الشاعر ووجدانه وخلجات قلبه، وهمسات روحه.

ومن هنا أرى أن من يريد أن يتعرف على ملامح وسمات عبد العزيز سعود البابطين العاطفية والنفسية والوجدانية والإنسانية عليه أن يتمعن في قراءة ديوانه «بوح البوادي» فسيجد كل ما قلت مجسدًا.

في هذا الديوان نجد بوحه وهو يناجي البادية ويناجي طيف محبوبته ويناجي نخلة الصحراء ويناجي النجم البعيد في السماء ويناجي بدر الليل ويحمل رياح الصحراء أشواقه وحنينه إلى المحبوبة وتشف روحه وتسمو حين يناجي تلك المحبوبة ويهمس بأشواقه المتدفقة ويردد لها نجواه «اذكريني» عند سماع كل شدو طير وفي كل غيمة وفي كل تفتح ورد وكلما هل الربيع وكلما تنفس الفجر، وهي نجوى عاشق يناجي طيف الخيال يعبر فيها عن ثورة وجده وعتابه وحنينه وشوقه إلى الحبيب النائي والشاعر حين يبوح للبوادي بأشواق قلبه وهمسات روحه يحيل كل حبة رمل حوله إلى بستان من الأشجار الخضراء اليانعة، والزهور والندى فيصبح البلقع حديقة مزهرة يافعة فيصبح بوحه إلى البوادي الخضر شهادة حب وعشق ينم عنها شكوى الصبابة ووشاية الدموع وسلطان الحب وطيف الخيال وعتاب المحب ونوح الحمام وأرقه وسهاده، وصوت الطير الساري.

وعليه فإنني أجد ارتباطًا وثيقًا بين عبد العزيز سعود البابطين وديوانه بوح البوادي الذي يعبر بصدق عن الملامح الوجدانية والنفسية والإنسانية للشاعر الوجداني المحلق في سموات الحب والجمال وصدق من قال إن أجمل ما في نفوسنا موروث من البداوة، فالبداوة طهر ونقاء وأمومة عليا على حد تعبير د. مصطفى ناصف الذي ذكر أن الشاعر وجد نفسه في موقف قديم جديد، موقف بدوي حضري، يريد أن يجمع بين الأمس واليوم.

وللبيئة دور عميق ومؤثر في حياة الشعراء وإبداعهم.

وللبادية خصائص وسمات تقترن بالبطولة ، والعاطفة الجياشة والكرم ، والإيثار والتحدي ، والاعتزاز بالذات .

وفي هذه البيئة ولد ونشأ شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين ، حيث الفضاء اللانهائي ، والسماء الصافية ، والنجوم اللامعة التي تلهم الشاعر ـ والظباء والوعول والنخيل المتفرد في جوف الصحراء ، كلها سمات وخصائص تأثر بها الشاعر ، لأنه نشأ في ظلالها وبين جوانبها . .

في هذه البيئة المتفردة ولد عبد العزيز سعود البابطين في أسرة محبة للأدب والشعر ، فقد كان والده شاعرًا نبطيًا ، كما كان عمه قاضيًا وشاعرًا ، وخاله نسبا هو الشاعر محمد بن حمد بن لعبون (1790 – 1831) أحد أعلام الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية حيث عاش حياته متنقلاً بين نجد والبصرة والبحرين وأخيرًا الكويت التي توفي بها ودفن بأرضها .

ومن هنا نشأ الطفل عبد العزيز وسط هذه الصحبة في رياض الشعر والأدب وموسيقى الشعر وعذوبته ، ويكشف عن علاقة الشاعر بالبادية في تجلياتها المختلفة ، فالشاعر اكتسب روح الغرام من البادية ، ولكنه لا يلبث أن يتوجه نحو الذات ، وسرعان ما تمتزج فطرة البادية ، وصفاءها بمعطيات الحضارة الحديثة .

وميزة شاعرنا أنه ما زال متمسكًا بعمود الشعر العربي وأصالته كالقابض على الجمر في هذا الزمان الذي سادت فيه موجات الانفلات والتحلل من أصالة الشعر العربي العمودي ، بدعوى الحداثة وظهور ما يسمى بقصيدة النثر واعتبار أن الشعر الأصيل سواء من خلال رواد الشعر العربي القديم أو أعلام الشعر العربي المعاصر هو «مجرد استدعاء للماضي» وهي دعوى مضللة ومضلة تهدف إلى هدم ثوابتنا وجوهر حضارتنا ولذا كان شعره مع شعراء الأصالة هو السد المنيع أمام محاولات تقويض أركان لغتنا العربية الفصحى لغة الضاد !

***

وبعد ، فإنني حين أقدم هذه الدراسة عن عبد العزيز سعود البابطين شاعر البوادي الخضر فإنما أقدم وجهًا عربيًا مضيئًا أوقف وقته وجهده وماله من أجل إعلاء مكانة الشعر العربي العمودي وأصالته والحفاظ عليه والتذكير بر واده وأعلامه القدامى والمعاصرين ، فكأنه من خلال مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية قد أقام قلعة حصينة شامخة أمام كل السهام التي حاولت اختراق هذه القلعة المنيعة التي تحمي لغتنا وأصالتنا وهويتنا العربية الصافية .

فليكن هذا الكتاب لبنة أضيفها إلى هذه القلعة الحصينة بتناول فارس الشعر العربي الذي قام بتشييد هذه القلعة ووضع لها أسس الحياة والنمو والصمود أمام كل الموجات العاتية التي تحاول أن تخترقها وتسعى لهدمها .

وهذه الدراسة التي تتناول إبداعات الشاعر عبد العزيز سعود البابطين تجيء ضمن سلسلة دراسات عكفت عليها منذ أكثر من ثلاثة عقود عن أعلام شعرنا العربي المعاصر من أصحاب الاتجاه الوجداني أصدرت فيها دراسات عن على محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، والهمشري ، وصالح جودت ، وعبد الرحمن صدقي، وأحمد فتحي ، وعبد الحميد الديب ، وأحمد خميس ، إيمانًا مني بأن هؤلاء النجوم الساطعة هم وجه الشعر العربي الأصيل وواجهته المضيئة في مواجهة خفافيش الظلام ودعاة التخريب ومحاولة طمس فن العربية الأول : الشعر الأصيل !

وقد منحني الله تعالى الصبر والجلد على مدى حوالي نصف قرن من الزمان لأنجز دراسات عن شعراء الوجدان المعاصرين وجمع آثارهم المجهولة وتحقيقها ودراستها ونشرها وفي أحايين كثيرة كنت أنفق من قوتي وقوت عائلتي حتى أظهر للقارئ الأعمال الأدبية خدمة للأدب والتاريخ وإنصافًا للشعر العربي الأصيل ومساندة لرواده وأعلامه المعروفين والمنسيين.

***

وأرى أن عبد العزيز سعود البابطين قد تأثر في شعره الوجداني بأعظم شاعرين عربيين من أصحاب الاتجاه الوجداني وهما :

شاعر الجندول ، على محمود طه ، وشاعر أغاني الحياة ، أبو القاسم الشابي . فقد جمع على محمود طه بين الوجدان العاطفي والاتجاه القومي في شعره ، كما أن أبو القاسم الشابي وقف شعره على الجانب الرومانسي وكأن إبداعه الشعري قصة حب طويلة يناغي فيها محبوبته التي تكاد تكون طيفًا هائمًا في ملكوت الشاعر الهيمان والتي كانت لديه :

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام
كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء
كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال
وشباب منعم أملود

وهكذا كان شعر البابطين العاطفي كأنه مناجاة حارة متقدة لملهمته البعيدة في لحظات الوصل والهجران .

وهناك ملمح آخر تأثر فيه البابطين بالشاعرين المبدعين وهو تلك الغنائية الموسيقية التي طبعت شعره ، فاتسم شعره بذلك الطابع الغنائي الموسيقي بحرصه على أصول الشعر العربي وأصالته وتمسكه بالوزن والقافية مع التجديد في الشكل والمضمون ، فجاء شعره تعبيرًا عن ذاته ووجدانه العاطفي يحتوي على ذلك الطابع الغنائي واختيار اللغة الشعرية التي تعبر عن ذوقه الفني والجمالي .

وكان من أبرز أسباب إيثاري لشعر عبد العزيز سعود البابطين هو ذلك الزخم الذي يمتلئ به شعره ولذلك فإنني حين أقدم هذه الدراسة عن هـذا الشـاعر العربـي فإنمـا أقـدم شـاعرًا عربيًـا وجدانيًا أصيلاً ، عبر عن الوجدان العربي الأصيل ، سواء كان الوجدان العاطفي الذي تمثـل في وجهه العذري السامي والذي استعاد به تلك النفحات الشعرية العربية الأولى التي انطلقـت مـن قلب الصحراء العربية لتعزف على قيثارة الشعر العربي أجمـل أغنيـات الحـب العفيـف وأعـذب نغمات ذلك الحب السامي على جبل التوباد وفي أعماق صحراء بني عذرة .

ليس هذا فحسب بل أن عبد العزيز سعود البابطين لم يعش مع شعره في برج عاجي عال وهـو الثري الأمثل الذي منحه الله الموهبة والثروة والجاه ، بل قام بعمل فريد غير مسبوق على الساحة العربية حين رصد ماله وجهده ووقته لحماية الشعر العربي الأصيل وصيانته والزود عن حياضـه وتأريخه وتوثيقه ورعايته ونشره وانتشاره من خلال مؤسسة ثقافية كبرى هي مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية التي قامت ولا زالت تقوم بـدور فعـال ومـؤثر في حمايـة وصـيانة الشـعر العمودي الأصيل بعد أن تعرض لهجمات شرسة منذ أكثر مـن نصـف قـرن مـن الـزمن وزادت الحملة شراسة من أتباع قصيدة النثر وما يسمى بالقصيدة الحداثيـة ومـا شـاكلهما مـن أشـكال وألوان .

***

وإذا كنت قد بدأت دراسـاتي عـن الشـعراء أصـحاب الاتجـاه الوجـداني في الشـعر العربـي المعاصر منذ نصف قرن والتي تناولت سـيرة الشـعراء : عـلى محمـود طـه ، ونـاجي ، وصـالح جودت ، وأحمد فتحي ، وكامل الشناوي ، والهمشري ، وشعرهم، وكلهم من مصر . فأنني اليوم أتناول شاعرًا عربيًا مجيدًا من أصحاب الاتجاه الوجداني الـذي عبـر عـن وجدانـه وعكـس مـا يعتمل في صدره من مشاعر وأحاسيس وهواجس وأفكار بصـدق وحـرارة وأمانـة فجـاء شـعره الوجداني مفعما بالأحاسيس المتدفقة والعاطفة المتوهجة ومشاعر الشجن والاغتراب الروحـي .

***

ولكن لماذا اخترت شاعر البوادي الخضر ، عبد العزيز سعود البابطين بالذات من بين الشعراء العرب المعاصرين أستطيع أن أجمل الأسباب فيما يلي :

أولاً : أن الشاعر عبد العزيز سعود البابطين عبر بصدق عن روح البادية العربية بما تمثله من معاني العزة العربية والاعتزاز بقيم البادية وتقاليدها وأخلاقها، كما أن طبيعة البادية بفضائها الرحب ، وصفاء سمائها ، وتألق قمرها ونجومها ، وذلك الفراغ الكبير قد ولد في قلب الشاعر أسمى عواطف الحب العذري وأنقاها ، مثل أسلافه السابقين جميل بن معمر وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح وأمثالهم من شعراء الغزل العذري الذين سجلوا صفحات من الشعر الغزلي العفيف الذي يسمو بنظرة الشعراء إلى المرأة كمخلوق سامي يلهم أجمل المعاني وأنبل الأحاسيس ، فلم يكن غريبًا أن يكون البابطين بالفعل هو شاعر البوادي الخضر المعبر عن روحها وأصالتها .

ثانيًا : أن عبد العزيز سعود البابطين ينتمي إلى مدرسة الرقة العاطفية وهي المدرسة القريبة إلى قلبي والتي سبق وتناولت أعلامها بالدراسة والتحليل والبحث في دراساتي السابقة عن أصحاب هذه المدرسة مثل ناجي وصالح جودت وعلى محمود طه وأحمد فتحي.

ثالثًا: أن عبد العزيز سعود البابطين يمثل نموذجًا فريدًا في عالم الشعر ، فقد بدأ حياته من الصفر وحفر الصخر الصلد بأصابعه حتى وصل إلى أعلى مراتب الثروة والجاه، ورغم ذلك لم يشأ أن يستمتع بثمار رحلة كفاحه وعصاميته وحده بل آثر أن يشاركه فيها أصحاب مملكة الشعر العربي الأصيل وأن يحيى تراث الراحلين ويكرم الموجودين ويشعرهم أن دولة الشعر العربي الأصيل لها حماتها ولها أنصارها وصوتها المعبر عنها ، فعملت مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية بجهود جبارة لتحقيق أمنيات شاعرنا بالسهر على صيانته وحماية هذه المملكة ورعايتها بنشر تراث الراحلين ونشر إبداعات المعاصرين وأصدرت في هذا السبيل معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، ومعجم البابطين لشعراء العربية القرنين التاسع عشر والعشرين، وهما أول معجمين يصدران في الوطن العربي والعالم يؤرخان للشعر العربي المعاصر في القرنين التاسع عشر والعشرين وفي مطالع القرن الحادي والعشرين .

لهذه الأسباب الثلاثة مجتمعة اخترت شخصية الشاعر عبد العزيز سعود البابطين وهو الجانب الشعري الفني ، والجانب الموضوعي ، والجانب الحضاري برعاية الشعر العربي وصيانته ودعمه .

وهناك جوانب أخرى من جهود البابطين منها محاولاته لاستنهاض روح الحضارة في عدد من الدول الأفريقية والأسيوية والأوربية من خلال فتح مجال للحوار مع مثقفيها ودعم ورعاية المواقع العلمية والأكاديمية التي تعمل على تعليم اللغة العربية وإجادتها مما يحتاج لمجلدات للحديث عن هذه المجهودات.

لكن ليبق حديثي عن البابطين شاعرًا يرعى أبناء مملكة الشعر الشاسعة في وطننا العربي وفي كل مكان ينطق العربية وصدق قول وزير الثقافة السوداني صديق المجتبى الذي لخص عبقرية البابطين أنها أدركت أن دولة الوجدان هي الأقوى وهي الأبقى في الحياة وأن دولة الثقافة خاصة أن ديوان الشعر هو الذي يؤلف بين العرب ، فلذلك كان الاحتفاء بالشعر .

***

وبعد ، فإنني حين أقدم للقارئ العربي هذا الكتاب « شاعر البوادي الخضر عبد العزيز سعود البابطين : سيرته وشاعريته » فإنما أقدم صفحة مضيئة من تاريخ الشعر العربي المعاصر ، بعد أن تكاثرت السهام على ساحة الشعر العربي الأصيل وتناوشتها فلول التخريب ودعاة الفوضى الذين يهدفون إلى هدم صرح الثقافة العربية وتحطيم دولة الشعر العربي الأصيل باسم التجديد والتحديث وهم من التجديد والتحديث براء .

***

فليكن هذا الكتاب دعوة لقراءة الشعر العربي الأصيل ، بكل ما يحمل من سمات الشعر العربي من أنفة وشموخ وحب عفيف وشهامة ومروءة ، وكلها معانٍ افتقدناها كثيرًا في هذا الزمن الصعب لكن مجرد وجود مثل هذا النوعية من الشعراء جدير بأن يمنحنا الأمل والتفاؤل ببزوغ شمس الحضارة العربية الأصيلة مرة أخرى وعلى رأسها الشعر العربي بأصالته وعذوبته وصفائه .

القاهرة ديسمبر 2018 **محمد رضوان**



الفصل الأول

عبد العزيز سعود البابطين

سيرته وثقافته



يـا صـديقي حـين أبغـي قنصَـها

أطـردُ الظبـيَ وصـقري والـذئابا

فلأنسـى جُـرْحَ قلبـي والنـوى

وهُمـوم العشـقِ تكـويني اغترابـا

فأنـا في البَـرِّ نفسِـي حُـرَّةً

أُبْعِـدُ الغربـةَ عنِّـي والعَـذَابا

عبد العزيز سعود البابطين

ميلاد الشاعر

في عام 1936 ، ولد عبد العزيز سعود البابطين لأسرة عربية عريقة يرجع نسبها إلى «روضة سدير » ذات التاريخ العريق الذي يقترن منذ القدم بأمرائها «آل الماضي» الكرام حيث كانت تعج بالعديد من الأسر الكريمة التي طاب لها المقام بها منذ عدة قرون حيث كان جد البابطين يعيش منذ أكثر من اثنى عشر قرنًا في بلاد قحطان أصل العرب العاربة مع قبيلته عائذ الشم .

وآل البابطين ينتشرون في معظم أنحاء المملكة العربية السعودية ولهم فروع في الكويت وبعضهم في العراق ومصر ، وقد اشتهروا بممارسة التجارة ، وحبهم للشعر والأدب والفصاحة واستمساكهم بالتقاليد العربية الأصيلة.

ثقافته

نشأ عبد العزيز في ظل أسرة محبة للأدب والشعر ، فقد كان والده شاعرًا نبطيًا، كما كان عمه قاضيًا وشاعرًا وخاله نسبًا هو الشاعر محمد بن حمد بن لعبون (1790- 1831م) الذي كان من أعلام الشعر النبطي في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية والذي عاش حياته منتقلاً بين نجد والبصرة والبحرين وأخيرًا الكويت الذي توفي بها ودفن بأرضها .

في ظل هذه البيئة المحبة للأدب والشعر أحب عبد العزيز الشعر وحفظ الكثير من القصائد منذ طفولته المبكرة [3].

وفي طفولته ظهرت عليه مخايل النباهة وارتياد مجالس الكبار ، وكان أبوه يأخذه مع أخوته إلى السوق ، فيشاهدون ما يجري فيها ويخالطون الرجال ، وإذا جن الليل واجتمع الرجال في الديوانية جلسوا في طرفها احترامًا للكبار وكان أبوه يحرص على تواجدهم فيها وعندما يبدأ في سرد بعض مشاهد السوق وما جرى فيها يكتفي ببدء القصة ثم يقول : عبد العزيز ! كنت موجودًا ، قص علينا ما جرى فيكمل القصة ببساطة وطفولية عفوية حتى إذا ما انفض المجلس ودخلوا إلى بعضهم بدأ الأب بالنقد والتوجيه ، يقول عبد العزيز «كان لتلك المجالس دورها في حياتي ؛ فقد ربّت فيّ الشجاعة الأدبية والجرأة على خوض الحياة ومواجهة صعابها » [4].

(3) مجلة القافلة / عبد العزيز سعود البابطين مال وأعمال وسفر وحياة فطرية / 2004 .

(4) الاتجاه الوجداني في شعر عبد العزيز سعود البابطين : إيناس الرفاعي عيد عوض، دار الوفاء الإسكندرية 2015 / ص14 .

ومنذ نعومة أظفاره ، عشق الكلمة الموسيقية ، فكان يحرص على حضور الجلسات التي يلقى فيها الشعر النبطي والشعر العربي الأصيل .

وتشرب عبد العزيز حب الأدب والشعر من والده وأخيه ، فتعلق بعالم الأدب العربي والشعر الأصيل فبدأ من محاولاته الشعرية الأولى في سن السادسة عشرة من عمره ، وكانت إرهاصات لموهبته الشعرية التي ترسخت فيما بعد وصقلت بالمزيد من القراءة المتعمقة في دواوين الشعر العربي القديم والمعاصر .

ومنذ بداياته الأولى قرأ الشعر النبطي وعاش في أجوائه وفي صحبة فرسانه وبجانب ذلك أحب فرسان الشعر العربي الأصيل القديم والمعاصر كالمتنبي وجميل بثينة وعمرو بن أبي ربيعة وابن زيدون ومن الشعراء المعاصرين كان أحب الشعراء إلى قلبه : شاعر الجندول على محمود طه والشاعر التونسي أبو القاسم الشابي ، ولعل حبه لهؤلاء الشعراء يوضح لنا إرهاصات اتجاهاته الشعرية التي اتضحت فيما بعد ..

وبعد أن شب عبد العزيز عن الطوق كان لابد أن يخوض غمار الحياة ، وفي بساطة يروي الشاعر بداياته الأولى بتواضع ينم عن أصالة هذا الرجل الذي لا يستنكف أن يحكي لنا بدايته المتواضعة في التجارة وكفاحه من أجل أن يوفر من راتبه مبلغًا بسيطًا في البداية ليبدأ رحلته التجارية في الحياة .

وعن المؤثرات التي أسهمت في تكوينه الشعري والأدبي في طفولته يروي لنا شاعرنا دور شقيقه عبد اللطيف الذي كان يحضر شعراء النبط في جلسات سمر شعرية كان الطفل عبد العزيز يحرص على حضورها والاستماع بشغف إلى القصائد التي كانت تروى » .

(طفولتي لا تعني القارئ في شيء لأنها كانت كأي طفل كـويتي أو عربـي عـاش بـين أقرانـه يتخللها الشيطنة ، والروح السمحة والطموح منـذ الصـغر وبعـدما كبـرت قلـيلاً بـدأت أحضـر مجالس الشعر لشقيقي عبد اللطيف الذي كان يأتي بشعراء النبط في فترة الأربعينيـات ، ويسـجل لهم ما يقولونه وما يروونه عن الآخرين فنمت بذرة الشعر عنـدي .. وعنـدما لاحـظ والـدي – رحمه الله – وشقيقي عبد اللطيف هذه الرغبة في داخلي بدآ يدفعان لي بعـض الـدواوين الشـعرية ، وبعدما صارت لدي حصيلة من المفردات العربية قدمت أول قصيدة بالفصحى بعمـر 14 عامـا ... ومن ثم بدأ تدفق الشعر في ذهني وبدأت أنميه من خلال قراءاتي) [5] .

يروي لنا عبد العزيز سعود البابطين بدايته البسيطة في الحياة ، وكيف حاول اقتحـام صـعاب الحياة وتوفير لقمة العيش بشرف وعصامية ، يقول :

«كانت البداية بسيطة جدًا .. فأول وظيفة لي كنت أمينًا لمكتبة ثانوية الشويخ عـام 1954 ، في السنة الأولى كنت أصرف من راتبي على أصدقائي في قهـوة الكمـال في الشـارع الجديـد ، حيـث كانت لدي هواية الدفع عن النـاس ، وفي السـنة الثانيـة ، وعنـدما وجـدت أنني لم أوفـر شـيئًا ، تضايقت وبدأت أفكر بالتوفير ، حيث بدأت أذهب من البيت في المرقاب إلى المدرسة مشيًا عـلى الأقدام ، وتوقفت عن زيارة المقاهي ، وبدأت أتردد على العمارات الموجودة على الشاطئ التـي يبيعون عندها المواد الإنشائية وأجلس هناك .. ومعي دفتر أكتب فيه كـل مـا أشـاهده ، وأسـماء الأشخاص الذين أتحدث معهم ، وما دار بيني وبينهم من حوار مع ذكر حسناته وسيئاته ، وهـذه أفادتني في مجالين ، أولاً صقلت موهبتي في الكتابة ، وثانيًـا علمتنـي كيـف أدقـق في أخلاقيـات الناس ، كانت تجربة رائعة ومفيدة ساعدتني على توفير راتبي حيـث وجـدت في آخـر الشـهر أن معي 813 روبية .

(5) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيو 2017.

«في السنة التالية جمعت مبلغًا جيدًا ، واستقلت من المعارف حتى أصبح معي 17 ألف روبية واشتركت مع أحد أقاربي وهو صديقي في الوقت ذاته في ملكية محل تجاري ، وكنت أيضًا استلفت منه 3000 روبية ، وكانت نسبتي 10٪ من قيمة المحل الذي كنا نبيع فيه الأدوات الصحية في شارع تونس ، وبعد مرور 6 أشهر انسحبت بسبب خطأ مني وليس من شريكي مع العلم أننا ربحنا في هذه الفترة 5000 روبية ، كان نصيبي 500 روبية ، وعندما أعطاني الشيك مزقته ، وطلبت منه أن يعيد إليّ رأس مالي وهو 17 ألفًا ويستعيد سلفتي منه» (6).

نصيحة الوالد

-وبعد ذلك شاركت شخصًا آخر في محل (نوفوتيه) في المباركية نبيع الملابس النسائية وكنت أعلم أن الوالد يرفض هذا النوع من التجارة ، وعندما سألني أخبرته أنني أعمل في تجارة (النوفوتية) وهو لا يعرف معناها فاستوضح مني عنها فقلت له الحقيقة : عندها طلب مني أن أبتعد عن هذا العمل ، فما كان مني إلا الانسحاب .

الميول الثقافية

-كنت محبًّا للشعر وكان حلمي أن أصبح شاعرًا ، ووجودي كأمين مكتبة في ثانوية الشويخ عزز هذا الحلم حيث كنت أقرأ كل الكتب التي ترد إلى المكتبة حتى أصنفها ، مما أفادني في تكوين مخزون فكري وأدبي وثقافي ، وبعد أن استقررت ماليًّا شعرت عام 1969 أنه لابد من العودة إلى المطالعة فأخذت أقرأ دواوين كبار الشعراء القدامى ، وفي العام 1985 فكرت جديًا في إنشاء (مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري) وشاءت إرادة الله أن تخرج هذه المؤسسة إلى دائرة الواقع في العام 1989 وتبدأ عملها من القاهرة عاصمة الثقافة العربية الكبرى .

---

(6) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيو 2017 .

الشعراء الذين تأثرت بهم

-لقد تأثرت بجارنا سليمان الجار الله ، وكنا نقوم معًا بمحاولاتنا الأولى في كتابة الشعر ، ثم نقرأ لبعضنا ، ويشجع كل واحد منا الآخر إلى أن أصبح هو من كبار الشعراء .

وفي بوح نادر للشاعر الوجداني عن حكاية إصدار ديوانه الشعري الأول «بوح البوادي» عام 1995 وديوانه الثاني «مسافر في القفار» عام 2004 أجاب ببساطته المعهودة [7]:

«لم يدر بخلدي منذ بدأت رحلتي مع الشعر قبل أكثر من أربعين سنة أن أصدر ديوانًا يضم قصائدي ؛ إذ أعتقد بأن تلك هي مشاعري وأحاسيسي وحدي ، فهي من خصوصياتي اللصيقة بي والتي هي ليست بالضرورة نتاج تجربة شخصية ، إلا أن بعض الإخوان والأصدقاء وبعض أعضاء مجلس الأمناء لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ألحوا عليّ بأن أصدر هذا الديوان لاعتزازي بالشعر ومحبتي المتدفقة للشعراء ، فاخترت مجموعة طبعت ومجموعة احتفظت به على مرّ السنين . هذا الإصدار سميته (بوح البوادي) ، لأن الكثير من قصائدي قلتها في صحارى عربية وأجنبية خلال رحلات الصيد ، وطبع هذا الديوان عام 1995 ، ثم أتبعته بديواني الثاني «مسافر في القفار» الذي طبع عام 2004 م .

وحول صحبته للشعر والشعراء منذ طفولته المبكرة والشعراء الذين أحبهم ، قال [8]:

-أحببت الشعر وعمري16 عامًا وقرأت لأبي القاسم الشابي عشرات المرات، وقلت الشعر النبطي وعمري 11 عامًا ، وأعجبت بالشاعر المصري الراحل على محمود طه ، وكنت أتمنى أن يوفقني الله لأكون قادرًا على تكريم الشعراء ، فقد ابتعدت عنهم منذ دخلت الحياة العملية بنهاية الخمسينيات ولم أرجع لصحبتهم مرة أخرى إلا بعد استقراري التجاري وعن فكرة إنشاء مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري قال : [9]

(7) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 / 6 / 2003 .

(8) المرجع السابق .

(9) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيو 2007 .

«وبدأنا في نهاية الثمانينيات وبالتحديد عام 1989 في إنشاء مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري »، وبدأنا بتوزيع أول جوائزها في القاهرة في مايو «أيار» 1990 بمشاركة وزير الثقافة المصري فاروق حسني الذي قال عنها «إنني أرى أمامي جائزة تلد واقفة) ثم حدث غزو النظام البعثي في العراق على بلادنا فكادت المؤسسة أن تذهب مع العاصفة ولكن الله تولاها بعنايته فاستطعنا إقامة حفلها الثاني في أكتوبر 1991 بدار الأوبرا في القاهرة وفي تلك السنة ولدت فكرة «معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين » الذي صدرت طبعته الأولى بعد ذلك في ستة مجلدات عام 1995 وطبعته الثانية في سبعة مجلدات عام 2002 .

وفي سؤال عن الدافع من وراء أعماله الخيرية أجاب [10] :

-الله خلق الإنسان ليؤدي في هذه الحياة رسالة ، وإلا لتوقف الكون ولكل إنسان قدرته على أداء تلك الرسالة فتربية الأولاد التربية الصالحة هي بحد ذاتها رسالة مقدسة ، وأنا مؤمن بكل هذا وبالآية الكريمة ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ والحديث ليس معناه الكلام فقط بل إبراز ما تتحدث ففيه بعمل ملموس تجد عند الله جزاءه إن شاء الله ، وإذا لم أقم بمثل هذه الأعمال الخيرية إذن ما الفرق بيني وبين من لا يملك ؟! ثم إن ما جرى في الكويت من غزو غاشم كاد يدمرنا لولا عناية الله، وهذه العناية بالتأكيد جاءت نتيجة ما يقوم به الكويتيون خاصة والخليجيون عامة من أعمال خيرة أدوا بها رسالتهم خير أداء .

وفي سؤاله عن مغزى بعض الكلمات وماذا تعني عنده جاءت أجوبته لتعكس بعض ملامح من شخصية عبد العزيز سعود البابطين الذاتية والإنسانية .

وهي كلمات بسيطة قالها الشاعر بتلقائية لكنها تحمل معانٍ ودلالات عن أعماق شخصيته وتكوينه الإنساني ، وقد جاءت إجابته على تلك الكلمات بتعبيرات محددة ومباشرة[11] :

(10) المصدر السابق .

(11) في حوار مكتوب مع الشاعر في 17 يونيه 2007 .

كلمات ومعانٍ

الحياة

-فرصة يجب على الإنسان استثمارها لتأدية رسالته .

النقود

-وسيلة .

البحر

-سر الحياة وأجمل ما فيها .

الشعر

-التعبير الوجداني لما وراء النفس البشرية .

وقد عبر الشاعر عن اعتزازه بعروبته وأصالته ونشاته وسط قبيلته في البادية بكل ما تمثله من قيم وأعراف وأخلاق عربية أصيلة في قصيدته «أصالة » [*]:

خُلِقْتُ جَوادًا واحْتَوتْني أصَالةٌ　　وجئتُ من الماضِينَ من خيرِ مَنْسَبِ

وجاءَ جُدودي من جُدودِ قبيلةٍ　　لها في الورَى الإكبارُ من كلِّ يعربي

فَهُمْ في بني قحطانَ مجدٌ وعِزَّةٌ　　وقحطانُ في الأمثالِ أجْوَدُ مَضْربِ

فَجَدِّي«عبدُ اللهِ» [12] أفتى بنَجْدِهِ　　ونجدٌ به تاهتْ بعزٍّ ومنصِبِ

وجَدِّي لأمّي [13] طيِّبُ الذِّكرِ　　عليه سلامُ اللهِ في كلِّ مَغْربِ

يُدَوِّنُ في التاريخِ والفقهِ والحِجا　　وأخلاقُهُ تسمو بعلمٍ مُهذَّبِ

أَ «حَمْدُ بنُ لعبون» سُقيتَ برحْمة　　مِن اللهِ مُنسابِ بها كلُّ صَيِّبِ

ولعل وجوده في مدينة عشق أباد بتركستان أثناء نظم هذه القصيدة عام 1992 في تلك الدولة المسلمة قد أثار لديه روح الاعتزاز بعروبته وفخره بأبناء جلدته وقبيلته ، كما أن فيها اعتزازًا بشعره وشاعريته التي سالت أبياتًا مفعمة بالفصاحة والبلاغة والفخار.

(*) ديوان «أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص 20 .

(12) عبد الله بن عبد الرحمن البابطين : مفتي الديار النجدية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري .

(13) حمد بن لعبون : أمين بيت المال في سدير بمنتصف القرن الثالث عشر الهجري ومؤلف كتاب «تاريخ نجد » وله مؤلفات في الفقه .

فيمضي ليعدد مناقب قبيلته وعشيرته وما يتحلون به من كرم وجود وشجاعة وحسن وفادة ، فضلاً عن عبقريتهم الشعرية وفصاحتهم التي بذوا بها كل منافس واستطالوا بها على العالمين :

فقد جئتَنا من بَعدُ بابنكَ شاعرًا ... لـه في سباقِ الشِّعرِ أَفْسَحُ ملعبِ
يَصُوغُ المعانِي فَهْيَ سحرُ محمَّدِ ... فَمَن ذا يُبَاريهِ بأشهرِ مَذهبِ
يُبَاهِي عزيزًا بالقبيلةِ فَرْعُهُ ... وفي «عنزةِ» [14] يعلو الفخارُ ككوكبِ
خُلِقْتَ ومِنْ أُولاءِ كانت أَرومَتي ... وحقَّ لِيَ الفخرُ الجديرُ بِمَنْسَبِي
خُلِقْتُ كريمًا من كرامِ عشيرةٍ ... لهم في قِراعِ الضَّيْمِ أصعَبُ مركبِ
إذا جاءني المذعورُ يشكو مصيبةً ... فَسَحْتُ له في مجلسي خيرَ مَنْصبِ
لِيَحْكِي بما لاقاهُ مِن عَنَتِ الدُّنَي ... ويَنزلَ عندي كلَّ سهلٍ ومرحَبِ
فإنَّ الشجاعَ الحُرَّ مَنْ مَدَّها يدًا ... لمن خانَهُ دهرٌ وشُجَّ بمِضْرَبِ
وقد زادني حُبُّ الفضائلِ رِفْعةً ... وتلك التي كانت حياتي ومَطْلَبي

(14) عنزة : قبيلة عربية عدنانية يعود نسبها إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ينابيع التكوين :

استمد الشاعر عبد العزيز سعود البابطين موهبته الشعرية من ثمار عوامل عديدة كانت هي ينابيع تكوينه الوجداني والأدبي والإنساني ولعل نشأته في البادية بكل ما تمثله من قيم وأعراف وأجواء روحية كانت أبرز ينابيع التكوين عنده وقد اعترف الشاعر نفسه بتأثير البادية والصحراء فيه كإنسان وشاعر وذلك الارتباط العميق بينه وبين الصحراء ، فأصبح يحمل روح الصحراء والبادية في تصرفاته وفي إبداعه الشعري ، ولذلك كان حريصا على أن يسمى ديوانه الأول «بوح البوادي» وديوانه الثاني «مسافر في القفار» وديوانه الثالث «أغنيات الفيافي» لأنه ارتبط نفسيًا ووجدانيًا وشعريًا بالبادية والصحراء بكل ما تمثله من قيم وأعراف وخصائص وسمات طبعت حياته بطابعها البسيط التلقائي دون تكلف وتزويق وبعيدا عن تعقيدات المدنية وبنودها .

وقد اعترف شاعرنا بهذه الحقيقة واعتز بانتمائه الروحي لأجواء وقيم البادية والصحراء فقال [15] :

«إن تشبثي بالصحراء والبادية والقفار بتسمية هذا الديوان «مسافر في القفار» والذي سبقه «بوح البوادي» جزء لصيق وهام داخل نفسي وفي حياتي ، فنفسي تنطلق في الصحراء إلى أقصى مداها وتتفتح رؤاي فيها إلى أقصى اتساعها وأعتبرها المكان الطبيعي لروحي ونفسي أستنشق هواءها بملء رئتيّ ، وأرنو إلى فضائها وأفقها البعيد بمدى اتساع بصري ، فأجد فيها كل ما تشتهيه نفسي من راحة وسعادة وهناء .

***

(15) مسافر في القفار / ص3 .

وكانت لنشأة شاعرنا في البادية والصحراء أثر عميق وفعال في حياة الشـاعر وشـعره ، حيـث تشرب روح الصحراء والبادية وسماتها وأخلاقها ، كما استمد من أجوائهـا العديـد مـن الصـور الشعرية التي منحت شعره صدقًا وجمالاً وعذوبة .



الفصل الثاني

شاعر الوجدان العاطفي

أُنَــاجي طيــفَ مَحبُــوبي وَحِيْنَــا

يغيـــبُ فــلا أنـــالُ بـــه المُـــرادا

وأركضُ خلفَ طيفِ الطيفِ ركضًـا

فَـــــأخفقُ لا أرى إلا سَـــــوَادا

فأَمْضِـــي كالـــذَّليلِ وكنـــتُ حـــرًّا

أبـــيّ الـــنفس مقـــدامًا جَـــوَادا

فكيـــفَ أضـــيعُ في زمـــنٍ بخيـــلٍ

بإســـعادِ الأحبَّـــةِ إذْ تَمَـــادى

أحـــاولُ ســـلوةً بعـــدَ التنـــائي

وأدعـــو للوصـــال هـــوًّى معَـــادا

ولكنـــي ســـأبقى طـــولَ عُمْـــري

أُنـــادي للهـــوى مَـــنْ لا ينـــادى

عبد العزيز سعود البابطين

تأثر عبد العزيز سعود البابطين منذ فجر شبابه بالحب العذري في الشعر العربي، خاصة جميل بن معمر وقيس بن ذريح وقد كان لجو الصحراء والبادية التي نشأ شاعرنا في ظلالها دور في اتجاهه إلى هذا الاتجاه واستغراقه في ذلك الحب الذي يحول صاحبه إلى قيثارة ترجع ألحان الغزل والتشبيب وأنغام الوجد والحنين المفعمة باللوعة والشجن وقسوة الفراق !

وإذا كان غزل العذريين يختلف عن غزل المتحضرين الذين عاصروهم ، فهو غزل يعبر عن نفوس محرومة قد طهرها الإسلام من كل دنس ، وبرأها من كل غرض جسدي تافه ، لا يراد به إلى تصوير المرأة وإنما يراد به إلى تصوير هذه النفس العاشقة وما تبتئس به وتنعم في عشقها وما تكابده في هذا العشق من ألوان العناء وما تجنيه من ثمرات مرة حلوة إن صح أن تكون هناك ثمرات حلوة مرة في آن واحد [16].

ويرى د. شوقي ضيف أن الإسلام من غير شك هو الذي هيأ لظهور هذا الغزل، فقد صان المرأة وأسبغ عليها غير قليل من الكرامة والإجلال ، وبعث في نفوس هؤلاء البدو مثالية خلقية ، جعلتهم أو جعلت أفئدتهم تصغي إلى تعاليمه ، فإذا هي تخلصهم من أدران الجاهلية وأدران الجسد ، فإذا هذه النفوس قد صفت وصفا معها الحب وتخلص من شوائبه المادية القديمة . ولم تشع بين هؤلاء البدو من العذريين الحضارة ، ولا دخل الترف ، فلم تفسد نفوسهم ولا تحول غزلهم إلى فن من فنون الترف ، بل بقيت له بداوته وسذاجته وبساطته ، وأخذوا يعبرون به عن دخائل نفوسهم إزاء المرأة وقد حاطها الإسلام بهالة من التجلة ، فإذا هي ترق أحاسيسهم وتنبل عواطفهم ومشاعرهم ، وإذا هذا الغزل العفيف الطاهر يصدر عن فطرتهم وسليقتهم صدورًا طبيعيًا كما يصدر الضوء عن الشمس، والشذى عن الزهرة [17] .

(16) د/ شوقي ضيف «الحب العذري عند العرب ،مكتبة الأسرة – القاهرة 2005 ص 25 .

(17) المرجع السابق / 26 .

ونشأ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين في ظل البادية العربية وتشرب طبيعتها وصفوها وبساطتها فأخذ يرسل أناشيد الوجد والحب العذري في ليالي الصحراء الطويلة وتحت سمائها الصافية ونجومها اللامعة .

وكان الشاعر في هذه السن المبكرة يستمتع بقراءة شعر جميل بن معمر وكثير عزة والعباس بن الأحنف أقطاب الغزل العذري .

ولكن ما هي ملامح الحب العذري وسماته ؟

هو حبٌّ خالصٌّ من شوائب الدَّنس والرِّجس ، وهو حبٌّ طاهر شريف ، لا يعرف مُخزيات المآثم ، ولا مُنديات الأهواء .

وفي هذا الحب يمتري كثيرٌ من الناس ، لأن ظواهر الأحوال تشهد بأنه عاطفة غير طبيعية ، ومن هنا جاز لبعض الباحثين أن يقول : إن هذا الحب لا يصدر إلا عمن حُرموا قوَّة الحياة [18].

وقد حاول د . زكي مبارك أن يعلل سر تلك الظاهرة الوجدانية التي تصل بالعشاق إلى حد التصوف ، ولم تكن لهم في ظواهر الأمر مآرب حسية يطفئون بها، ظمأهم إلى الاستئثار والامتلاك فقال :

«فما تعليل هذه الظاهرة الوجدانية ؟ وما الرأي في هذا الحب الغريب الذي يفرض التضحية بمآرب الشهوات والأهواء ؟

الرأي واضحٌ لمن يعرف ، وهو أن شهوة الحس مطلبٌ بجانب شهوة الروح .

وهل كانت شهوات الشعراء الأكابر شهوات حسية بالمعنى المعروف ؟

إن الشاعر لا يسمو ولا يرتفع ولا يُحلِّق في الأجِواء العالية إلا أن خلصت روحه من الأوضار الأرضية ، ونظر إلى الوجود نظرةً أعلى من نظرات المجذوبين إلى الأرض بجواذب المنافع والأغراض .

(18) د. زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ط المكتبة العصرية بيروت / ص11 .

الشعراء يؤذيهم جوع الأرواح لا جوع البطون .

الشعراء لا ينظرون إلى النجوم نظرة اهتداء كما يصنع السارُون في ضمائر الصحراء ، وإنما ينظرون إلى النجوم نظرات ذوقية وروحية يفرضها عليهم الهُيام بتذوق جمال الملكوت .

والشعراء هم الذين علّموا الناس أن للجمال غاية غير ما ألِفوا من الغايات .

الشعراء هو الذين فطنوا إلى أن للوجود محاسن تُشْتهي بجوارح غير الحواسّ.

الشعراء هم الذين زينوا للناس أن يتأملوا جمال الشروق والغروب وأن يبحثوا عن غذاء أرواحهم وأذواقهم بالطواف حول أحواض الأزهار والرياحين .

الشعراء هم الذين راضُوا «بني آدم» على الاحتفاظ بما ترك الأولون من آثار، لأنهم توهموا أن لتلك الآثار الهوامد ألسنةٌ تُفصِح وتُبين .

فهل يكون من العجب أن يُخلق الشاعر من معشوقته دُمْيةً روحية يجاذبها أطراف الحديث حول أسرار الوجود [19]؟

ولعل قصيدة شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين «تباريح» التي نظمها عام 1988 تفسر لنا قوله شاعر الحب العذري وحرقة وجده في مضارب البادية التي نشأ الشاعر فيها ، والينابيع التي أخذ منها مكنونات شعر الحب والغزل ، ومنها خاله محمد بن لعبون أمير الشعر النبطي في تلك المنطقة :

(19) زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ص 13 .

إنَّ مـا بـي مـن تباريحِ الهـوَى | يُلهـمُ الخَنسـاءَ آيـاتِ الحَـزَنْ
ونُفاثـات قصـيد قـد حكَـى | حَسـرةَ الشَّـوقِ وقوفًـا بالـدِّمَنْ
وجمـيلاً وهـو صـاد يكتـوِي | أشـعلَتْ أشـواقَهُ نـارُ المحَـنْ
عُـذرةً بـالطُّهرِ في عُشَّـاقِها | تزدَهـي بـالفَخر فِـي طُـول الـزَّمنْ
بجميـلٍ وبُثَـينٍ والهَـوى | وبِشـعرٍ يتَغَنَّـى بـالأغنْ
أيـن قـيسٍ وجُنـونٌ مسَّـهُ | ومُحـبٌّ تبـعَ المجنـونَ جُـنْ
ولهيـبٌ في حريـقٍ جَمـرُهُ | أحرقَ المحسنَ في عِشقِ الحَسنْ[20]
وأنـينُ الخـالِ قـد أوجَعَـهُ | بُعـدُ مـيٍّ بـين طَلحَـة والحَسـنْ[21]
لَـو جَمَعناهـا أحاسيسـا فَمـا | عـدلَت حسَّـا برُوحـي مُـرتَهَنْ
يَتَلـوى مـن سـنينٍ يبتغِـي | أن يـرى البَـدر مُشـعًّا بالـدَّجَنْ
بليـالٍ عشـتُها ذُقـت بهـا | مُـرَّعيشٍ أزدريـه أو كَمَـنْ
يتبـعُ الطَّيـفَ ويجـري خلفَـهُ | فيـرَاه بسـرابٍ قَـد كَمِـنْ
لسـتُ أرجـوُ عودَهـا فهـي التـي | قَلَبَـت لي يومَهـا ظهـر المِجَـنْ
يـا ليـالي الوَصـل عُـودي فلقَـد | مـلَّ صَـبري وفـؤادي سـيُجنْ

لكن قد يذهب البعض في تفسير ظاهرة الشعراء العذريين بـأنهم لم يتغنـوا بطهـارة الحـب إلا بسبب الضعف ، ويزعمون أن عفافهم لم يصدر عن تحليق وإنما صدر عن إسفاف ويرد د. زكـي مبارك على هذه المقولة المراوغة بقوله أنه لو فكر أولئك المتفلسفون لعرفـوا أن الشـاعر يتـأّذي من الغايات الوضيعة ، ولا يرضى عن المرأة إلا أن شاركته في السموّ إلى الآفاق الروحية ، وحمَّلته من مكاره الحب ما يملك به القدرة على النُّواح والأنين .

(20) يشير الشاعر إلى منطقة الحريق بنجد وإلى أميرها الغزلي الشاعر محسن الهزاني .

(21) الخال هو الشاعر محمد بن لعبون أمير الشعر النبطي وهو خال الشاعر ، أما طلحة والحسن فالشاعر يشير بهما إلى موضع خيام «ميّ» محبوبة ابن لعبون وطلحة الصحابي المشهور والحسن البصري الزاهد من القرن الثاني الهجري وكلاهما مدفون في تلك المنطقة .

الشاعر يطلب غايةً مجهولة في العالم المجهول ، وهو يكره أن تكون معشوقته إنسانة هينة لينة يملك من سرائر جمالها ما يشاء حين يشاء ، ومن هنا صح ما قيل إن المجنون تناومَ في حضرة ليلاه ليراها في تهاويل الطيف وإنما كان ذلك لأن الصورة النموذجية للمرأة الجميلة لا يمثلها الواقع كما يمثلها الخيال .

وليس من الحتم أن تكون الأحزان هي غاية ما يطلب الشعراء فللشعراء أفراح، ولكنها غير أفراح الناس ، هي أفراح سماوية يرون بها الفردوس من قبل عهد الفردوس .

والشاعر لا يرى المرأة مخلوقة من لحم ودم وأعصاب ، وإنما يراها سبيكة نورانية صاغتها المقادير وفقًا للجوامح من أهوائه الساميات .

الشاعر روحٌ مقتحِم لا تطيب له الغزوات إلا في الآفاق الروحانية وهو يشعر بالذلة حين ينحط إلى المدارج الأرضية .

الشاعر – وعند الله جزاء الشاعر – هو مَلكٌ موَكلٌ بنقل الناس من ضلال إلى هدًي أو من هدى إلى ضلال ، ولن يكون كذلك إلا حين يحدثهم عما لم يكونوا يعرفون ، ويصل بهم إلى آفاق كانت عندهم من المجاهيل ، هو قوةٌ علوية تصوِّر المستحيل فتجعل الباطل حقًا في أحيان وتجعل الحق باطلاً في أحايين .

الشاعر هو الروح الوحيد الذي يستصبح بظلمات الليل والذي يتخذ من خياله سُلمًّا يرقى به إلى معارج السموات الروحانيَّة.

ويمضي زكي مبارك فيصف الشعراء بوصف مثير للخيال [22].

الشاعر كالمجنون في لغة القرآن الشريف ، وإنما كان كذلك لأنه رفع نفسه عن آفاق الناس فلم يعرف ما يعرفون ولم ينكر ما ينكرون .

الشاعر روحٌ ثائر لا يعرف القرار والهدوء والاطمئنان .

هو جذوة من اللهب المقدِّس الذي يضطرم به الوجود .

(22) المرجع السابق / ص 14 .

هو طائرٌ يرى الخوف في آفاق السماء أفضل من الأمان فوق وهاد الأرض .

هم قوم شغلوا أخيلتهم وأوهامهم وأحلامهم بتعقب الصورة الجميلة التي راضتهم على النوح والبكاء ، وما زالوا يطوفون حول هواهم حتى توهموه بابًا من أبواب الجهاد ، وحتى رأوه فرصة من فرص الاستشهاد :

يقولون جاهدْ يا جميل بغزوة   وأيُّ جهاد غيرهن أريدُ

لكل حديث عندهن بشاشة   وكل قتيل بينهن شهيدُ

وأولئك الفارغون يستحقون العطف ، وقد يستأهلون الإعجاب ، لأن الدنيا كانت تمسى مسارب صِلال ، ومدارج ذئاب ، لو خلت من تلك القوة الروحية ، التي تجعل الحب شريعة من الشرائع ، والتي تجعل من الوجد بالملاح مُروجًا نتفيأ ظلالها حين يلفحنا الهجير في صحراء الوجود .

وما الموجب للرياء ؟

هل في الدنيا رجل عظيم لا يشكو قسوة الظمأ إلى الشعر والموسيقا من حين إلى حين ؟

وأين الرجل الذي قُدَّ فؤاده من الجلاميد فلا يحسّ أغاريد الحب ولا أهازيج الغناء ؟

أين الرجل الذي لا يروعه دخول أرْمان في قبر مرجريت ؟

أين الرجل الذي لا يهوله ما حدَّث ابن حزم عن العقيلة التي قضت الليل في حضن زوجها الميت لتذوق مرارة الألم لآخر العهد بالوصال !

ليست الدنيا في جميع أحوالها مُضاربات أسواق ، وميادين حروب ، والأمم الشقية هي التي لا ترى الدنيا إلا مضاربات أسواق وميادين حروب .

ثم ماذا ؟

ثم يصل زكي مبارك إلى الغرض الأساسي وهو تعريف الحب العذري وسماته وملامحه وألوانه فماذا يقول ؟[23].

«الشاعر العذريّ يخلق للمرأة شمائل تميِّزها عن سائر بنات حواء ، فهو يخلق منها قوة روحية تسيطر على مسالك ضلاله ومذاهب هداه ، هو يراها أمنع من الظبية العصماء ، وقد يراها أبعد من نجم السماء .

المرأة عند الشاعر العذري مِثالٌ رائع لا تحدّه الأوهام ولا الظنون هي جِنيَّة لبست ثياب المرأة لتخبله وتستبيه بلا ترفق ولا استبقاء .

ومن المؤكد أن الناس يعجبون من الخبال الذي يتمتع به الشعراء العذريون ، وهو في الواقع خبالٌ سخيف لا يرضي عنه إنسان وفي رأسه عقل !

ولكن يظهر أن القلوب لها أحوال غير أحوال العقول ، وإلا فكيف جاز أن يكون العذريون قوةً أدبية وروحية يُشغَل بها الناس من جيل إلى جيل ، وكيف جاز أن تُنصب الموازين لشعرهم في بيئات تنكر اللهو والمزاح ؟

تلك عُقدة نفسية تنتظر الحل ، وتوجب على أهل الرأي أن يختصوها بجانب محلوظ من العناية والاهتمام .

«وأهم ما يجب تقييده هو النص على مذاهب أولئك العذرين في الحياة ، وهم في أغلب أحوالهم لم يكونوا رجال أفعال . **Hommes d,action**

فليس في التاريخ شواهد تدل على أن حَيَواتهم كانت فيها شواغل جدية تصرفهم عن التغني بالصبابة والوجد ، وتجنبهم عواقب ذلك الخبال السخيف .

(23) زكي مبارك : العشاق الثلاثة .

الحب العذريّ حقيقة من الحقائق ، وليس فرضًا من الفروض ، ولا يرتاب في الحب العذري إلا الذين ضاقت منادح أهوائهم فلم يَجْروا إلا في ميدان الحسن المبذول ، وألئك قومٌ يمشون في دينا الحب مشيَ المقيد في الوحل ، فلا يتعالون إلى فكرة سامية ولا يتسامون إلى مقصد رفيع [24].

ولكن هل يكون الحب العذري وهمًا من الأوهام لأنه يفترض أن يتخلى الإنسان عن طبيعته الإنسانية ويزهد في المتع الحسية ؟

وهل يستطيع شاعر الحب العذري أن يجاهد ليجعل لهذا الحب حظًا من الوجود الوهاج ؟

يرى زكي مبارك أن الحب العذري لا يقوم على الزهد المطلق في المتُعة الحِسيَّة وإنما يقوم على أساس الصّراع بين روحين يغالبان مطامع الأفئدة ومطالب الحواسّ .

الحب العذري هو معركة عنيفة تقع في ميدانين : الأول ميدان الصراع بين الشاعر وهواه ، والميدان الثاني ميدان القتال بين الشاعر ومن يهواه ، وهو في الميدان الثاني لا يطارد فريسة تُنال بأيسر الجهد ، وإنما يطارد ظبية عصماء لا تُنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال .

والحب العذري حين نتصوره هذا التصور لا يكون إلا رياضة أخلاقية ، وقد كان كذلك بالفعل في أنفس من أقبلوا عليه من أعاظم الشعراء ، وذلك سرّ القوة في النسيب الذي صدر عن أولئك الرجال ، القوة التي قضت بأن تنتقل من أرض إلى أرض ومن جيل إلى جيل وهو في روعته الباقية وجلاله المرموق .

وهل كان يمكن أن يفتخر العذريون بالعفاف وهو في شرعة الفحول من الخيبة لو لم يكن ذلك العفاف علامة قوة عارمة تمثل السيطرة على أهواء النفس ؟

---

(24) العشاق الثلاثة / ص16 .

إن أشعار المُجون لم تُقابل في أي أرض ولا في أي جيل بغير الاستخفاف ، فما سبب ذلك ؟

السبب هو أن أشعار المجون شهادة على أصحابها بالضعف والانحلال ، فسيطرة الرجل على المرأة سيطرة حسية ليست من المطالب العالية ، وإنما يشرف الرجل حين يجعل من هواه ميدانًا للصراع بين الرشد والغي ، والهوى والضلال[25].

هذا هو تفسير د .زكي مبارك (1891 – 1952) للحب العذري واختلافه عن الحب الحسي ؟

فأين شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين من الشعر العذري ؟وكيف عبر عن مشاعره وأحاسيسه وعن وجدانه العاطفي نحو محبوباته ؟

إذا طالعنا دواوين الشاعر وجدنا قوة الإفصاح عن سرائره الوجدانية التي تغنى فيها بصوت قلبه العاشق المفتون .

فلنقرأ هذه المناجاة الحارة للحبيب الهاجر من قلب أمضّه الشوق والحنين الذي يبيت الليل ترعاه همومه وأشواقه يناجي روحها الظلوم وقد استبد به جمر الظنون وأشواق الحنين [26]:

(25) زكي مبارك / العشاق الثلاثة / ص 18 .

(26) بوح البوادي / جمر الظنون / ص 38 .

سَـلي رُوحـي غـداة الشّـوقُ حَـلاْ وذَابَـت مُهجتـي في جمْـرِ ظنِّـي
أبيــتُ اللّيــل تَرعــانِي هُمُــومي وأنجمُـــهُ تُراعينـــي وحُــــزني
أنــاجي الــروُّحَ أعــذِلُها لكِــي لا يُمزُّقهــا اشــتياقٌ فيــه حَينــي
تُبـــادلُني التَّوَجُّـــعَ والتأْسِّـــي وتحمــلُ أصــعبَ الآلام عَنِّــي
أخادِعُهـــا لأُشـــعِرهَا بـــأنِّي يُدَغـدِغُني الكَـرَى وتَغُـطُّ عينـي
ولكـــنَّ السَّـعير رَعِـي بَجـوفِي ففـضَّ هنـاءتَي وأشـابَ سِـنِّي
سـلي رُوحـي أسَـاهِرهُا لِصُـبح فَهَــل أنبئــت أوتَــدْرين أنِّــي
أمضِّـي العُمــر في ذِكــرى ليــالٍ مَضَـت بوِصَـالهَا وأتـت بِبَـينِ
أعيــدي مُنيتــي وصـــلاً عَفتــهُ سُـــنونٌ مُـــثقلاتٌ بـــالتّجَنِّي
لِنَهْنـــأ يـــا رَفيقَـــةُ مــلءَ دُنيـــا يُغــازلُ حُسـنَها زَهــرُ التَّمَنِّــي

وعندما يستبد الشوق والحنين لا يجد أمامه إلا نجوم السماء في ليله الطويل ليكـون رسـولا للحبيب النائي الذي حوله إلى قيثارة تعزف أشجى ألوان الحزن والأسى والأنين [27]:

يـــا ربَّـــةَ الشِّـــعْرِ والأطيـــافِ زُورينـــي فَقَـــدْ سَـــئمتُ نـــدائي يـــا رُؤى زُوري
تمضـــي السُّـــنونُ ثقـــيلاتٍ كـــأنَّ بِهـــا سَلاســـلاً رُبطـــتْ مِـــنْ عَهـــد ســـابُورِ
تمضـــي السُّـــنونُ فـــلا طعـــمً ألـــذُّ بِـــهِ وســـامِرُ الحَـــيِّ تبكيـــه مزاميـــري
سَـــلُوا القـــوافِي فَقَـــد أرقصـــتُها طربًـــا وخِلتُهـــا رقَصَـــت جَـــذْلِي لمَقْهُـــورِ
يَـــا أيُّهـــا الـــدَّهرُ والأيَّـــام قـــاتِلتي أمَـــا عَطَفَـــت عـــلى وَلهـــي ومأسُـــورِ
للهِ درُّهُمـــا قلبـــانِ مـــا وهَنَـــا رغـــم السِّـــنينِ وويـــلاتِ النّـــوى العُـــورِ
يـــا ربَّـــةَ الشِّـــعرِ والإلهـــامِ يـــا أمَـــلي طُـــوفي بِفِكـــري يـــا نَجمًـــا بـــديَجُوري

(27) بوح البوادي / وتمضي السنون / ص39 .

قــد ضــقتُ ذرعًــا بناســي والحيــاة ومــا   حــول الحيــاةِ لجِــرُح فــوق مقــدُوري
أمضـــي وتبقـــى عُهُـــودٌ ذُقـــتُ لـــذَّتَها   مــا ينقضــي وصــفُ منظُــوم ومنثُــورِ
يــا أنْجــم اللّيــل هــل شــاهَدتُم دنِفًــا   مــثلي طــواه الأســى طيًّــا كمســحور
يــا أنْجــم اللّيــل هــل نــادمتُم قمــرًا   مِثْـلَ الحبيـبِ الَّـذي يهـوى تعـابيري
تقــولُ لِــي والأســى يمحــو تبَسُّــمَها   مــا أبــدعَ الشِّــعرَ إحساسًــا بتعبيــرِ
أمَّــا أنــا فشــعوري حــينَ أذكُــركُم   يقــولُ للنَّــارِ في أعماقِهــا غُــوري

ويشكو الشاعر من حرارة الهجر وقسوة البين الذي جعله يسهر الليل وحيدًا يناجي خيال حبيبه النائي [(28)]:

أحـــبُّ حبيبتـــي حتّـــى الثّمالـــه   وأســـكَرُ إذ أراهـــا دُونَ خَمـــرَهْ
وتحـــرِقُ مُهْجَتِـــي نِيـــرانُ نـــأيٍ   إذا طَـــالَ الفِـــراقُ وزادَ هَجـــرَهْ
وتعصـــفُ في فـــؤادي ريـــحُ شـــوقٍ   يَئِـــزُّ بِهَـــا الحَشَـــا وتزيـــدُ جَمـــرَهْ
فَتَـــذرِفُ دَمعَتـــي حـــرَّي لَعَلَّـــى   أعـــالِجُ لَوعـــةً كالثَّكـــل مُـــرَّهْ
أذوبُ مشـــاعِرًا لأنـــيم نـــارًا   رَعَــت في القلــبِ تَحــرقُ فيــه صَــبرهْ
رعـــاكَ اللهُ يـــا زَمنًـــا تقَضَّـــى   فَهَـــل مِـــن عـــودَةٍ لربُـــاكَ مَـــرَّهْ
زمـــانَ الوصـــلِ قـــد ذُبنـــا حنينًـــا   لِمَغنَـــى حُبِّنـــا رَوض المَسَـــرَّهْ
فألقاهـــا وتلقـــانِي بِشَـــوقٍ   يَقُـــصُّ مـــن الهَـــوى مـــا قـــد أسَـــرَّهْ
وتنجـــابُ الكآبـــة عـــن وجُـــودي   ونطـــوى الهَجـــرَ والماضـــي وقَهـــرَهْ
فطَعـــمُ البَـــيْنِ مُـــرٌّ في كيَـــاني   وويـــلٌ للَّـــذي قَـــد ذاقَ أســـرَهْ
يَصُـــدُّ النَّـــومَ عـــن جَفنـــي مُقيمًـــا   كـــأنِّي طالِـــب لليـــل فَجـــرَهْ

(28) بوح البوادي / طعم البين / ص58 .

أمَـــــا آن الأوانُ نُعيـــــدُ حُبًّـــــا   لنُحيـــي فيـــهِ بالأشـــواقِ عُمـــرَهْ

ونَلهـــــو في مغانيـــــه انتشـــــاءً   ونجنـــــي وَردَهُ ونَشُـــــمُّ زَهـــــرَهْ

وثالثُنَـــــا مـــــلاكُ الحُـــــبِّ يَرنُـــــو   لطـــيِّ البَـــيْنِ نُخفيـــه وذِكـــرَهْ

وبعد أن يضنيه هجر الحبيب ونأيه لا يجد إلا بدر الليل في البادية يناجيه ويناديه ويسأله متى يوافى حبيب القلب ومتى يحن قلبه على هذا الصب الحزين الظمآن لوصل الحبيب النائي فيناجي بدر الليل بقلب ملتاع قائلاً[29]:

يـــا بَـــدرَ اللّيـــل متَـــى يُـــوفى   محبـــوبُ القَلـــب وأســـعِدُهُ

ومَتَـــى يـــا بَـــدرُ تُدَغْدِغُـــهُ   ذِكـــرُ الأيَّـــامِ وتُرْشِـــدُهُ

يـــا ويَحِـــي ضـــاعَ ووا أسَـــفِي   محبـــوبُ الأمـــسِ وموعِـــدُهُ

قـــد نَفِـــدَ الصَّـــبرُ فـــلا أمَـــلٌ   أن يَحمـــي القَلـــبَ تُجَلُّـــدُهُ

أخشـــى تَنهـــارُ صَـــلابَتُهُ   ويُـــذيبُ العَـــزمَ تـــرَدُّدُهُ

يـــا لَيْـــل البَـــدرِ أتوصـــلُهُ   بَحـــرُ الأشـــواقِ وتـــوردُهُ

وهُـــو الظّمـــآنُ لـــذي مَـــرحٍ   بظِـــلالِ الـــدَّارة مقعـــدُهُ

إن ظَـــلَّ البُعـــدُ يُـــؤرقُني   فحبيـــي أُرِّقَ مَرقِـــدُهُ

وحبيـــي أدنَفَـــهُ بَـــينٌ   يســـري بـــالجرح فيُوقـــدُهُ

وفـــؤادي مـــن سَـــيَرقّ لَـــهُ   وضِـــرامُ العِشـــق يُهدهِـــدُهُ

ونعـــيمُ الحُـــبِّ يعـــاودُهُ   وكِتـــابُ العِشـــق يُخَلِّـــدُهُ

يـــا عشـــقًا هَدَّمَـــهُ بـــينٌ   قـــد كـــانَ الوَصـــلُ يُشـــيِّدُهُ

ومُحبًّـــا أســـقَمهُ سُـــهدٌ   يَحكـــي الأحـــزان تَنَهُّـــدُهُ

وكِلانـــا أنهكَـــهُ نـــأيٌ   قـــد ضَـــلَّ طريقًـــا مُرشـــدُهُ

(29) بوح البوادي / بدر الليل / ص 59 .

ويتحسر الشاعر على ضياع الأمل، وهجر الحبيب فيبكي الأمل الضائع، ويناجي البدر علـه يصل إلى محبوبه ويبلغه سلامه وشوقه، وهذا غاية التعبير عن المحب القانط الذي يتشبث بالأمل حتى ولو كان وهمًا عسى أن يسمعه الحبيب النائي.

يقول عبد العزيز سعود البابطين مناجيًا البدر في ليالي السهر والسهاد والحنين(30):

أتَـــذْكُرُ إذ سَـــهرنا اللَّيـــل نَـــروي	مِـــنَ الـــذِّكرى حكايـــاتٍ طِـــوَالا
ونَجتَـــــرُّ الأمـــــاني حَالمـــــاتٍ	وأعمَـــــاقِي تُناجِيهَـــــا جمـــــالا
ونَغـــرَقُ في خِضَـــمِّ اللَّيـــل آنًـــا	فَنَحـــبِسُ في حَناجرِنـــا المقَـــالا
ويُطربَنـــا سُـــكونُ الليـــل حتَّـــى	لَنَحسَـــبُ أنَّ مَـــن فِـــي الكَـــونِ زالا
ونَســـمعُ مِـــن غِنَـــاءِ الكَـــونِ لحنًـــا	فـــلا نَـــدري يمينًـــا أو شِـــمالا
سُـــقينَا المُـــرَّ فِـــي زَمَـــن تنَـــاءتْ	منازِلُنـــا فأبعَـــدتِ الوْصَـــالا
شـــكاتِي حـــينَ أشـــكوها لِنَفســـي	تَحِـــزُّ بِهَـــا فَتجـــأرُ كالثُّكـــالى
وَيعتصِـــرُ الأسَـــى قلبـــي وحِسِّـــي	وأعمـــاقِي تُـــرَدِّدُ ألـــفَ لألاَ
أنَـــاجِي البَـــدر عـــلَّ البـــدر يَرنُـــو	لِسَـــاهِرةٍ نَضَـــت عَنهـــا الكَـــلالا
لِيُخبِرهَـــا بـــأنَّ العَهـــدَ بـــاقٍ	بِـــرَغمِ البـــينِ لا يَرضـــى زوالا
أعيـــدي الصَّـــفو في نفســـي ورُدِّي	أكاذيبًـــا وأوهامًـــا ثِقـــالا
فـــإنَّ الـــنَّفس تُحييهـــا الأمَـــاني	وإن خَسِـــرتْ مَـــعَ الحُـــبِّ النِّـــزَالا
أعِيـــدي الـــوَهم في قلبـــي فـــإني	أحِـــنُّ إلى العَـــذَابِ وَلـــو خيـــالا

(30) بوح البوادي / غناء الكون / ص72.

ولكن قد يتمرد القلب وتثور مشاعره وتأبى كرامته وعزة نفسه على الهوان حين تستبد المحبة وتعبث بمشاعر العاشق الهيمان ، هنا تثور كرامته ويرفض الهوان ويعلنها صريحة أنه لن يعود إلى حماها بعد أن هدمت صرح الهوى وبعد أن أثخنته بنيران الهجر والصدود والهجران . فيعلنها أنه لن يعود مهما استرحمت دقات قلبه المجروح [31]:

يا دَعدُ إنِّي قد سَلَوْتُ هَوَاكِ ... ونسيتُ ليلاً ضمَّنا بلقاكِ
وتباعَدَت أيَّامُ حُبٍّ عِشتُها ... كانَ الهناءُ يَلُفُّنَا وبهاكِ
يَومَ الأماني حَولَنَا رَقَصَتْ لَنا ... جَذلِي بحُبٍّ قد سَما بِعُلاكِ
ونَسيمُ نيسَانَ الرَّهيفُ بَليلتِي ... مُتمايلٌ قد أسكَرَتهُ رُؤاكِ
والوَردُ يَضحكُ والزُّهُورُ بِعطِرها ... تَهفو تُناجِي بالأريجِ سَنَاكِ
وتحُفُّ بالرَّكبِ الصَّغِيرِ لواعجٌ ... عند الوَداعِ فَترتوي عَيناكِ
وبدأتِ يومًا تجرحين حشاشتي ... وَزَرعتِ قلبي جارحَ الأشواكِ
وهدَمتِ صَرحًا شادَهُ ربُّ الهَوى ... ألَقُ الشُّموخِ بِهِ نَمتهُ يَداكِ
وتُعربدُ العشرون خلف سنيننا ... وتزيدُ عَشرًا غالَهُنَّ نواكِ
ويضيعُ عُمرٌ هَدَهدتهُ يدُ المُنى ... كانَ المُرفَّهَ قَبلَ أن يَلقاكِ
ورَجعتِ مُثخَنةً بجُرحِ ملؤُهُ ... مُرُّ الصَّبابةِ والهَوانُ البَاكِي
لنُعيدَ ما كانَ الزمانُ بِهِ شدا ... مُترنَّما بِهَواكِ في مَغناكِ
أنا لَن أعودَ إلى الهَوى بعدَ الذي ... قد كانَ مِنكِ وما جَنَاهُ هواكِ

(31) بوح البوادي / لن أعود / ص 73 .

وبعد أن يتحطم الحب ويتفرق المحبين يقف الشاعر العاشق على أطلال الحب الضائع يبكي ذكريات الأمس الغابر فيقول [32]:

قَضَـــيتُ العُمـــرَ أشــــدو بالتيــــاع ... بـــأطلالِ الهَـــوى أبْكِـــي جِراحـــا

وكـــانَ الحُـــبُّ صـــرحًا مِـــن وفـــاءٍ ... تســـامى ذِروةً فعـــلا الرياحـــا

تهـــاوَى لوعَـــةً فِـــي إثـــرِ هَجـــرٍ ... فآهـــاً للّـــذي ولّـــى وَرَاحـــا

رثيـــتُ لمُهجَتـــي تَقضـــي أنينًـــا ... وزفرتُهـــا تُناوشـــنُي صِـــياحا

أأيَّـــامِي أمـــا تَـــدرينَ أنّـــي ... كطيـــرٍ صـــار مســـلوبًا جَناحَـــا

فأســـأل لِيلتِـــي هـــل يـــا تُراهـــا ... تعـــودُ لوصـــلنا وكفـــى نُواحـــا

أجـــابَ الليـــلُ هـــل يرضـــى بعـــادٌ ... ســـلامًا بعـــد أن شـــهرَ السِّـــلاحا ؟

وأوغـــلُ في ظـــلامِ الليـــلِ يأسًـــا ... أهَدهِـــدُ لـــوعَتي والـــدَّمعُ باحـــا

وتختـــالُ المُنـــى حُلمًـــا بـــأنِّي ... طويـــتُ الحُـــزنَ أرتقَـــبُ الصـــباحا

لتَلتَـــئِمَ الجـــراحُ جـــراحُ عُمـــري ... ونســـلُو بُعـــدنا فالوصـــلُ لاحـــا

وأحكـــي قصَّـــةَ الآلامِ ذكـــرى ... جلاهـــا القَلـــبُ عنِّـــي واســـتراحا

ويكفينـــي قِـــراءَاتُ اللّيـــالي ... وأبدِلُـــهُ بِأنَّـــاتٍ مِراحـــا

ونرعـــى في مغـــاني الحُـــبِّ صـــفوًا ... ونُطلـــقُ في مراتِعِـــه سِـــرَاحا

فتـــوقِظني النَّوائِـــبُ ويـــلَ قَلبـــي ... بـــأطلالِ الهـــوى أبكـــي جِراحـــا

(32) بوح البوادي / أطلال الحب / ص 75 .

لكن الشاعر العاشق ما فتأ يستعيد طيف الحبيبة في ليالي سهره وعذابه ، فيسعده الخيال ، ويطفئ نيران قلبه المعنى ، فيستعيد الأمل في لقياها بعد أن أضنته لوعة الفراق [33]:

إذا لاحَ طَيْفُها بالدُّجى   إخالُ الضُّحى في الدُّجى ساريا
ويسْكُبُ ربِّي مِنْ نُورِهِ   على الكَوْنِ ما يَسْحَرُ الرَّائيا
وما كنتُ ألمَحُهُ بالظُّنونِ   أراهُ بعيْنَيَّ لي باديا
ويَفْرَحُ قَلْبِي بما قَدْ بَدَا   مِنَ الحُسْنِ في أفْقِهِ زاهيا
فَيْطَغى السُّرورُ وسَرْعانَ ما   يُولِّي وَيتْركُنِي شاكيا
أضيعُ بتِيهٍ بَعيدِ المَدَى   إخالُ السَّرابَ بهِ هاديا
سَئِمْتُ الفِراقُ وأشْجانَهُ   فكنْ منهُ يا طَيْفُ لي شافيا
فَطَيْفُ الحَبيبةِ حينَ يَهِلُّ   أرَى السَّهْلَ يَخْضَرُّ والوادِيا
ويُعْطِي لَهُ الشِّعْرُ ديوانَهُ   وَأغْدو لِديوانِهِ راويا
كَفانِي طَيْفَ الحَبيبةِ إمّا   بَدَا لي ، فَأرْنُو لهُ راضيا
وَيغْمُرنِي سِحْرُهُ حالَما   أراهُ فأُسْلِمُهُ حالِيا
أجيرُ بهِ القَلْبَ مِنْ هَجْرِها   وأشْكو لِسُلطانِهِ ما بيا
نَعِمْتُ مَسَاءً أيا طَيْفَها   وغَنّاكَ صوتُ الهَوى شاديا
فلا تَبْرَحنَّ خَيالِي وكُنْ   سميرًا على خِلِّه حانيا
وزدني حنينًا إلى غادةٍ   يَظَلُّ غرامي بها وارِيا
لقدْ آنَ أنْ نَلْتَقِي بَعْدَمَا   فَأبْقَى لِحبِّي وَيبْقَى لِيا
أُردِّدُ إنْ لَحْتِ لي بالدُّجى   إخالُ الضُّحَى في الدُّجَى ساريا

(33) مسافر في القفار / طيف الحبيبة / ص 121 .

ويسأم شاعرنا من الغربة والاغتراب ويتمرد ويثور عليها لأنها تبعده عن حبيب القلـب ، ولا تترك له سبيلا إلا طيفها الساري في خياله يناجيه ويناديه عله يسعد بما لم يجده في الواقع [34]:

سَــئِمتُ اغْترابِــي وطُــولَ السَّــفَرْ ... ولُمْــتُ عــلى الهَجْـرِ مَــنْ قَــدْ صَـبَرْ

وطــالَ اشــتِياقِي إلى مَــنْ أُحِــبُّ ... مَــلاذيَ مِــنْ كُــلِّ هــذا الضَّــجَرْ

وَأرْنُــو إلى طَيْفِهــا كُــلِّ حــينٍ ... وفي كــلِّ حــينٍ أراهُ ظَهَــرْ

فَطيــفُ الحَبيبــةِ إمَّــا بَــدا لي ... هُــوَ الشَّــمْسُ في غُرْبَتِــي والقَمَــرُ

أخِــفُّ إليُــهِ لأُغْــرقَ ذاتي ... بِــدُنْيَا يَطيــبُ إليها النَّظَــرْ

ويــأمُرنِي طَيْفُهــا بالوَفــاءِ ... فــأذْعِنُ دوْمًــا لِمَــا قَــدْ أمــرْ

يُحــرِّكُ فِــيَّ الحَنــينَ إليْهَــا ... إلى عــالَمٍ في سَــناها انْحصَــرْ

فَمَــا هِــيَ إلا جَمــالُ الوُجــودِ ... بمــا بــانَ مِــنْ سِــحْرِه واسْــتَتَرْ

إذا مَــرَّ في خــاطِري رَسْــمُها ... أرَى كُــلَّ مــا أشْــتَهى قــد حَضَــرْ

تُــدارُ عَلَــيّ كــؤوسُ المُنَــى ... ويَفْــرَحُ قَلْبــي وَيَحْلــو السَّــهَرْ

وَتَــرقُصُ حَــوْلِي صَــبَايا الجِنــانِ ... عــلى نَغَــمٍ مِــنْ رنــينِ الــوَتَرْ

فمِــنْ ذاتِ لَفْــظٍ رخــيمٍ شَــهِيٍّ ... ومِــنْ ذاتِ لَحْــظٍ جَميــلِ الحُــوَرْ

وَغيْــداءِ ســاحرةِ الــوَجْنتَينِ ... تَلاقــي الــدَّلالُ بهــا والخَفَــرْ

وَهَيْفــاءَ ماسَــتْ بِقَــدٍّ مَشــيقٍ ... فمالــتْ عليْهــا غُصــونُ الشَّــجَرْ

بَلَــى طَيْفَهــا عَــالَمٌ مِــنْ جَمــالِ ... تَوالــتْ بــهِ كُــلُّ هــذي الصُّــوَرْ

***

(34) مسافر في القفار / قصيدة اغتراب / ص22 .

فمـــا بـــيَ شَـــوقٌ لِغَيْـــرِ سَـــناها ... ومـــا لِـــيَ غَيْـــرُ هَواهَـــا وَطَـــرْ

زَمـــــــانِي تُرفَّـــــــقْ ولا تُشْـــــــقِني ... فَمِـــنْ جَنَّـــةِ الحُسْـــنِ بِـــئسَ السَّـــفَرْ

وبـــــــئسَ الـــــــدِّيارُ إذا لَمْ تَكُـــــــنْ ... مَقامًـــا لأجْمـــلِ مَـــنْ في البَشَـــرْ

فعُـــدْ بـــي إليهـــا حميمـــاً مَشُـــوقًا ... وزدْنِـــي غَرامًـــا بهـــا يـــا قَـــدَرْ

وتتحول مشاعر العاشق المحب إلى قيثارة تعزف أحلى أنغام الهوى والوصال عند وصـولها ، فيبسم الكون وترقص الأطيار ويزهر الليل ، ويمطر غيث الخير عند اللقـاء مـع محبوبـة القلـب والفؤاد [35]:

تُـــراقَصَ الـــوَرْدُ نَشْـــوانًا بَطلَّتِهـــا ... وأمْطَـــرَ الغَيْـــثُ هتّانًـــا يُناغينـــا

وَدَغْـــدَغَتْنَا نُسَـــيْماتُ بهـــا بَلَـــلُ ... تُبْشِّـــرُ القَلْـــبَ باللُّقيـــا فتَهْنينـــا

ونَغْمَـــةُ الفَجْـــرِ في أُنْـــسٍ تُضَـــمِّخُنا ... وَبُلْبُـــلُ الـــدَّوْحِ صَـــدَّاحٌ يُغَنِّينـــا

ومُهَجْـــةُ الكَـــوْنِ لا تُخْفِـــي مِســـرتُها ... فقـــدْ أجـــادتْ طُيـــورُ الـــرَّوْضِ تَلْحِينـــا

وَيَـــرْقُصُ اللَّيْـــلُ ، والألحـــانَ تَسْـــكُبُها ... يَـــدُ الزَّمـــانِ ، فصـــارَ اللَّحـــنُ يُشْـــجينا

وَحَـــرَّكَ الحُـــبُّ في هـــذي الـــدُّنَا وَتَـــرًا ... وأصْـــبَحَ الكَـــوْنُ بالنَّشْـــرينِ يَرْمِينـــا

يـــا حُـــبُّ مـــا أنـــتَ ؟ لا تُفْنيـــكَ غائلَـــةً ... مِـــنَ الـــدُّهورِ ، وتَبْقَـــى أنـــتَ تُفْنينـــا

يـــا حُـــبُّ مـــا أنـــتَ !؟ ..يَشْـــكُوكَ الفُـــؤادُ إذا ... تَعَسَّـــرَ الوصـــلُ أو تحْنُـــو فَتُـــدْنينا

يـــا حُـــبُّ أبْقَـــى حَبيبًـــا طُـــولَ أزمنتِـــي ... رغـــمَ التَّباعُـــدِ ، رغـــمَ البَـــيْنِ يُضْـــنينا

لِمَـــنْ أراهـــا بِقَلْبـــي كُلَّمـــا هَتَفَـــتْ ... وَرْقَـــاءُ في غُصْـــنِها تَشْـــدو أغانينـــا

(35) مسافر في القفار / يا حب / ص 24 .

يــا شــعْرُ أنــتَ أنيســي في مَتاهَتِنــا وأنــتَ أنــتَ الــذي تُمْــلي تناجينــا
وأنــتَ يــا شِــعْرُ لــولاكَ الــذي مَسَــحَتْ أنْغَامُــكَ الــدَّمْعُ مِــنْ أذْنَــى مَآقينــا
لَصِــرْتُ أنْجُــو مَــعَ النَّــاجينَ مِــنْ وَلَــعٍ وصِــرْتَ أنــتَ بَعيــدًا عــنْ تَغنِّينــا
يــا شِــعْرُ قُلْهــا وعبِّــرْ عَــنْ مَشــاعِرنا فالوَصْــلُ بــالوهْمِ يُغنِــي ، بــلْ يُســلِّينا
ألَمْ تقُــلْ : إنَّــهُ في يَــوْمِ طَلْعتِهَــا سَــيُمْطِرُ الغيْــثُ هتَّانًــا يُناغينــا

وفي لحظات الوصال الهنيء لا تسع الدنيا فرحة العاشق المضني حيث يرى كل ما حوله يبسم ويغني ويرقص ويتحول حزنه فرحا وأساه بهجة بجانب الحبيبة التي يراها غرة الدنيا وبهجتها (36):

تَمَايَــلَ السِّــحْرُ جَــذلانًا ومُنْتَشِــيًا لَمَّــا أطلَّــتْ وحَلَّــتْ فِــي مَغانينــا
وَهــبَّ مــن عِطْرهــا الفَــواحِ مــا عَبِقَــتْ بــهِ رَياحينُهــا في جَــوِّ نادينــا
وَدَغْــدغَتْنا أمانينــا مُؤرَّجَــةً تَبَشِّــرُ القَلْــبَ باللُّقيــا فتُحْيينــا
شَــمسٌ مِــنَ الحُسْــنِ والإشْــراقِ بــاهِرَةٌ تُضــيءُ أنْوارُهــا داجــي ليالينــا
حُضــورُها الشِّــعْرُ مَنْغومًــا بخُطْوَتِهــا مــا أرْوَعَ الشِّــعْرَ تَنْغِيمًــا وتلحينــا
قصــيدةٌ .. نَغــمٌ فِــي زيُّ فاتِنــةٍ مِــنَ الغَــوانِي ، فأنْشــدْ يــا مُغْنينــا
تَمُــوجَ السِّــحْرُ مَخْمــورًا بجَنَّتِهــا وراحَ مِــنْ كَأسِــها يَحْسُــو ويسْــقينا
وغَنَّــتِ الطَّيْــرُ تَشْــدُو باسْــمِها طربًــا ورَدَّدتْ في أغانيهــا أســامينا

(36) مسافر في القفار / غرة الدنيا/ ص 62 .

مَفَـــاتنُ الخَلْـــقِ باتـــتْ في شَـــواطِئِها وفي مرافئهـــا باتـــتْ مَرَاســـينا
كـــأنَّ مـــا في ضَـــمير الكَـــوْنِ مـــن فِـــتنٍ جُمِّعْـــنَ فيهـــا ولَيْلَـــى جُمِّعـــتْ فينـــا
كـــأنَّ دُنيـــا الهَـــوَى باحَـــتْ بمـــا كَتمـــتْ عنَّـــا طـــويلاً ، وقـــالَ الـــدَّهْرُ : آمينـــا
أَوَّاهُ يـــا غُـــرَّةَ الـــدُّنْيَا وبَهْجَتَهـــا دُومـــي لنـــا وَبِصَـــوْتِ الحُـــبِّ نادينـــا
مـــا أطْيـــبُ العُمْـــرَ حـــينَ الحُـــبُّ يَغْمُـــرُهُ والشَّـــوكُ في دَرْبِـــه يَغْـــدو رَياحينـــا

ويناجي شاعرنا محبوبه الذي يجد فيه الحب والأمل والنعيم والبهجة وكل شيء جميل في الدنيا :

يـــا حُـــبُّ مـــا أنـــتَ ؟! يَفْنَـــى الـــدهرُ مُنْصَـــرِمًا وأنـــتَ في سِـــرِّنا تَحْيـــا وتُغْوينـــا
فـــإنْ نأيْـــتَ قلـــيلاً عـــن مشـــاعرِنا دَنَـــتْ بِنَأْيِـــكَ – واشْـــتَدَّتْ- مآســـينا
وإنْ تَعُـــدْ عـــادتِ الـــدنيا لنـــا أمَـــلاً وعـــادَ وابلُهـــا يَسْـــقي دَوالينـــا
لســـوفَ أبْقَـــى شَـــغُوفًا بـــالتي جعلـــتْ مِـــنَ الصَّـــحاري بأيَّـــامي بَســـاتينا
وســـوفَ أبْقـــي أُمنِّـــي بـــالهَوَى وَلِهًـــا في مَعْبَـــدِ الحُـــبِّ حـــينَ الشَّـــوْقُ يُشْـــقينا
يـــا حُـــبُّ لـــولاكَ مـــا فاضـــتْ مَشـــاعِرُنا شِـــعْرًا ولَحْنًـــا ، ولا صـــارتْ دواوينـــا
وأنـــتَ يـــا شِـــعْرُ ، يـــا سِـــحْرَ الوُجـــودِ ويـــا سُـــلافَةَ الـــروحِ يـــا أصْـــفَى أغانينـــا

وفي ذروة نشوته وهيامه يرى أن السر وراء سعادته هو الشعر ذلك الفيض الساحر الذي جمّـل الحياة وخضّر الأماني وجعل كل شيء في الوجود جميلاً :

لـولاكَ يـا شِـعْرُ مـا مـسَّ الهَـوَى وتَـرًا — في قلْبِنـــا أو شَـــدا بالحُـــبِّ شـــادينا

ولا تــــــأَلَّقَ في أجوائنـــــا قَمَـــــرٌ — ولا سَــــمِعْنَا خَريــــرًا في سَـــــواقينا

يــا شِــعْرُ قُلْهــا وأسْــفِرْ عــن تــدَلُّهِنا — بمَـــنْ إذا خَطَــرتْ تَسْــبي المُحبِّينـــا

ألمْ تَقُـــلْ إنَّ مـــا في الكَـــوْنِ مـــن فِـــتَنٍ — جُمِّعْــنَ فيهــا ، كمـا قَـدْ جُمِّعـتْ فينـا

ومن فرط ولوعه بالحبيبة بات يخلع اسمها على كل ما في الخليقـة مـن حسـن وجمـال لأنهـا كانت بالنسبة له هي وجه الحياة الباسم المشرق الذي يضيء له الأمل والبهجة في الحياة (37):

وَهَــــوى الرَّفيقــــةِ يَسْــــرِي في دمِــــي — ويــــرفُّ في خفقـــاتِ قلبــــي المُغْــــرَمِ

فاسْــــمُ الحَبيبــــةِ بــــتُّ أخْلَعُـــه عــــلى — مـــا في الخَليقَـــةِ مـــن جَمـــالٍ مُلهِـــمِ

يـــا مَـــنْ إذا اتَّقَـــدَ الغَـــرامُ رأيتُهـــا — في الشَّــمسِ، في قَمَـرِ الـدُّجَى في الأنْجُـمِ

قــد كنــتِ لي في مــا مضــى قَبْــلَ النَّــوى — وجْـــهَ الوُجـــودِ المُشْـــرِق المُتبَسِّـــمِ

هــــاجَ الحَنــــينُ إلى مَرابــــعِ حُبِّنـــا — وهَفَـــا الفـــؤادُ ليَوْمِنـــا المُتَصَـــرِّمِ

والْيَـــومَ بـــاتَ هَـــواكِ ذِكْـــرَى نَشْـــوةٍ — جَـــذْلي ، ومَبْعـــثَ حَسْـــرَةٍ وتَـــأَلُّمِ

وَلَقَـــدْ ذَكَرْتُـــكِ والسِّـــنينُ رَمَـــتْ بنـــا — ذِكـــرَ المُتـــيَّمِ إذْ صَـــبَا لِمُتـــيَّمِ

مـــا زلـــتُ أهْـــوى فيـــكِ كُـــلَّ مَلاحَـــةٍ — لاحـــتْ لعَينِـــي واسْـــتَقرتْ في دَمـــي

أَهْـــوَى زَمَانِـــكِ مَوْسِـــمًا يَحْيـــا بـــه — أهْـــلُ الهَـــوى أنْعِـــمْ بِـــهِ مِـــنْ مَوْسِـــمِ

(37) مسافر في القفار / السر/ ص 65 .

لكن عندما يخلو إلى نفسه في هزيع الليل يعاوده طيف الحبيبة ، فيملأ وحدته بهجة وسعادة ونشوة [38]:

كُلَّمـــا حاولـــتُ أنسَـــى طيفَهـــا	عانـــدَ الطَّيـــفُ وأنْســـانِي الرُّقـــادْ
وأظـــلُّ الليـــل أشـــكو طولَـــهُ	فَتَمَـــلُّ السُّـــهدَ عينـــي والْوِسَـــادْ
ويَمَـــلُّ السُّـــهدَ لَـــيلي كلَّـــهُ	فينـــاجي طيفُهـــا لُـــبَّ الفـــؤادْ
ويُنيـــرُ الليـــلَ قِنـــديلُ الهـــوى	ويَشِـــعُ الحـــبُّ مـــن كـــلِّ الوهـــادْ
وتُـــدوِّي فرحَتـــي مُعلنـــةَ	عـــن لقـــاءٍ كنـــتُ أرجـــو أن يُعـــادْ
وسَـــتَمْلاَ نَشْـــوَتِي ســـاعتها	كـــلَّ أجـــواءِ السَّـــمَا في كـــلِّ وادْ
ويعـــود الحـــب كـــالراح إذا	عتقـــت أعنابـــه ينســـى البعـــادْ
هـــي أحـــلام الهـــوى يـــا ويلنـــا	عنـــدما نصـــحو وينســـانا الرقـــادْ

(38) أغنيات الفيافي (طيف الحبيب) ص 47 .

لكن قد ينكأ طيف الحبيبة جرحًا قديمًا ، فيثير شجون وأشواق الشاعر بعد أن هدأت وسكنت [39]:

يـا طيفَهـا لِـمَ زُرتَنِـي يـا طيفَهـا ... ونَكـأتَ جُرحًـا أبْرأَتْـهُ سِـنُونُ

وَأَثَـرْتَ بـي مَـا كـانَ مخزونًـا مـن الـذْ ... كْـرَى وشَـجوي ذَلِـكَ المخـزونُ

لِتُعيـدَني قَسْـرًا إلى مـا قـد مضـى ... مِـن ذِكْرَيَـاتٍ كُلُّهـنَّ شُـجونُ

لمَّـا جنَـى طَرْفِـي ربيـعَ جمالِهـا ... وأَنَـا بِلَـدْنِ قَوامِهـا مَفْتُـونُ

ونَهَلْـتُ مـن ينبـوعِ حُسْـنٍ آسِـرٍ ... رَفَّـتْ عليـهِ مـن الرِّيـاضِ غُصـونُ

فأتيْـتَ تُـوقِظُنِي علـى مـا فـاتنِي ... في سـجنِ عمـرِي ، والسِّـنونَ سُـجونُ

وتُهـيجُ بـي ظَمئـي القـديمَ لِسـحْرِها ... وتُرينِـيَ الأشـواقَ كيـفَ تكـونُ

يـا قَـدَّهَا الرَّيَّـانَ يَلْـبسُ طَيفُهـا ... كـلَّ المشـاهدِ – مـا عَـداكَ – تَهـونُ

فعـذابُ قلبـي ذكريـاتٌ أُودعَـتْ ... عَطْفَـينِ مِلْؤُهُمَـا صِـبًا وفُتُـونُ

أَفَمَـا مَلَلْـتَ مِـن السُّـرى يـا طيفَهـا ... تُغْنِيـكَ عنـه هَـدْأَةٌ وسُـكُونُ

لا تَشْـقِني فلقـدْ نَسـيتُكَ بَعـدمَا ... أَقْصَـتُكَ عـن نظـرِ المُحـبِّ حُصُـونُ

لا تُـوقِظَنَّ هواجسًـا كَمَنـتْ وَقَـدْ ... ولَّـى الزَّمَـانُ ، وأُهْمِـلَ المَكْنـونُ

وَسَـلوتُ أحـلامَ الصِّـبا وشـؤونه ... لمَّـا اسـتُجدَّتْ في الحيـاةِ شُـؤونُ

ولقـدْ شَـجانِي أنَّ جَفنِـيَ سـاهرٌ ... وأنـا بمنطـقِ حَاضِـري مَسـكونُ

وحَرثْـتَ ذاكـرةَ الزَّمـانِ وجئتَنـي ... فَنكـأتَ جُرحًـا أبْرأَتُـهُ سِـنونُ

---

(39) أغنيات الفيافي / طيف الحسن / ص 181 .

ويخاطب عاذله في الهوى بعد أن استبد به الحب وحوَّله إلى طائر حائر يتنقل من فنن إلى فنن لا يكاد يستقر في مكان واحد ، لأن الوجد مستعر دائم الاشتعال في قلبه[40]:

تـــأتي وتَـــذْهَبُ لا شَـــوْقًا ولا مَلـــلا ولســـتَ تَقْبَـــلُ لَوْمًـــا وَلا عَـــذَلا
كطـــائرٍ بـــاتَ لا يَهْـــدَا عـــلى فـــننٍ تَـــراهُ بـــينَ الفَضـــا والغـــابِ مُنْـــتَقِلا
عَـــلا مُحيَّـــاك حُـــزْنٌ أنـــتَ صـــانِعُهُ وفي فـــؤادكَ يَبْقَـــى الوَجْـــدُ مُشْـــتَعِلا
تَحْيَـــا الأَسَـــى راضـــيًا عَمَّـــا تُكابِـــدُهُ كَمَـــنْ غـــدا الصَّـــابُ في مِعْيـــارِهِ عَسَـــلا
تُنـــادِمُ الطَّيْـــفَ حتَّـــى بـــاتَ مـــا نَقَلـــوا عـــن عِشْـــقِكَ الطَّيْـــفَ، مـــا بـــينَ الـــوَرى مَـــثلا
تَشْـــكُو الحَبيـــبَ وقَـــد أضْـــنَتْكَ سِـــيرتُهُ لمّـــا جَفـــاكَ وأمْسَـــى عنـــكَ مُنْشَـــغِلا
هـــلاَّ تغاضَـــيْتَ عـــن نَـــأْيِ الحَبيـــبِ ، وقـــد أبْـــدَى مِـــنَ الهَجْـــرِ مـــا لا يَبْعَـــثُ الأمَـــلا

***

يـــا عـــاذِلي في الهَـــوَى رفْقًـــا ومَعْـــذِرةً لا يَـــدَّعي العِلْـــمَ بـــالأحْوالِ مِـــنْ جَهِـــلا
لـــو كنـــتَ صَـــبًا وعانيْـــتَ الفِـــراق لمـــا عَـــذَلْتَ «قيسًـــا» عـــلى مـــا في الهـــوَى احْـــتَمَلا
لَـــوْ هَيَّمتُـــكَ بـــدُنْيا الحُسْـــنِ عاشِـــقَةً لَبـــتَّ -ياصـــاح- مِـــثْلي شـــاعِرًا غَـــزِلا
ورُحْـــتَ تَسْـــهَرُ طـــولَ اللَّيـــلِ مُحْتَضِـــنًا خيـــالَ مـــنْ قَـــدْ نَـــأى مِـــنْ بَعْـــدما وَصَـــلا
حتَّـــى إذَا مَـــا أطـــلَّ الصُّـــبحُ مبتســـمًا ظَنَنْـــتَ أنَّ الـــذِي تَهـــواهُ قـــدْ مَـــثلا
وأنَّ في وَجْهِـــهِ مـــن شَـــوْقِه وَهَجَـــا فَرُحْـــتَ تُهْديـــه مـــن وَهَـــجِ الجَـــوَى قُـــبَلا
فالحُـــبُّ يُسْـــكِرُ مَـــنْ لا خَمْـــرَ يَشْـــرَبها سـيّانَ في الحـــبِّ مـــا قَـــدْ خـــفَّ أو ثَقُـــلا
إنَّ المُحِـــبُّ وإنْ فُضَـــتْ جَوانِحُـــه بـــاقٍ عـــلى الحُـــبِّ لا يَبْغـــي بِـــه بَـــدَلا
يَأسَـــى ويَفْـــرحُ مِـــنْ يـــأسٍ ومِـــنْ أَمَـــلِ ولَـــيْسَ يَقْبَـــلُ لا لوْمًـــا ولا عـــذلاَ

(40) مسافر في القفار / يا عاذلي في الهوى/ ص119 .

لكن تظل جمرة الوجد مشتعلة في قلب الشاعر العاشق يظل يعذبه هجر الحبيب ودلاله رغم أنه واحة قلبه وبستان هواه الذي يشدو في رياضه [41]:

يــــا نَجْــــمُ اللَّيْــــلُ مَتَــــى غَــــدُهُ ... ومَتَــــى يرْتَــــاحُ مُســــهَّدُهُ

أيمُــــرُّ العُمْــــرُ ولا أمَــــلٌ ... بلقــــاءِ حَبيبــــي يُســــعِدُهُ

يُبْعِــدُنِي قَــدْري عــن وَصْــلِ الــْـ ... ــمَحْبُوبِ ، وعنِّــي يُبْعِــدُهُ

فأبيْــتُ وقــد أوحــشَ لَيْلِــي ... ونــأَى مَــنْ قَلْبِــي يَنْشُــدُهُ

أتَقَلَّــبُ فِيــه عــلى جَمْــرٍ ... حَــامٍ ، وحنينــي مَوْقِــدُهُ

تَجْتــاحُ الحُرقَــةُ أيَّــامِي ... ويُــذيبُ القلْــبَ تنَهُّــدُهُ

لا يَفْــتَحُ لي أمَلِــي بابًــا ... إلاَّ والفُرْقــةُ تُوصِــدُهُ

يُرْهِقُنِــي الهَجْــرُ ويُجْهِــدُني ... وَيَلــوعُ الخِــلَّ ويُجْهِــدُهُ

يسْــتَهْلِكُ أحْــلامَ العُشَــا ... قِ ، ويُشْــقِي العُمْــرَ ويُفْسِــدُهُ

***

رفقًــا يــا لَيْــلُ بمــنْ لَبِثــتْ ... نيــرانُ الوَجْــدِ تُهــدِّدُهُ

خِلِّــي ، والبَــدْرُ بِطَلْعتِــهِ ... أبْهَــى مــن بَــدْرِكَ مَشْــهدُهُ

يَتَثَنَّــى الغُصْــنُ بقامَتِــهِ ... وَيَشــوقُ القلْــبَ تــأوُّدُهُ

تَجْــري الأطْيــابُ بعــودِ الــوَرْ ... دِ ، إذا مــا مَسَّــتْه يَــدُهُ

هَــو معْنَــى الحُــبِّ وَصَــورَتُهُ ... وَوَحيــدُ الحُسْــنِ ومُفــرَدُهُ

هُــوَ في صَــحْرائي واحَتُهــا ... وبلِيْلِــي الــدَّاجِي فَرْقَــدُهُ

(41) مسافر في القفار / جمرة الوجد / ص123 .

إنْ غَـــاب حَبيـــبُ القلْـــبِ لِمَـــنْ يَشْـــدُو في الـــرَّوْضِ مُغَـــرِّدُهُ
وَلِمَـــنْ يـــتَلألأ بَـــدْرُ اللَّيـــلِ ، ومَـــنْ بـــالنُّورِ يُـــزوِّدُهُ
وَيَطُـــولُ الشَّـــوْقُ إلى قَمَـــرٍ في وجْـــهِ حَبيبـــي مَوَّلِـــدُهُ
يـــا قَلْـــبُ مَتَـــى يَبْـــزَغُ فَجْـــري ومَتَـــى يَرْتـــاحُ مُسَـــهَّدُهُ

هكذا عبر شاعر الحب العذري عن مشاعره فأفصح لنا عن خفقات قلبه وهمسات روجه وصور لنا معاناته في الحب بصدق وأمانة وحرارة في حالات الوصال والهجر ولحظات نعيم الحب وعذاب الحب وأشواكه ، وأهوال الصدود والجفاء ، وتمرد القلب عندما يتعارض حبه مع كرامته وعزة نفسه فالشاعر العذري هنا قد استطاع أن يخلق للمرأة شمائل تميزها عن سائر بنات حواء ، فهو يصنع منها قوة روحية تسيطر على مسالك ضلاله ومذاهب هداه ، وهو يراها أمنع من الظبية العصماء ، وأبعد من نجوم السماء ، وهي في نظره مثال رائع لا تحده الأوهام ولا الظنون ، وهي جنية لبست ثياب المرأة لتخبله وتستبيه بلا ترفق ولا استبقاء على حد تعبير الدكاترة زكي مبارك !

***

ومن هذه الصفات التي يتسم بها الشاعر العذري صفة الوفاء للحبيب ، وهي صفة من صفات العربي الأصيل ، وهذا جانب روحي من حياة الشعراء العذريين ، فالوفاء يعبر عن التماسك الروحي في شخصية العاشق ، وهو من مكارم الأخلاق ، وهو لا يتأتى إلا لكبار القلوب الخفاقة بأسمى المعاني وأكرم السجايا وما أكرم الوفاء في شخصية العاشق .

وعبد العزيز سعود البابطين يعترف أنه لم يخبر الوفاء فحسب بل عاش فيه لأنه سر حياته العاطفية ووجوده (42):

اسْـألوا الشَّـمْسَ .. هَـلْ رأَتْ مِثْـلَ عِشْـقي ... مَـذْ أُنيـرتْ ، أوْ عاشـقًا عـاش مِثْلِـي

عـــاشَ يَسْـــقِي منَـــابِعَ الحُـــبِّ حَتَّـــى ... صـــارَ رَمْـــزًا للحُـــبِّ في كُـــلِّ نُـــزْلِ

يَمْـــــلأ الحُــــــبُّ قَلْبَــــــهُ .. يَتَغَنَّــــــى ... بِنَشِـــيدِ الحيـــاةِ ، غَنَّـــى كَطِفـــلِ

يُمْطِـــرُ الغَيْـــثُ مِـــنْ سَـــمَاهَا ودِادًا ... فَتَضُـــوع الأزْهـــارُ في كُـــلِّ سَـــهْلِ

قَـــدْ مَنَحْـــتُ الحَيـــاة دفْقَـــةَ عِطْـــرٍ ... ضَـــمَّخَتْ بـالأريجِ مَـــنْ كـانَ حَـوْلِي

والبَعيـــدُ البَعيـــدُ يَرْعـــاهُ حُبِّـــي ... عـــلَّ روحـــي تَطالُـــهُ أو لعَلِّـــي

أنـــا أهْـــوَى الجَمَـــالَ في طَبْـــعِ «سَـــلْمَى» ... فَأُحُـــبَّ الجَمـــالَ قَلْبِـــي وعَقْلِـــي

وَلَبِســـتُ الوَفَـــاءَ ، بَـــلْ عِشْـــتُ فيـــهِ ... فَقَهْـــرْتُ السِّـــنينَ ، لا .. لَـــمْ أمَـــلِّ

لَـــن يُحِـــبَّ الجَميـــعَ قَلْـــبٌ كقلبـــي ... أوْ يَـــوَدُّ الجَميـــعَ أكثَـــرَ قَبْلِـــي

أنـــا يـــا شَـــمْسُ إنْ وَدِدْتُ الأناســـي ... فَلأَنِّـــي عَشِـقْتُ –يـا شَـمْسُ –خَلِّـي

اســـألوا الشَّـــمسَ لم تُشَـــاهِدُ حبيبًـــا ... مُـــذْ أُنيـــرَتْ أو عاشـــقًا عـــاشَ مِثْلِـــي

(42) مسافر في القفار / قصيدة رمز الحب / ص 26 .

وهو مخلص للحب وللحبيب مهما تقلبت بهما الظروف حتى لو صـدت أو هجـرت ، لأنـه يؤمن بأن الحب سيبقى أبد الدهر معنى خالدًا في قلوب الناس وحياتهم ويصبح أنشـودة للوفـاء، يقول البابطين [43]:

قفًـــا نَـــذْكُرُ الأيَّـــامَ والوَصـــل صـــافيًا   ووُدًا عفـــاهُ الـــدَّهرُ أبعـــدَ نائِيـــا

وحُبًّـــا قَهرنَـــا الـــدَّهرَ حتَّـــى صَـــفَا لنـــا   فصـــغْنَا عبيـــرَ الزَّهِـــرِ منـــهُ الأمانيـــا

وطرنـــا ســـويًا نعـــتلي الـــنَّجمَ والسُّـــها   ونُنشـــدُ في الآفـــاق مِنـــا التنَّاجِيـــا

ونمـــرحُ في رَحـــبِ الفَضـــاءِ تَهُـــزُّهُ   مَسَـــرَّاتُنا فانحـــاز لـــلأرضِ لاهيـــا

وســـارَت قـــوافي الشِّـــعرِ خَلـــف رِكابنـــا   لتحـــدو بنـــا حتَّـــى عشـــقِنا القوافيـــا

وكـــانَ قـــرينَ الرَّكـــبِ عمـــروٌ وعـــزَّةٌ   وقـــيسٌ ولـــيلى ينشـــدِونَ الأغانيـــا

يزفُّـــونَ عُرسًـــا قـــد سَـــمَا يعروسِـــهِ   بمغنَـــى السُّـــها بـــزَّت رُؤاهُ المغانيـــا

خلـــيليَّ رفقًـــا فالحيـــاةُ قصـــيرةً   ذراني فلـــن أقضـــي حيـــاتي باكيـــا

مُغردّتِـــي بالغُصـــن هـــيضَ جَناحُهـــا   يمينًـــا ســـأبقى راعيًـــا ثُـــم حَانيـــا

فـــإن عقَّنِـــي حَبَّـــى وشُـــرِّد طـــائري   فلســـتُ إلى طيـــفِ ســـواها مُواتيـــا

ســـأبقى ويبقـــى الحـــبُّ بعـــدي خالـــدًا   بشـــدوِ طُيـــور الكـــونِ تحكـــي وفائيـــا

(43) بوح البوادي / وفاء / ص 37 .

وإذا كان قيس بن ذريح مجنون ليلي قد ذكر نوح الحمام :

ألا يـــا حمامـــات اللـــوى عـــدن عـــودة   فـــــإني إلى أصـــــواتكن حـــــزين
فعـــدن فلمـــا عـــدن كـــدن يمتننـــي   وكـــدت بأشـــجاني لهـــن أبـــين
فلـــم تـــر عينـــي مـــثلهن بواكيـــا   بكـــين ولم تـــذرف لهـــن عيـــون

فإن عبد العزيز سعود البابطين شاعر الحب العذري يسعده غناء حمامة الأيك التي تنـزل عـلى قلبه بلسما شافيًا فالشوق يلهمها الشجون وتلهمه وتعلله بوصل الحبيبة النائية [44]:

حمامـــةَ الأيْـــكِ غَنَّـــي الحـــبَّ ســـاجِعَةً   إنَّ الغِنـــاءَ لِقَلْبِـــي بَلْسَـــمُ الشَّـــجَنِ
هيَـــا بنـــا نَتَنـــاجى في مَرابِعنـــا   فالشَّـــوْقُ يُلْهِمُـــكِ النَّجْـــوَى ويُلْهُمنـــي
شَـــكْواكِ شَـــكْواي والأشْـــجَانُ واحِـــدةٌ   فَـــرَدَّدي في مَـــداها مـــا يُعلِّلُنـــي
إنِّـــي لأدْرِي بمـــا تِشْـــكِينَ مِـــنْ وَلَـــهٍ   مِثْلِـــي فَمَـــا ولّـــه الوِرْقَـــاءَ وَلَّهَنـــي
غنّـــي وإنْ كـــان نَوْحًـــا مـــا شَـــدوْتِ بِـــهِ   يَحْيَـــا غَرامِـــي إذا مـــا الشَّـــوْقُ ذَوْبَنـــي
مـــا أعجـــبَ الحُـــبِّ يُشـــقيني ويُســـعِدُني   وأعْجَـــبَ الشَّـــدْو يُشْـــجيني ويُفْرِحُنـــي
إنْ نَكْـــتُمِ الحُـــبَّ لم تُكْـــتَمْ دَلائِلُـــهُ   فَـــنَحْنُ أسْـــراهُ في سِـــرٌّ وفي عَلَـــنِ
أصْـــبُو وأنْغامُـــكِ الرَّوْعـــاءُ تحْمِلُنِـــي   إلى زَمـــان مَضـــى بالـــذِّكْرياتِ غَنِـــي

(44) مسافر في القفار / غناء حمامة/ ص 20 .

في شَــدْوِكِ الآن صَــوْتٌ كنــتُ أســمَعُهُ　　في صَــمْتِ فــاتِنَتِي «لَــيْلى » فيُسْــكِرُنِي

بــاللهِ مَــنْ عَلَّــم الوَرْقــاءَ مــا عَلِمــتْ　　مِــنْ حــالِ صَــبٍّ لأمْــر الحُــبِّ مُــرتَهَنِ

حَتَّــى تَمَكَّنْــتِ مــن إنشَــادِ ســيرتِهِ　　بِصَــوْتِكِ العَــذْبِ صَــدَاحًا عــلى فَــنَنِ

يُطــأَطِئُّ الغُصْــنُ للإنْشَــاد هامَتَــهُ　　وَيرَفَــعُ الزَّهْــرُ أنْظــارًا إلى الغُصــنِ

كأنَّمــا الــرَّوضُ إذْ يُصْــغِي لســاجِعَةٍ　　خَمائــلٌ كَســتِ الفِــرْدوْسَ في عَــدَنِ

***

حَمَامَــةَ الأيْــكِ زيــديني هَــوًّى وَجَــوًّى　　فــإنَّ شَــدْوَكِ في عُرفِــي مِــنَ المِــنَنِ

حُبًّــا لِلَيْلَــى التــي أحْيَــا بعالَمِهــا　　وقــدْ غَــدَا طيْــفُ لَيْلَــى وَحْــدَهُ وطنِــي

غِنــاؤكِ العّــذبُ مِــنْ مَاضِــيَّ قَرَّبنــي　　وعــنْ أسَــى حاضــري المَلْهُــوفِ أبْعَــدني

فَفِيــه مِــنْ كُــلِّ أوْتــارِ الهَــوَى نَغــمٌ　　قــدْ حَــرَّك الشَّــوْقَ في قلبــي وَدَلْهَنِــي

لأنــتِ الغُصْــنُ ميّــادًا بقامتِــه الــ　　ــهَيْفاءِ دُنْيــا لِســحْرِ العــينِ والأُذنِ

في مــا شَــدَوْتِ وفيــه مــا يُــذَكِّرُني　　بــبعضِ مــا مَلكَــتْ «لَــيْلايّ» مِــنْ فِــتَنِ

جُــودي بمــا تَمْلِــكُ الوْرقــاءُ مِــنْ حَسَــنٍ　　يــا طيــبَ مــن جــاد يــا وَرْقــاءُ بالحَسَــنِ

وَرَدِّدِي نغمًــا قــدْ كنــتُ آلَفُــهُ　　إنَّ الغِنــاءَ لِقَلْبِــي بَلْسَــمُ الشَّــجَنِ

لكن الشاعر المحب يعود ليؤكد لملهمته أنها ستظل أغلى ذكرياته وكل آماله وذاته لأن حبها ما زال يسري في عروقه ويناشدها ألا تلتفت لأقوال الوشاة والعذال الكائدين الذين يريدون فرقة المحبين وهدم صرح هناءهم لكنه يود أن يظل حالما بهناء الحب في سبات بهيج لا يود أن يفيق منه خاصة من هؤلاء العذال مفرقين الأحباب والخلان [45]:

أنتِ أغلى ذكرياتي ... أنتِ أحلى أُمنياتِي

أنتِ يا كلَّ حياتِي ... كلُّ آمالِي وذاتِي

هِمْتُ فيكِ يا شَبابي ... ومَشِيبِي وحَياتِي

لم يَزَلْ حُبُّكِ يسري ... بِعُروقي كالحياةِ

أنتِ يا أشهى حبيبٍ ... عَاهدِينِي للمَماتِ

حبُّنَا يبقَى عزيزًا ... رغم كيدِ العَادياتِ

لا تُبَالي بِعَذولٍ ... لامنَا حتَّى المَماتِ

يا عَذُولِي كُفَّ عنِّي ... وَلْتدَعْنِي لِسُباتِي

أنَا لا أرغبُ صَحْوًا ... لا يُوافيني بآتِ

فيهِ تحقيقُ الأماني ... فوقَ كلِّ المُعضِلاتِ

ابتعدَ عنِّي عذولي ... حينَ تَلقاني فَتاتِي

واقتربْ منِّي إذا ما ... آذَنَت دعوى الشَّتَاتِ

إنَّ لومَا منك يجلو ... كلَّ همِّي وأسَاتِي

لا تُصدِّقنِي عذُولي ... فَغْنَائي وصلاتِي

لِحَبيبي فَهو يَدْري ... إنَّه كلُّ حياتي

(45) أغنيات الفيافي / الذكريات الغالية / ص 34 .

ويناشد محبوبته ألا تصدق ذلك العذول الذي يسعى إلى فرقة المحبين رغم أنه يعرف جيدًا مدى حبه لمحبوبته وأنها كل حياته رغم أنف الكائدين والعزل . !

وعندما يسمع تغريدة يمامة يسمونها في «الكويت» «أم سالم » و «الورقاء» يمضي الشاعر يبثها هواجس نفسه وأشواق روحه وآهات قلبه لمحبوبه البعيد النائي علَّها تحمل ما يعانيه من أشواق وحنين إلى الحبيب البعيد (46) :

يـــا امَّ ســـالم يـــا تغريـــدةً سَـــجَعتْ　　مِـــن الفـــؤادِ تُعـــاني مـــا أُعانيـــهِ
ذكَّرتِنِـــي بحبيـــبٍ نـــاح وارتَسَـــمَتْ　　عـــلى مُحيَّـــاه أحـــزانُ أغانيـــهِ
يَلويـــهِ بُعْـــدٌ وتَنْـــأى عنـــهُ بســـمتُهُ　　ويـــذكرُ الحـــبَّ عرسًـــا في مغانيـــهِ

***

يـــا جـــارةً أشَـــبَابي أفتديـــهِ لهـــا؟　　أم جُـــرحُ قلبـــي فـــداءَ بـــل عَسَـــانيهِ
العاشـــقون عـــلى الأشـــجار قـــد نحتُـــوا　　ذكـــرى هـــواهُم بصـــرحٍ في مبانيـــهِ
أمَّـــــا هوانَـــــا فَتغريـــــدٌ يُخلِّـــــدُهُ　　مِـــن «أمّ ســـالمَ» تشـــدو مـــن معانيـــهِ

***

يـــا «أمَّ ســـالمَ» نُـــوحي غيـــرَ آبهـــةٍ　　بمَـــن هَبَـــاءٌ غـــدَتْ أغـــلى أمانيـــهِ
نـــوحِي شـــجَى فبِجُرحِـــي دمعـــةً وقفـــتْ　　مـــع الزمـــانِ ذهـــولاً مِـــن تفانيـــهِ
نـــوحي فقلبـــي غـــدا أشـــلاءَ يَجْمَعُهـــا　　نـــوْحُ الطُّيـــورِ ليزجِيهـــا تهانيـــهِ
نـــوحِي مـــدى العمـــرِ والأزمـــانِ قائلَـــة:　　هّـــذا حُطـــامُ الهـــوى ، بـــل ذي أوانيـــه

وحين تقبل المحبوبة تهل الأنوار ويترنم القيثار وتغـرد الطيـور وتبسـم الـدنيا لفرحـة قلـب العاشق المدنف الذى يسعده وصال ملهمته (47):

(46) أغنيات الفيافي / أم سالم / ص 183 .
(47) أغنيات الفيافي / وشعت الأنوار / ص 85 .

جـــاء الحبيـــب فشَـــعَّتِ الأنـــوارُ ... وترنَّمــــــتْ بمجيئـــــهِ القِيثـــــارُ
وتَفَتَّحـــــــتْ مَزهـــــــوَّةً بقدومِـــــــهِ ... زَهـــرُ الـــورود ، وهَلَّـــتِ الأمطـــارُ
وتـــلألأتْ في خـــافقي بشـــرى المُنَـــى ... فَتَلاشـــــتِ الأحـــــزانُ والأكـــــدارُ
رفَّ الحَمـــــــامُ مُغنِّيًـــــا بهديلِـــــهِ ... فَتَراقَصَـــــتْ برَفيفِـــــه الأطيـــــارُ
يـــا فرحـــةَ القلـــبِ الكَلـــيمِ وســـعدهُ ... فَلْتَمْـــــرَحِ الأشـــــعارُ والأوتَـــــارُ
ويُصَـــــفِّقِ الـــــرَّوضُ الجميـــــلُ ووردُه ... وتَـــرِفَّ أجنحـــةُ الفَـــراشِ تَغـــارُ
فَاهْنـــأ بعُرسِـــكَ يـــا عزيـــزًا رحَّبَـــتْ ... بعروسِـــــكَ الأيَّـــــامُ والأقمـــــارُ

وفي لحظات الصفاء يرى أن أيام وصال الحبيب لن تنسى وأنه سيظل على العهد محبًا وفيًا ، لأن قلبه سيظل يذكرهم وستظل نار الشوق متوقدة لا تهدأ مهما بعد المطال لأنها هي حبه الباقي على الزمان [(48)]:

أَأَيَّـــامَ حُبِّـــي هـــل مَواضِـــيكِ عُـــوَّدُ ... وهـــل لِوصَـــالٍ تـــاهَ بالغيـــبِ مُرشِـــدُ ؟
وهـــلْ لاِئْتيـــاع القلـــبِ فيـــكِ مـــودةٌ ... وهـــل لانشـــغالِ الفكـــرِ منـــكِ تـــودُّدُ؟
وإنِـــــي وإنْ فارقــــتُ دهــــرًا أحبَّتــــي ... فَنـــــارُ هـــــواهمْ في ضُـــــلوعيَ تُوقَـــــدُ
فَلَـــــمْ تَطْمـــــسِ الأيَّـــــامُ فيَّ محبـــــةً ... ومهمـــا يمـــرُّ الـــدَّهرُ .. تبقـــى .. تؤكِّـــدُ
وإنْ بَاعـــــدتُ بينـــــي وبـــــين وصـــــالِها ... ثقـــالُ الليـــالي والنَّـــوى .. فالتَّجلُّـــدُ!
يظـــــلُّ بـــــذكراها فـــــؤاديَ مُولعَـــــا ... وإنَّ هَوانـــــا بالزمَّـــــان مُخَلَّـــــدُ!
وإنِّـــــي لتَعـــــرُوني الهـــــواجسُ كلَّمـــــا ... تَـــذكَّرتُ وعـــدًا قـــد طَـــواهُ التَّشـــرُّدُ
وأذكُرُهَـــــا والقلـــــبُ فيـــــه تـــــألُمُ ... وأذْكُرُهـــا والـــرُّوحُ تَشْـــقى وتَصْـــمُدُ

(48) أغنيات الفيافي / الوصال التائه/ ص 56 .

وأذكُـــرُ فيهـــا النُّبْـــلَ والـــودَّ والوفـــا   وعفَّـــة عِـــرْضٍ طـــاهِرٍ تتجسَّـــدُ
إذا ذُكِـــرَ الإخـــلاصُ هاجـــتْ صَـــبابتي   وإنْ تبـــاريحَ الهـــوى تتجـــدَّدُ
لأنهمـــا صِـــنْوانِ مَـــذْ خُلقـــا معًـــا   رفيقـــةُ دربـــي والوفـــاءُ المُجـــرَّدُ
فهـــل تُرجـــع الأيـــامُ مـــا كـــان عـــامرًا   وهـــل لوصـــالٍ تـــاهَ بالغيـــب مُرشـــدُ

ويبقى شعر عبد العزيز سعود البابطين الوجداني شاهدًا على صدق تجربته وحرارة مشاعره دون تكلف أو مداراة .

وهي تؤكد لنا روح البادية التي ظهرت في كل شعره من حيث علاقتها بالحب العذري والوفاء والتعبير بصدق عن كل ما يجيش في قلبه من مشاعر وأحاسيس وصدق الناقد د. مصطفى ناصف حين قال أن البادية تعصر العاشق فالعاشق لا يكون ابنا بارًا للبادية إلا إذا سعى إلى الكي بالنار ثم اغتسل بغيمة الصبح والعشق في شريعة الديوان تهذيب واستئناس لروح الزمان لأنه ابن البادية .

فالعشق ابن البادية القاسية ، ليتعلم أهلها مزيدًا من البين والجلد .

تقترن البادية بالبطولة ، والعاطفة الجياشة ، والمغامرة الساذجة ، والروح الحرة . هذا الانطلاق في أفق خال لا تحده حدود ، وجفوة الذوب في المجتمع ، وما يشبه الاستعلاء على الذات ، والتحدي ، والاستبطان العميق ، ثم التطهر من أدران الحاضرة وصناعتها .

هذه مشغلة الديوان : روح البادية من حيث علاقتها بالصبابة . البادية شباب . البادية تعين على نشاط الروح الغامضة ومعاناتها ، تتمثل البادية في صورة امرأة عظيمة لا تتاح إلا في خيال شاعر عظيم ، تتطلع المرأة في سر وخفرهما روح البادية [49].

(49) دراسات نقدية في ديوان بوح البوادي – مركز الدلتا للطباعة – الإسكندرية 1996، ص47.



الفصل الثالث

عبد العزيز سعود البابطين

شاعراً رومانسياً

اذكرينـــــــي كلمـــــا غنـــــى طـــــروب   ينفـــث اللوعـــة في صـــوت حـــزين

ورنـــين العـــود قـــد أشـــجى القلـــوب   فغـــدت تبكـــي عـــلى وقـــع الـــرنين

اذكريني

اذكرينـــــــي كلمـــــا ثـــــار القطـــــا   يمـــــلأ الأفـــق صـــياحًا ونحيـــب

يـــذرع الكـــون وقـــد حـــث الخطـــى   تائهًـــا يبحـــث عـــن مغنـــى الحبيـــب

اذكريني

عبد العزيز سعود البابطين

اتسمت الرومانسية بالمذهب الإنساني بما تحتويه من خيال وعواطف جارفة وحب الطبيعة والخيال والتعلق بكل القيم النبيلة السامية ، وعشق الحب والجمال ومنذ شبابه المبكر جنح عبد العزيز سعود البابطين للتأمل وحب الطبيعة والتمسك بقيم وأعراف البادية والصحراء التي تتفق مع مبادئ الرومانسية المجنحة .

كما أن شاعرنا أحب حبًا عفيفًا ساميًا وكان لا يرى في الوجود أمرا غير محبوبته التي خلع عليها من خياله واستلهم منه ديوانا كاملاً هو «بوح البوادي » لأنه كان من الموحدين في الحب ، لأنه نشأ في بيئة مفطورة على إيثار التوحيد واختلف عن المشركين في الحب الذين كانوا يرون أن كل مليحة بمذاق ! وقد ألهمت ملهمته شاعرنا بقصائد عديدة تراوحت أنغامها ودرجاتها وموسيقاها بتراوح الوصال والهجر والرضا والعتاب والقرب والبعد والفرح والحزن ، وكان يرسل في كل موقف وفي كل مرحلة أغاريد الحب وأهازيج الغناء ليعبر عن خفقات قلبه وهمسات روحه نحو الحبيبة التي ضن باسمها وسرها للآخرين حتى يرتل في معبدها أغاريد الحب والنجوى وقد كتب شاعرنا قصائد حبه للملهمة الموحية منذ سبعينيات القرن العشرين وطواها عن النشر ضنًا بها عن عيون الآخرين لكنه بعد سنوات طوال وافق على طبع ديوانه «بوح البوادي» عام 1995 ليكون سجلاً لقصة حبه للملهمة الموحية .

وقصيدته «رياح الشوق» يتمنى أن تهب رياح الشوق وتبرق سحب الهجر وتمطر شوكا ليهدأ قلبه الحزين من هجر محبوبته ونأيها [50]:

(50) بوح البوادي / رياح الشوق / ص25 .

يـــا رِيـــاحَ الشـــوَّقِ هُبِـــي   مَزِّقِـــي أشـــرُعَ حُبِـــي
أغرقـــي الـــدُّنيا بنـــأيٍ   مثلمـــا أغرقـــتِ قلبـــي
أبرقـــي يـــا سُـــحب هجـــري   أرعـــدي رُعبًـــا برُعـــبِ
أمطـــري سُـــمًا وشـــوكًا   وازرعـــي الأرضَ بِجَـــدَبِ
وامنعـــي الزهـــرةَ تنمـــو   أو أرى البـــذرةَ تُربـــى
فلقَـــد مـــلَّ فـــؤادي   هَجْرأحبَـــابِي وصَـــحبي
ولَقَـــد مَلَّـــت جُفـــوني   سَـــهَرَ اللَّيـــل وكربـــي
أمتطـــي الآمَـــالَ حينًـــا   فيُجـــافِيني رُكْبـــي
وهـــيَ حينـــا تتنَـــامى   بَـــينَ أعمـــاقي وصُـــلبي

***

يـــا زمـــانَ الوصـــل عُـــد لي   وأعـــد خفقًـــا بجنبـــي
ودع الزَّهـــــرة تحيـــا   لأرى البـــذرة تُنبـــي
وانثُـــر الحُســـنَ ربيعًـــا   يَزدَهـــي الكـــونَ بِخَصـــبِ
وامـــلأ الـــدُّنيا عبيـــرًا   وغِنـــاءً عبـــر دَربـــي
فلـــك الشَّـــوق يُنـــادي   ولـــكَ الحُـــبُّ يُلبْـــي
لا تَـــدعني يـــا زمَـــانٍ   رهـــن إعصـــاري ونحبـــي
قيـــد خـــوف يَنتَهـــبُ العُمـــ   ـــر ويُلقينـــي لشَـــيبي
قبـــل لُقيـــاكَ لِتمحُـــو   راحمًـــا غُربَـــةَ قَلبـــي

ويدفعه الشوق والحنين إلى الملهمة النائية لأن يؤكد لها أنه لا ينساها ، ويدعوها إلى الوصال لينعما بجنة الحب وروعة الوصال قبل أن تتصرم الأيام وتمر أحلى سنوات العمر [51] !! :

تقـــولُ شـــوقًا ، فهـــلْ لا زلـــتَ تَـــذكُرُنا ... أم هـــل نســـيت تناجينـــا وذِكرانـــا

وهـــل أبـــادَت سُـــنون البُعـــد حـــبُكم ... وأطفئـــت شـــمعةً فِـــي دَربِ مســـرانا

وبـــاتَ قلبُـــكَ مـــن قلبـــي بمُظلمـــةٍ ... أم قـــد تجمَّـــدَ إحســـاسٌ لتنســـانا

أجَبـــتُ لا والّـــذي يرعـــى محبَّتنـــا ... لم أنـــسَ يومًـــا تناجينـــا ولُقيانـــا

فمـــرُّ أعـــوامُ بـــينٍ عَشـــرةٍ سَـــلَفت ... لم يمـــحُ ذِكـــراكُمُ روحًـــا وريحانـــا

لكـــنَّ نفســـي ولـــذعُ البَـــينِ فرَّقهـــا ... أودت بَصَـفوى وهـذا الشَّـيبُ قـد بانـا

شـــواهد كُلّهـــا ضـــدي وقـــد نَطَقَـــت ... تُحَـــذِّر الآن مـــن بُعـــدٍ وتنهانـــا

تخشـــى فِراقًـــا لعينًـــا قـــد يحـــلُّ بِنـــا ... فَيَنـــزفُ الجُـــرحُ يأسًـــا مثلمـــا كانـــا

***

فَلنغتـــنم ليلنـــا فالصُّـــبحُ فاضـــحُنا ... ولنـــنَس بُعـــدًا فـــإنَّ البُعـــد ينَســـانا

ولنهَنـــأ الآن فالـــدُّنيا بنـــا رَقَصَـــت ... مُنـــذُ التقينـــا ونجـــم الحُـــبِّ يرعانـــا

لم يبـــقَ بـــالعُمر إلاَّ مـــا تجـــودُ بِـــهِ ... لـــيلاتُ وَصـــلٍ ولُقيانـــا ونجوانـــا

وأغنيـــاتٌ بســـمع الحُـــبِّ نُنشـــدُهَا ... يَغُـــصُّ واشٍ بهـــا أو عـــاذِلٌ خانـــا

مَـــراقِصُ الحُـــبِّ تـــدعونا لحلبتهـــا ... فلنَمَـــرحِ اليـــومَ إنَّ العُـــرس قـــد حانـــا

ولكن تعاوده أحزان الوحدة والبعاد بعد أن عز اللقاء وطال الهجر والنأى لكن قلبه لم ينسها ولم يتبدل أو يتحول عنها ، بل أنه يتمنى أن تمر الأيام ويلتقيا لتعويض ما فات من فراق وعذاب [52].

---

(51) بوح البوادي / لم أنس / ص 24 .

(52) بوح البوادي / أيام الوصال / ص 26.

كـــأنَّ فـــؤادي وهـــو ظمـــآن يرتجـــي ... وصـــالاً مِــنَ الأحبــابِ ولَّــتْ مرابعُــهْ

ولقيــا يَطُــوفُ القَلْــبُ ولَهـــانَ حَولهـــا ... فَتَــنقضُّ مِــنْ فَــرطِ الحنــين مَضــاجِعُهْ

ونجـــوى كتغريـــدِ الطُّيـــورِ حســـبتُها ... لِقَلبـــي شـــفاءٌ لـــن تَجـــفَّ مَنَابِعُـــهْ

ولكــــنَّ نجواهـــا تقـــادم عهـــدُها ... فأمســـت كتِمثـــال تـــداعَت روائعُـــهْ

***

كـــأنَّ فـــؤادي طِفـــلٌ ريـــمٍ وقَـــد غـــدا ... وحيـــدًا مِـــن الخِـــلاَّنِ ضَـــاقَتْ ذرائعُـــهْ

ألا ليـــتَ شِـــعري هـــل تعـــودنَّ ليلـــةٌ ... ثملنـــا بهـــا وَصـــلاً وودًا نُشـــايعهْ

شـــربنا كُـــؤوس الحُـــبِّ ريَّانـــة المُنـــى ... فغنَّـــى نـــديمُ الليـــلِ شـــوقًا يُنازِعُـــهُ

خلـــيليَّ لـــن أنســـى عـــلى الـــدهّر ودَّهـــا ... وجُــــرحَ فـــؤادِ أحزَنتهـــا مَواجِعُـــهُ

وَلاَ نـــأىَ مـــن هـــام الفـــؤادُ بِحُبِّهـــا ... وهاجـــتْ بـــذكراها حنينًـــا مَدامعُـــهُ

ســـقى اللهُ أيـــام الوصـــال بِمُزنـــةٍ ... هطـــولِ فتحيـــا بعـــد جـــدبٍ مراتعُـــهُ

فتُزهـــرُ نـــوارًا وتنبـــتُ بُرعمًـــا ... وتحيـــي لنـــا حبًـــا أبيـــدت مواضِـــعهُ

ونســـى عـــذولاً أنهـــكَ الـــودُّ ســـعيَهُ ... ونُبِعـــدُ شـــيطانًا غَزَتنَـــا نوازِعُـــهْ

ويجلـــو كلانـــا هَـــمَّ دهـــرٍ فقـــد دنَـــا ... سُـــرورٌ فقـــدناهُ فبانـــت طلائِعـــهُ

ولكن يظهر في أفق حياتهما العذول والواشي الذين ينغصون دائمًا حياة العشاق ، فيضطر أن يظل في وحدته يطوي قلبه على هم الفراق والبعد على رغم شوقه الجارف على لقيا حبيب العمر ووصاله (53):

---

(53) بوح البوادي ،شكوى / ص 27 .

يَهُــــزُّني الشــــوقُ والآهـــاتُ تَنفَجــــرُ ... وتحتـــويني همـــومٌ يـــومَ ذِكــــراكِ
وتعصِــــــرُ القَلــــــبَ آلام مُبَرِّحَـــــةٌ ... يزيـــدُها اليـــأسُ إيلامًـــا كأشـــواكِ
وينـــزوي الصَّـــبْرُ مَشـــدوهًا بزاويـــةٍ ... مِـــنَ الفُـــؤادِ دَهتَـــهُ أنَّـــةُ الشَّـــاكِي
يَلقـــى أنينـــي ســـميعًا كُـــلَّ جارِحـــةٍ ... مِـــنَ الأنَـــامِ وغيـــرِ الإنـــسِ إلاَكِ
وكلَّمـــا هَتَفـــت فِـــي اللَّيـــل ســـاجِعَةً ... يحُـــثُّ شـــوقِي خطـــاهُ حيـــثُ ألقـــاكِ
أطـــرتِ فكـــري شُـــعاعًا والنُّهـــى شَـــرَدت ... فهـــل تُعيـــدُ الحجـــا أحـــلام نَجـــواكِ
هِـــيَ الحيـــاةُ شـــديداتٌ مضَـــايقُها ... وذِروةُ الهـــمِّ لا أحظـــى بلُقيَـــاكِ
شَـــددَتُ رِحـــلي لكـــي أســـدي مُبارَكَـــةُ ... لِمَنـــزلٍ ودُعـــائي فيـــه يَهنـــاكِ
مَـــررتُ والـــنَّفسُ تـــدعوني كعادتِهـــا ... لوقَفَـــةٍ قُـــربكم تهنـــا برؤيـــاكِ
لكـــن صَـــددتُ عـــنِ اللُّقيـــا يُنـــازِعُني ... شـــوقِي إليـــكِ وخـــوفُ العـــاذِلِ الحـــاكِي
أخشـــى عليـــكِ نُســـيماتٍ مُداجيـــةٌ ... مِـــنَ الوُشـــاةِ تُعـــادِي صـــفوَ دُنيـــاكِ
وأقنـــعُ الـــنَّفسَ أن تنـــأى مجانبـــةً ... حُلـــو اللقـــاءِ فـــلا تَســـعى لمغنَـــاكِ
أثـــوي وحيـــدًا وأحســـو الهـــمّ مُنهزمًـــا ... وأرتَضـــيهِ دواءً يـــومَ ذكـــراكِ

ولكن يطول الليل ويمتد وهو يناجي الليل والنجوم والطيور بعد أن عز اللقاء وبعد الحبيب (54):

(54) بوح البوادي / حديث أمسى / ص 28 .

ظـــلامُ اللَّيـــــل أدركـــــهُ التَّمَنِـــــي فأخفـــــاهُ وغابـــــت فيـــــهِ عينـــــي

حَبَسَـــتُ الـــرَّوحَ في صـــدري لكـــي لا تُنـــــاجي بـــــالهُمومِ رؤى كـــــوتني

وبُـــــطء الليـــــلِ أرهَقَنـــــي وأفنـــــى تناهيـــــدي ووجـــــدي لـــــيس يُغنـــــي

ألـــــوكُ الهَـــــمَّ في أعمـــــاقِ نَفســـــي فيُضـــــني واللَّـــــواعِجُ أحرَقتنـــــي

وأجتَـــــرُّ الحَـــــديثَ حـــــديثَ أمســـــي وقـــد حجَـــبَ الزَّمـــانُ صَـــداهُ عنّـــي

فـــــلا أجِـــــدُ الحبيـــــبَ دَنـــــا لقُربـــــي ولا سَـــــكرَ الهَـــــوى يومَـــــا بِلحنـــــي

ولم أســـــمعَ مِـــــنَ الأطيَـــــارِ شَـــــدوًا تُرجِّعُـــــهُ عـــــلى أوتـــــارِ فنِّـــــي

ومـــــا خفـــــقَ القَطـــــا يبكـــــي هَوانـــــا ولا نـــــبضَ الحيـــــا بِـــــرواءِ غُصـــــنِي

وزَهَـــــرُ الـــــرَّوض كـــــفَّ عـــــن التنـــــاجي بَفَـــــوحِ العِطـــــر يِســـــكُبُهُ بـــــدني

ومَـــــوْجُ البَحـــــر ألجُمَـــــهُ سُـــــكونٌ فغـــــابَ بِمَوجِـــــهِ فكِـــــري وظنِّـــــي

وهـــــذا البَـــــدرُ أنكـــــرَ أن رآنـــــا وقـــــد شَـــــهدَ الهَـــــوى عينًـــــا بعـــــينِ

وذاك الليـــــل أنكَـــــرني جِراحًـــــا يُـــــداويها وقـــــد قاربـــــتُ حينـــــي

كـــــأنَّ الليـــــل لم يشـــــهد عُهـــــودًا تُوثِّقهـــــا تبـــــاريحي وحُـــــزني

وهـــــذا الفجـــــرُ لم يســـــمعَ شـــــكاةً يضـــــجُّ أنينهـــــا في كـــــلِّ أذنِ

لمـــــاذا لا يُواســـــيني عَـــــذُولي وقـــــد أنَّ العـــــذابُ وصـــــارَ يُضـــــني

شـــــبابي قـــــد ذوى مُـــــذ جـــــفَّ نبعـــــي وأهـــــدِرَ مـــــاؤه يـــــومَ التَّجَنِّـــــي

فمـــــن ذا يـــــرَحمُ القلـــــب المُعنَّـــــى بِحُـــــبُّ خلتُـــــهُ جَنَـــــاتِ عـــــدنِ

فَشّـــــبَّت نـــــارهُ ترعـــــى بِـــــروحِ تُنُـــــوُء بأســـــرها في ليـــــلِ ســـــجنِ

ليـــــالي الشَـــــوقِ كُفِّـــــي عـــــن نِـــــدائي فلـــــن ألقـــــاك حتَّـــــى بـــــالتَّمنِي

ظـــــلامً الليـــــل غـــــابَ فـــــلا ظَـــــلامٌ يُـــــؤرقِّني ويشـــــقى فيـــــه جَفنـــــي

ويظل العاشق المدنف يشكو مرارة الهجر وقسوة البعـاد ولا يجـد إلا طيفهـا ليناجيـه ويبثـه أحزان قلبه الوامق ، وهمسات روحه المشوقة إلى ليالي الوصال الهنية وكم تستبد به الأحزان وهو يرى الشيب يغزو مفرقه ، فمتى يحين اللقاء لنستمتع بزهر الشباب الغض ؟[55]

سـلَي فُـؤادي إذا ذِكـراكُمُ خَطَـرت ... ولاحَ في هاجسـي طيـفٌ يُنـاجيني

وحـلَّ ليـلٌ أعـاني البُعـدَ أوَّلـهُ ... وبـالأواخِرِ وهـمُ الوصَـل يُضـنيني

وصـار يُبعـدني ليـلُ الأسَـى بِأسـىً ... وقـد ظننـتُ دوامَ اللَّيـل يُـدنيني

وعانَقَـتْ رُوحـي السَّـكرى عـلى شَـغَف ... مشـارِفَ الغيـبِ ترجُوهَـا لتنبينـي

مـاذا جـرى لحبيـبٍ آده وَلـهٌ ... يَشُـبُّهُ البَـينُ في عُمـقِ الشِّـرايينِ

يَجتّـرُّ ماضـيه يَرجـو أن يكـون غـدًا ... هيهـاتَ يرجـعُ مـا قـد كـان يُحيينـي

وهـل يكـفُّ النـدى عـن زهـرة عطشًـا ... أو قطـرُ أمـسٍ عـلى الأوهـامِ يروينـي

***

يـا مرَبَـع الحُـبِّ والإخـلاص أيـن هُمـا؟ ... وأيـنَ منَـىّ الأمـاني إذ تُمنينـي

سـلي فـؤادي فَقهُـر البـين عَذبـهُ ... وسـالَ جُـرحٌ يُبكّيـهِ فيشُـقيني

مـلَّ اصـطبارٌ وصـارَ العُمـرُ يَهـزأ بـي ... إذ لاحَ في مفرقـي شـيبٌ يُعزّينـي

يـا خـافقي أسـنينَ الوصـل تطلبُهُـا ... أم تلـك أمنيـةٌ عنهـا تُواسـيني

لـك الخُلـودُ ويكفينـا تألُمُنـا ... فالنَّـارُ قـد أحرقـت عمـري ويكفينـي

ولا يملك العاشق إلا أن يناجيها وتطول المناجاة على البعد ، لأنه لا يستطيع ان ينساها لأنها تخايله دومًا في صحوه ومنامه في نهاره وليله ، ويناشـدها أن تظل تـذكره في بالهـا كمـا يـذكرها ويتمثلها في كل لحظة من لحظات حياته [56]:

(55) بوح البوادي / بيروت 1995 / وهم الوصل / ص36.

(56) بوح البوادي / مناجاة / ص74.

كَيـــفَ أمسَـــيتِ ؟ بمــــاذا تحلُمـــين ؟   أَلحُـــبِّ الأمـــسِ مـــا زالَ الحَنـــين؟
ام تُراهــــــا ذكريــــــاتٍ عصَـــــفتْ   فَبَـــدا قلبُـــك تَـــذرُوه السُّـــنونْ
إذ ترامـــى البُعــــدُ فينــــا شاســــعًا   بِفَيــــافي العُمـــرِ طُـــولَ الأربعـــينْ
ورمَـــــاني ويحَـــــهُ في كبــــدِي   ورمَـــاكِ البُعـــدُ فـــازدادَ الأنـــينُ
كيـــف أمســـيتِ وقـــد طـــالَ الأســـى   وسِـــهرت اللّيـــلَ ليـــلَ العاشـــقين
وصُــــروفُ الـــدهرِ عاثَـــتْ بـــالمُنى   عَربَــــدتْ عَربَـــدَةَ المُســـتكبرينْ
غيَّـــرتْ فيـــكِ تصـــاريفُ الهَـــوى   بَهجَـــةٌ كانـــتْ تسُـــرُّ النَّـــاظرينْ
فغَـــدتْ بســـمتُكِ الـــولهى شـــجى   وغَـــدا لحنـــي كالنّـــاي الحـــزينْ
وافتقــــدناهُ وقــــد غادَرَنــــا   وصـــلُنا التّائـــهُ مـــن غيـــرِ مُعـــينْ
فصَــــبرنا وصَــــبرنا ومضـــــى   عُمرنُـــا يَجـــري وبتنـــا صَـــابرينْ
وكفانـــــا عِشـــــقُنا خلّـــــدنا   فَمَشـــــيناها دُرُوبَ الخالـــــدينْ
كيـــفَ أمســـيتِ وقـــد لـــوَّعني   شَـــوقِي القاتِـــلُ والحـــبُّ الـــدَّفينْ
أتُراهـــــا تعتـــــريكُم مثلَنــــا   لَوعـــةُ القلـــبِ شـــجَتهُ كُـــلَّ حـــينْ
فـــإذا ذقـــتُم عـــذابًا مســـنَّا   وطغـــى الوَجـــدُ مِـــنَ البَـــينِ اللعـــينْ
فاذكُرونــــا مِثلمــــا نَــــذكُركُم   ربُّ ذِكـــرى أغـــدقت لِلظـــامئينْ

وهو كشاعر رومانسي ينشد الحب في ظلال الطبيعة يجد في نخلة زارها في «نيس» بفرنسا الملجأ والسلوى والملجأ بعيدًا عن عيون الرقباء والعذال حتى وهو في الغربة لكنه وهو يفارق نخلته المحبوبة يأمل أن يعود إلى ظلالها مع الحبيب الغالي(57) :

(57) بوح البوادي / 1995 / ص10 .

يـــا نَخلـــةً في «نـــيس» حـــان فِراقُنـــا — هـــل نَلتَقـــي يـــا نَخلَتِـــي وأعُـــودُ
أجتـــرُّ ماضــــي ذكريـــاتي في الهـــوى — ويضـــجُّ في نفســـي الأســـى ويسُـــودُ
وتُصـــيخ أحلامـــي وكـــلّ مشـــاعري — لـــك يـــا نُخيلَـــةُ مـــا عســـاه جديـــدُ
وتـــردِّدين نصـــيحةً لـــكِ مـــا خَبَـــت: — اصـــبر فمـــا للصَّـــبرِ منـــكَ حُـــدودُ
فيـــؤوبُ إحساســـي بخَيبـــةِ آمـــلِ — صِـــفر اليَـــدين وحظُّـــهُ مَنْكُـــودُ
وأظـــلُّ أســـألُ كيـــفَ مـــرَّت أشـــهُرٌ — بعـــدي عليـــك وهـــل أتتـــك وُفُـــود؟
فَتُجيـــبُ بســـمتُكِ الخجـــولُ : لقـــد ثـــوى — عِنـــدي هـــواك وسِـــرُّهُ المعهـــودُ
ويثـــورُ بـــي شـــكٌ يواكِبـــهُ اللَّظـــى — والقَلـــبُ شـــاكٍ غُربـــةً ووحيـــدُ
هَـــل ذاعَ ســـرِّي للوفـــودِ فأســـرعُوا — يـــروي الحـــديث قـــريبهُم وبعيـــدُ
وهُمـــومُ نفســـي بـــالهوى قـــد أُعلنـــت — والـــدَّمعُ منِّـــي قـــد رَوَاهُ قصـــيدُ
أنـــا لا أعاتـــبُ يـــا نُخيلَـــةُ خائفًـــا — قـــول العـــذول يَحُفُّـــه التهديـــدُ
أغفيـــتُ عنـــهُ مـــدى السِّـــنين فلـــم أُعِـــر — ســـمعًا لمـــن لم يُعيـــه التَّرديـــدُ
بـــل كنـــتُ أخشـــى أنْ ســـرِّي بـــالهَوى — إن ذاعَ ردّ بـــه الحبيـــبَ صـــدُودُ

وهناك لحظات ألم في حياة الشاعر العاشق بعد أن عانى من صدود الحبيب وملامه الـذي أرهـق نفسه وجعله يسهر الليل وحيدًا يحاول السلو والبعد لكن دون جدوى رغم هجر الحبيب وصـدوده فيناشدها أن تكف الملام بعد أن عذبه الهجر!

دعـــي المـــلامَ فـــإنَّ اللَّـــوم أزهَقَنـــي وأرهـــقَ الـــنَّفسَ تعلـــيلي وتَســـهيدي
وهَزَّنِـــــي ألمٌ في القلــــبِ أوجعنـــــي يزيـــدُهُ اللَّـــومُ مـــا يُضـــني أناشـــيدي
ســكبتُ روحــي بكأســي كــي أنــال بهــا حُبًّــــا بِحُــــبٍّ وإمعانًــــا بتَوحيــــدِ
فراعنَـــي أنَّ أعـــوامي وقَـــد مُزجَـــت بـــالمُرِّ والبَـــينِ تمضـــي بالتَّناهيـــدِ
واضـــيعة العُمـــرِ والمحبـــوُبُ تُبعِـــدُهُ سُــودُ اللّيــالي وذِكــرى مــن بهــا عيــدي
حاولـــتُ أســـلو فـــلا السُّـــلون أرجعَهَـــا ليـــاليَ الوصَـــل أو حُلـــوَ التَّغاريـــد
دعـــي المـــلامَ فقـــد ولَـــى لَنَـــا زَمـــنٌ يـــأتي المَشـــيبُ عَلَيـــهِ بالتَّجاعيـــدِ
فـــأينَ أنـــتِ زمـــانَ الحُـــبِّ يـــا حُلُمـــي وكُنـــتِ لحنًـــا شَـــجيًا في أغاريـــدي
لم يبـقَ مـن حُلُـمِ الماضـي سِـوى شَـجَنٍ أســـمعتُ شـــكوايَ منـــهُ للجلاميـــدِ
سَــددَتِ سَــمعكِ عــن نجــوى مشــاعِرنا والآن تُبــدينَ شــوقًا مــن جــوى الغِيــدِ
دعــي المَــلامَ فأنــتِ الجُــرحُ في كبــدي فكيــف أنــت التــي جــاءتَ لتَضــميدي
لا تعـــــذلُي فزمـــــان الوصَـــــل مزَّقـــــه هجــرٌ ظلــومٌ شــجاني في ضُــحى العيــدِ
كُفِّــــي المَــــلامَ فــــلا قلبــــي أحمَلّــــهُ ثِقــل السِّــنين ولا أرضــي بِمــوؤودِ[58]

ويستبد الوجد المشبوب بقلب الشاعر بعـد أن ذاق حـلاوة اللقيـا والوصـال وتمتـع بنعـيم الحب وأفراحه ، لكنه يمني نفسه بعود الوصال المرتجى مع صاحبة «الجمال النـاعس» ليجـدد أفراح القلب الظامئ [59]:

(58) بوح البوادي / عمر ينطوي / ص62.
(59) بوح البوادي / الجمال الناعس / ص 31 .

هـــــاجَنِي الوَجـــــدُ لأزمـــــانٍ خلـــت	كزمـــــانِ الوصَـــــل بالأنـــــدلُسِ
وظُنـــــوني أوغلـــــت تنتـــــابُني	ويـــلُ قلبـــي مـــن عـــذابِ الـــتَّعسِ
يـــــا نـــــداماي بنفســـي لهفَـــــةٌ	تتمّنـــى لـــو شَـــفَاها مـــن نَســـي
بوصـــــالٍ جَدّدَتـــــهُ مُنيتَـــــي	وأنـــارَتْ قلـــبَ ليـــلٍ دامـــسِ
أرشُـــفُ الخَمـــرةَ مـــن عـــذبِ اللّمـــى	وتُنـــاغيني عُيـــونُ النَّـــرجسِ
وفُـــــؤادي نـــــارهُ تحرقنـــــي	ولظَاهَـــا مِـــن لَهيـــبِ الـــنّفسِ
يـــــا نـــــديميْ غَـــزَلي أيـــنَ التَّـــي	صَـــنعتْ أنســـي ألا مـــن مُـــؤنسِ؟
بعـــــد أن كُنـــــا حليفـــي صَـــبوةٍ	وَسُـــــكونٍ ضَـــــمَّنا لم ينـــــبِسِ
وبليـــــغ الصَّـــــمت قـــــد أمتعَنـــــا	بعـــد همـــسٍ أو حـــديثٍ سَـــلسِ
قـــــد ذوى ذَاك زمـــــانٌ تعِـــسٌ	يَرقُـــبُ الوصـــلَ بَقَلـــبٍ شَـــرسِ
يـــــا نـــــداماي فِـــــداءٌ لكُمـــــا	كـــلُّ غـــالٍ لـــو أعيـــدت خُلســـي
علِّـــــلاني بوصـــــالٍ مُرتجـــــى	بعـــد نـــأيٍ شـــتّ منـــهُ هاجســـي
ذِكريـــــاتي غَربَّـــــت عنِّـــي فَلـــم	يبـــق منهـــا غيـــر رِســـمٍ دارسِ
غيـــرُ عِطـــرٍ فـــاحَ بالـــدَّرب الـــذي	مـــرَّ فيـــه ذو الجمـــالِ النَّـــاعِسِ

وفي ليالي سهاده يتذكر الملهمة النائية فيعلل نفسه بالربيع الضاحك [60]:

بَـــدَت شمســـي وقـــد أرخـــتَ جُفونًـــا	كـــأنَّ شُـــعاعها يرنُـــو لأمســـي
بعـــينٍ كـــادَ يُثقِلُهـــا سُـــهادٌ	أقـــضَّ مَضـــاجعَ الـــذَكرى بِهَمـــس
أليَـــامِي ويـــا فجـــري بعـــدنا	أمـــا مـــن عـــودةٍ لرفيـــقِ نفســـي

(60) بوح البوادي / عمر ينطوي / ص 62 .

فقـــد ضَـــاقت بِروحـــي أمســـيَاتِي | ولَـــيلي بـــاعَ احلامـــي بِـــبَخسِ
وعُمــــري ينطـــوي والثُّقـــل فيـــه | وقَــد حَمَلــت سُــنوهُ جِبَــال بُــؤسٍ
وكـــادت وحـــدتِي تمســـي عـــذابا | تُعـــاني بالزَّمـــانِ هُمـــومُ نَحـــسِ
ولكـــنَّ الرَّبيـــع أتـــى ضَـــحوكًا | تُعَانقُـــهُ الـــورُود عِنـــاق عُـــرسِ
وتعبـــقُ مـــن ثَنايـــاهُ عُطـــورٌ | تُهدهِـــدُ خـــافقي وتُثيـــر حســـيّ
وشمســـي أشـــرقت إشـــراقَ نـــورٍ | تعيـــدُ البهجَـــةَ الأولى لِشمســـي
فَهَـــذا القلـــبُ حـــررَّهُ اصـــطبارٌ | وأطلـــقَ قَيـــدهُ عَـــزمُ التَّأســـيِّ
وهـــذا الصُّـــبحُ ردَّدهـــا اقتـــدارًا : | سُـــنو عُمـــري سأمضـــيها بـــأنسِ

هكـــذا تتـــراوح مشـــاعر العاشـــق المـــدنف بـــين لحظـــات هجـــر ووصـــال وفـــرح وحزن وسعادة وأسى في قصة حب للملهمة التي أسعدت قلبه رغم أيام الصدود والفراق .

ويستعيد الشاعر لحظات الوصال والهناء في وادي الحب الذي تشهد كل زهرة فيه وكل نجم أضاء فوقهما على لحظات السعادة والنعيم التي عاشها مع ملهمته ومحبوبة قلبه (61):

ســـل وادي الحُـــبِّ واســـأل وَردةً فيـــه | عـــن اللقـــاءِ الـــذي لـــو عـــاد يَرويـــهِ
تخضـــر أرضٌ ويزهـــوُ في جوانبـــهِ | شـــيحٌ وينمـــو الخُزامـــى في روابيـــهِ
لُقيـــا تحـــدَّث عنهـــا الـــنَّجم ردَّدهـــا | للقادمـــات مـــن الأيـــامِ في تيـــهِ
ذكرتُهـــا مـــن صـــميم القلـــبِ أذكُرُهـــا | والحـــبُّ تـــأبى يـــدُ الأزمـــانِ تســـفيهِ
يـــا عُـــودُ دنـــدنْ فقلبـــي والـــهٌ دَنـــفٌ | يـــا شـــوقُ أقبـــل فإحساســـي يُناجيـــهِ
ســـلْ وادي الحُـــبِّ يـــا عـــوَّادُ يُنبـــئكم | أنَّ السُّـــــرورَ تنـــــادى في حواشـــيهِ

(61) بوح البوادي / حنين / ص 15 .

فاصـــدح بِلحنـــكَ يـــا عـــوَّادُ مُنتشـــيًا ... ودعْ لُقانـــا عـــلى الـــذكرى نناغيـــهِ

يـــومُ اللِّقـــاء الـــذي قـــد كـــان يرقبـــهُ ... عُشـــاق عُـــذرةَ في الماضـــي ونحييـــهِ

وفي الزوايـــا بقايـــا مـــن تنادُمنـــا ... وفي الـــدُّروبِ لحـــونٌ مـــن أغانيـــهِ

وفي الخبايـــا حُطـــامٌ مـــن تأوهنـــا ... خـــوف الفـــراق وأوجـــاعُ النَّـــوى فيـــه

يحـــنُّ قلبـــي إلى ذاكَ اللقـــاء ففـــي ... تـــذكاره الحُـــبُّ يســـمو في معانيـــهِ

كـــم ذا وَددتُ لهمـــسِ الـــرُّوح تحفظُـــهُ ... لأســـتعيدُ صـــدى أمســـي وأبقيـــهِ

ويؤكد شاعرنا على الوفاء الذي يتحلى به كعادة الرومانسيين ، فهو في أثناء رحلات الصيد والقنص يحاول أن ينسى جراح الحب وهجر الحبيب رغم ما يعانيه من ألم الفراق لحبيبه البعيد، فيسأل الصقر عندما يطلقه: هل يعود الحبيب؟[62]

قُلتهـــا في كـــلِّ شِـــعري يـــا صـــديقي ... وســـابقى قـــائلاً حتّـــى المآبـــا

عشـــتُ للحُـــبِّ وفـــاءً خالـــدًا ... ردَّد الآهَ فـــؤادي والعتابـــا

ونشـــيدي لـــيس يخبـــو طربًـــا ... يُـــرقص العُشَّـــاقَ طُـــرًّا والكِعَابـــا

يـــا صـــديقي حـــين أبغـــي قنصًـــا ... أطـــردُ الظّبـــي وصَـــقري والـــذِّئابا

فلأنســـى جُـــرحَ قلبـــي والنّـــوى ... وهُمـــوم العِشـــق تكـــويني اغترابـــا

فأنـــا في البـــرِّ نفســـي حُـــرَّةٌ ... أُبعـــدُ الغُربـــة عنـــي والعـــذابا

أطلـــقُ الصَّـــقر وقلبـــي خلفـــهُ ... طـــائرًا يفـــتحُ لي بـــالأفقِ بابـــا

أبحـــثُ اليـــوم وأمســـي وغـــدًا ... عـــن حبيـــبٍ تـــاهَ عـــن عينـــي وغابـــا

أخـــذَ اللُّـــبَّ ورُوحـــي واختفـــى ... هـــل يُعيـــد الآن روحـــي واللّبابـــا؟

بعـــد عُمـــر قـــد تَقَضّـــى وانقضـــى ... أهـــرقُ الحِـــسَّ بنفســـي والشَّـــبابا

أُطلـــقُ الصَّـــقرَ وفكـــري شـــاردٌ ... أســـألُ الصَّـــقر : تُـــرى حبَّـــي آبـــا؟

(62) بوح البوادي / الوفاء الخالد / ص30.

ويقينـــــي أنَّ مـــــا فـــــات انقضـــــى   وهوانـــــا صـــــارَ حُلمـــــا وسَـــــرَابا

وســـــنبقى بعـــــدنا ذكـــــرى الهـــــوى   يســـــطُرُ التـــــاريخُ بالعِشـــــق كتابـــــا

قُلتُهـــــا أُســـــمعُ كـــــوني والـــــدُّنى   وســـــأبقى قـــــائلاً حتّـــــى المآبـــــا

ويناجي شاعرنا «شقيق الروح» الذي حل بقلبه سنينا ، محبوب لا تبرح ذكراه قلبه لأنه يحيا في كيانه ، وقد ملك القلب والروح وسكن وجدانه مهما كانت الخطوب (63):

يـــا شَـــقيقَ الـــرُّوح يـــا عَـــذب اللّمـــى   يـــا عزيـــزًا حـــلّ في القلـــب كـــريمْ

حـــــلَّ في القلـــــب ســـــنينا يحتســـــي   مـــــن حُمَّيـــــاهُ ودادي والنَّعـــــيمْ

حـــــلَّ عشـــــقًا في الســـــويداء وقـــــد   صـــار جُـــزءًا مـــن فـــؤداي بالصَّـــميمْ

***

يـــا شـــقيق الـــرُّوح لا تبـــرح دمـــي   فعروقـــي تشـــتهي فيهـــا تُقـــيمْ

أنـــت تحيـــا في كيـــاني والهـــوى   فيـــه أحيـــا كيـــف أســـلو أو ألـــومْ

فيـــهِ عُمـــري وشـــبابي والمُنـــى   ومغـــاني الشِّـــعر في الرُّؤيـــا تهـــيمْ

يـــا شـــقيق الـــرُّوحِ فاســـتوص بِـــهِ   قـــد ملكـــت القلـــب ذيَّـــاك الكلـــيمْ

كُـــن ودودًا مثلمـــا ودَّوكُـــن   كُـــن رحيمًـــا مثلمـــا كـــان الـــرَّحيمْ

لا تفارقـــه فـــويلي إن جـــرى   ذلـــك البعـــدُ ســـيُلقى في جحـــيمْ

يـــا شـــقيق الـــرُّوحِ إني ضـــيفُهُ   ذلِـــكَ القلـــبُ ويهنـــاهُ المقـــيمْ

فلقـــد ملكتُـــهُ حُبـــي الـــذي   عـــاشَ فيـــه زمـــن العشـــق الحمـــيمْ

إنـــهُ سُـــكناكَ لا زال كمـــا   كنـــتَ فيـــهِ مـــذ عشـــقنا مـــن قـــديمْ

فترفَّـــق بحنايـــاهُ وكُـــن   في خوافيـــهِ لطيفًـــا كالنَّســـيمْ

(63) بوح البوادي / شقيق الروح/ ص18 .

يـــا شـــقيق الـــرُّوحِ لا تـــذر الهَـــوى　　بريـــاح النـــأي يغـــدو كالهشـــيمْ
فنِـــدائي رغـــم حُـــزني صـــادحٌ　　يـــا عزيـــزًا حـــلَّ في القلـــبِ كـــريمْ

ويشجى شاعرنا صوت الناى الحزين فيسأله هل تبكي الزمان الذي ولى وكـان مفعمًـا بنعـيم الحب ، وتهزه نغمة الناي الحزينة الشجية التي تذكره بأيام الهوى والغرام التي سلفت (64):

يـا نـايُ مالـكَ تبكـي الوصـل متْشـحًا　　بـالحزنِ والشـوقِ والآهـات والألمِ
تبكـي الزمـان الـذي ولّـى .. وتـذكره　　في كـل آه بأشـكالِ مـن السـقم
فـبّحٌ صـوتك مـن مـرِّ السـنين، وقـد　　شـاخ الزمـان بلحـنٍ فيـك منسـجم
يـا نـاى هـدّئ .. وسـلني لا تنـاوحني　　سـلني عـن النـوح والألحـان والـنغم
إذ جـذوة الشـوق في نفسـي قـد اشـتعلت　　منـذ الزمـان الـذي شـطت بـه قـدمي
فنبـرة النـوح تُشـجي .. بـل تُـذكرني　　أحبـابُ أمـس مضـوا في عُتْمـةِ الظُّلـمِ
يقطـع القلـب صـوتُ النـاي يأخـذني　　إلى الـوراء سـنينًا عاشـها حُلمـي
لا النـوح يجـدي ، ولا الأنغـام تُرجعـه　　ولا البكـاء عـلى الأطـلال مـن شـيمي
فالصـبر عنـدي يبنيـه التجلّـد بـي　　والحـزن يبقـى ويبقـى فيّ للعـدم

ويحاول أن يتوحد مع الناي ويتناغم مع نغمته الشجية ، فيسائله : هـل أنـت حـزين مـثلي في الهوى الضائع ؟

---

(64) بوح البوادي / ص76 .

لكنه يظل يعاني الشوق لحبيبه النائي :

أأنـــت مـــثلي يـــا نـــاي الهـــوى حَزنًـــا	أم تطـــربُ الحـــيّ في مزمـــاركَ الهـــرِم
نُـح مـا تشـاء فلـن يجـديك نوحـك يـا	رفيـــق دربـــي فـــالمكلوم لم يُلَـــمِ
فأنـــت مشـــتاقٌ لا ريـــبٌ بـــذاك ، ولا	شـكٌ بشـوقك يـا نـايٌ .. فأنـت ظَمِـي
لكننـــي – والهـــوى الغـــالي ! يبرَّحنـــي	مـسٌّ مـن الحب فـاق الحـزن وسـط دمـي
أنـــا الـــذي يتقضـــى عمـــرهُ هزئًـــا	بـــالحزن والشـــوق –مهمـــا زاد– والألم

***

هكذا يرسل عبد العزيز سعود البابطين مشاعره الرومانسية المرهفة التي تتراوح بين الحب والبهجة وحلاوة الوصال ومرارة الهجر والصدود ، ولحظات النجوى ولحظات الأسى لتؤكد شفافية نفسه المتلهفة دومًا للحب الصافي الجميل البعيد عن شوائب الزمان ، وعيون المتطفلين ، وقسوة العذال والرقباء !

شعر البابطين الرومانسي رمز ما ضاع أو ما لا ينبغي أن يضيع ، رمز التفريق بين القشور واللباب ، بين الصحة والمرض ، بين الأصالة والطلاء ، بين الوجدان الرخيص والفقد العظيم ، توثيق البساطة والشجاعة والغناء . كأنما يبحث الشاعر عن ميلاد كامن في عمق بعض النفوس . يتصور أحيانًا بصورة «الطيف» الذي يتردد في القصائد . هذا الطيف ينافس بعض المنافسة صاحبه أو صاحبته ، الطيف الذي استيأس منه الشعر لأنه استيأس من الماضي . لكن الشاعر يبحث عن مكبرًا له إكبارًا يتجلى في تقليب الكلمة في اشتقاقاتها المتنوعة ، واستعمال كلمات أخرى بدائل تنوب عنه ، وترمز إليه من مثل كلمة الفجر والهمسات ، هذه الكلمات تتواشج للتعبير عن السر الذي لا يعيش الشاعر دونه . السر الذي يحفظه من التبذل وعدوان الإفصاح والتزيين . الطيف روح الزمان . أو روح العربية . الطيف ليس تابعًا من توابع الحب فحسب . الطيف هو الحقيقة التي لم تتكشف بعد ، ومن حقها علينا أن تحتفظ بمكانها من النفوس ، الطيف مجمع الماضي والحاضر ، الطيف أمام نفوسنا إذا غرقت فيما ترى وما تسمع على حد تعبير د. مصطفى ناصف [65].

(65) دراسات نقدية : 76.



الفصل الرابع

شاعر الوجدان القومي

ســـيروا إلى المجـــد والعليـــاء يـــا عـــرب

يحـــــدوكم العلـــــم والأخــــلاق والأدب

لكــــم بتــــاريخكم مـــا تفخـــرون بـــه

ومـــا تباهـــت بـــه الأجيـــال والحقـــب

أبـــاؤكم مـــن معـــين المكرمـــات ومـــن

نبـــع المـــروءات والأفضـــال قـــد شـــربوا

كـــانوا مشـــاعل نـــور في الـــورى وهـــدى

أعظـــم بمـــا منحـــوا الـــدنيا ومـــا وهبـــوا

عبد العزيز سعود البابطين

وطنية البابطين

من أبرز الملامح الرئيسية في شعر عبد العزيز سعود البابطين نجد ارتباطه بوطنه الكويت وبوطنه العربي وبأفقه الإنساني الواسع .

كان ارتباط الشاعر بوطنه الكويت وحبه لأرضه واعتزازه بالكويت والزود عنها في لحظات عزتها ولحظات المحنة دفاعًا مستميتًا لمشاعر مواطن يحب وطنه ويعشق أرضه وينافح عن كل ذرة رمل على أرض هذا الوطن الغالي على قلبه

وقد عبر عن كل مشاعره وأحاسيسه في كافة المراحل التي مرت بها الكويت في العصر الحديث .

يؤمن الشاعر أن الكويت هي بلد المحبة ومهد الشرف والوفاء ، يقول من قصيدة كتبها في شتاء عام 1988 : [(66)]

دُرَّة العـــربِ ومهـــدَ الشَّـــرفِ	يـا «كويـت» العـزِّ أمسـى وغـدِي
أنـــتِ للعـــين ضـــياءٌ مُبصـــرٌ	فيـــه للعليـــاءِ دومًـــا نَهتـــدي
فَلَـكِ الحــبُّ مَضــيءٌ فَاسْــلمي	قــد عَــلا نجمُـكِ نجـمَ الفَرْقَـدِ
قَـــلْ لمـــنْ غَـــالَى بحقــدِ إنَّنَـــا	مِـــن كبـــار لصـــغارٍ نَفْتَـــدِي
بلـــدَ الحـــبِّ فَــذِي أرواحُنَـــا	وبنونَـــا للــــولاءِ السَّـــرمدِي
عِشْـــتِ للمجـــدِ فَـــإنِّي مُغْـــرَمٌ	إذْ أرى راياتِنَـــا تَعْلـــو الجَـــدي

ثم يخاطب الشاعر أمير البلاد وسمو ولي العهد معاهدًا على السير وراء رايته لتحقيق كل الخير والازدهار لكويت المجد :

(66) أغنيات الفيافي/ كويت المحبة ص60 .

يـــا أميــرًا ســـرْ بنـــا نحـــوَ العُـــلا　　فَلَـــك الحـــبُّ وفـــاءَ يَرْتَـــدِي

يـــا وليَّ العهـــدِ يبقـــى عهـــدنُا　　للصَّـــباحِ الغُـــرِّ أقـــوى سَـــنَدِ

قـــدْ كفانـــا دينُنَـــا نَحْفَظُـــهُ　　وَكَفانـــا أَنَّنـــا مِـــنْ «أحمـــدِ»

وعندما مرت الكويت بمحنة غزو النظام البعثي في العراق في أغسطس 1990م ، يصاب الشاعر بصدمة مروعة تفقده توازنه وتثير فيه كل مشاعر الألم والأسى لهذا الغزو الغاشم الذي جاء من نظام عربي كان يفترض أن يكون السند والجار الطيب لكن وجد الغدر والخيانة ، فأطلق هذه الصرخة الحزينة الغاضبة التي سماها «الكارثة» والتي عبر فيها عن مشاعره ومشاعر أهل الكويت ومشاعر كل عربي أصيل تألم لهذا العدوان الغادر على أرض الكويت الشقيقة التي كانت دومًا سندًا لكل عربي وكانت داعمة لقضايا العرب فجاءت قصيدة عبد العزيز سعود البابطين معبرة عن مدى الجرح الذي أحس به كل كويتي وكل عربي شريف تجاه هذه الكارثة الفاجعة الكبرى ؛ وقد نظمها في الأشهر الأولى لذلك الغزو الغادر في الثاني من أغسطس عام 1990 ، وقال فيها : (67)

(67) أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص83 .

مِـن جديـد!!.. هـل غزانـا التَّتـرُ أمْ غَزَانــا إخْــوةٌ قــد كفــروا؟

إنَّهــم أخْوتُنَــا مَــن وَلَغُــوا في دمانــا فاستشَــاطَ القــدرُ

فَعَلــوا فِعلــتَهُمْ؟؟.. يــا ويْحَهُــمْ وهُــمُ لمْ يَخجلــوا بــل مَكَــروا

لا التَّتــارُ الصُّــفْر مَــرُّوا مِــن هنــا لا ولا صــهيونُ هــم مَــن أَمَــرُوا

إنَّــهُ العِلْــجُ الــذي خــانَ الوفــا ضــيَّعَ العهــدَ فَضَــاعَ الأثــرُ

أيــن عهــدٌ صــاغَهُ مَــنْطِقُكُمْ يــا دُعــاةَ الشــرِّ .. يــا مَــن غــدروا

نحــنُ لا نرضَــى بمَــنْ مَزَّقَنَــا وأضــاعَ الــدَّرْبَ بالتِّيــهِ سَــروا

قــدْ دعونــاكَ فَيَــا «جابرَنــا»[68] عــالِجِ الجُــرح ومــا قــد كَسَــرُوا

ومن هول صدمته من غزو الكويت من جارة عربية يحاول أن يستوعب الموقـف فيسـتند إلى تاريخ الكويت وعروبتها وفضائلها فيكتب في الأسبوع الأول من ذلـك الغـزو الغاشـم ، مشـيدًا بالكويت «بنت العروبة» وأم الفضائل : [69]

(68) سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح (رحمه الله) .

(69) أغنيات الفيافي / بنت العروبة / ص31.

اللهُ أكبـــــرُ يــــا «كويــــتُ»	يــا بنــتَ أكْــرَم مــا فَــدَيتْ
يــا بنــتَ أشــرفِ مــن قَصَــدْ	تُ مـــن الخَليقَـــةِ أو كَنَيـــتْ
بنــــتَ الطَّهــــارةِ والنَّـــدَى	مُتَمَثِّلَـــيْنِ بمـــن عَنَيْـــت
مــاذا عنيــتُ ســوى العُــرُو	بَــةِ ، إنْ صَــمَتُ وإنْ حَكَيــتْ
أمُّ الفضــــائل والمَكَــــا	رِمِ ، إنْ رضــيتُ ، وإن أبَيَــتْ
هِـــيَ للمُـــروءةِ والمحَبْــــ	ـــبَةِ والإبــاءِ حِمًــى وبيْــت
هـــــيَ موئِــــلٌ للثَّائريْــــ	ـــنَ عــلى النَّقــائصِ لــو دَريــت
سُــقِيتَ بمــاء الخيــر ، يــا	ربَّـــاه بـــاركْ مـــا سَـــقَيْت
بنـــتُ العروبـــةِ أنـــتِ يـــا	أرضَ المحبَّـــةِ يـــا «كويـــتْ»
أنـــتِ الضَّـــمِيرُ إذا الضَّمِيْـــ	ــرُ شَــكا وقــال : أنــا انتهيــتْ
كُوِّنـــتِ مـــن طـــينِ الوَفـــا	وعـــلى هُـــداكِ أنـــا مَشــيتْ
لـــكِ يـــا «كويـــتُ» وفي سَبَيْـــ	ـــلِكِ مــا نشــرتُ ومــا طويــتْ
ولِعـــــزِّ رايتِـــــكِ المَنيْـــــ	ـــعَةِ والحبيبـــةِ كـــم ســـعيتْ
وعَنَيـــتُ قَولَـــكِ للعِـــدا:	أنـــا للمحبَّـــة قـــد أويـــت

ثم يلتفت إلى الغزاة الغاصبين فيطالبهم بترك العداوة والبغضاء والعمل من أجل السلام والرخاء كما كانت الكويت تبني وتعمر وتدعو للمحبة والسلام : (70)

(70) أغنيات الفيافي / ص33 .

فَـــدَعُوا العـــــداوةَ والقِلَـــــى | وابْنـــوا السَّــلامَ كمـــا بَنَيْـــتْ
لَكـــنَّكُمْ يـــا طُغْمَـــةَ الْـــــ | ــــفجَّارِ شـــئتم مـــا اتَّقيـــتْ
فَنَبَــــا بِعـــــدلٍ عــــنكُم | ربُّ السَّــــما وبـــه احْتميـــتْ
تبقَـــــى وتسْـــــلَم جنَّتـــــي | يـــا بنـــتَ أكـــرم مَـــن فَـــدَيتْ

لكن عندما تحررت الكويت وعادت البسمة إلى الوجوه الحزينـة وعـم الفـرح قلـوب أهـل الكويت وكل أحباب الكويت من الأخوة العرب ، تهلل الشاعر لبشائر الفرحة والنصر ، ومظاهر البهجة وعرس النصر فقال منشدًا يحيي وطنه الكويت وأمير الكويـت والقـادة العـرب الـذين ساندوا الكويت في محنتها حتى تحررت وزالت آثار العدوان الغاشم عن ربوع الكويـت في 26 فبراير 1991 ، فقال معبرًا عن فرحته الغامرة ، وفرحة كل كويتي وعربي أصيل : [71]

عُـرْسُ الزَّمـان بمـوطني مُـزْدانُ | تزهُـو بـه الأشـكالُ والألـوانُ
عُـرسٌ بـه في كـلِّ بيـتٍ مُنشـدٌ | طربًـا ، وفيـه شـاعرٌ فنَّـانُ
والنَّـاسُ ، كـلُّ النَّـاسِ في أعمـاقهم | تتغـازلُ الأشـعارُ والألحـانُ
وطنـي وقـد حـلَّ السَّـلامُ بأرضِـهِ | والرُّعـب زال وأورقَ الرَّيحـانُ
يـا فرحـةَ الأهـلِ الميـامينِ الأُلَـى | لا الطَّعـنُ أرهَـبَهُمْ ولا الطَّعـانُ
ورثـوا الشَّـجاعةَ كـابرًا عـن كـابرٍ | فجميعهُم ـ في حقِّهـم ـ شـجعانُ
في السِّـلمِ لا طـاغٍ ولا مُتَجبِّـرٌ | فيهمْ ، وفي يـوم الـوغَى مـا هـانُوا

(71) أغنيات الفيافي / العرس الخالد/ ص176 .

عاشوا بحبِّ الآخرين ، وعذرهُمْ ـــ في حبِّهمْ ـ أنَّ الورى إخوانُ

يفدُونَ مَن حطَّتْ به الأيَّامُ أو جارتْ عليه وعضَّهُ الحَدْثَانُ

ويُصَارعون المعتدي دَفعًا لهُ إمَّا بدا من غاشمٍ عدوانُ

عرسٌ هو الدُّنيا تُزيِّنُ وجْهَها والحُسن في أعطافِها ريَّانُ

تتراقصُ الآمالُ فيه مُسرةً بهزيمةِ الطَّاغُوتِ وهو مُهانُ

لا لومَ إن فَرِحَ الأُلى عشقوا السَّلا مَ ، وهلَّلوا لمَّا هَوى الطُّغيانُ

ما فيهِمُ في جنَّةِ الأحرارِ إلْـ ـلا مُشرقٌ مُستبشرٌ جَذْلانُ

هذي «الكويتُ» وما نما في رَبعِها المعطاءِ إلا البرُّ والإحسانُ

غرَّاءُ لا يشكو النَّزيلُ بأرضها ضِيقًا ، ولا يَتَظلَّمُ الضِّيفَانُ

هيَ للمحبَّةِ والسَّلامِ خَميلةٌ غنَّاءُ تسقي نبتَها الغُدْرانُ

ثم يعود فيتغنى بالكويت المحررة أرض المحبة والتسامح في ظل آل الصباح بعد أن تعطرت أجواؤه وسماؤه بعبير الحب والمودة والتسامح :

وطـنٌ غـدَا «آلُ الصـباح» رُعاتـهُ   يحمـي الرَّسُـول حِمـاهُ والـرَّحمنُ
يـا حبَّـذَا عـرسُ الحيـاةِ بمـوطنٍ   عـن أرضـهِ قـد زالـت الأدرانُ
فتعطَّـــرتْ أجـــواؤُه وســـماؤُه   بشـذا المـودَّةِ والزَّمـانُ أمـانُ
عـــادتْ إليـــه طباعُـــهُ ، وطباعُـــه   حـبٌّ تَسَـامى غايـةً ، وحنـانُ
لمَّـا هَـوَى صـرحُ العَـداوةِ والأذى   وعـلى العـدو تَهـدَّمَ البنيـانُ
وغـدا يُبَصْـبِصُ باحثًـا عـن رأسـهِ   بـين الخرائـب ذلـك الثُّعبـان
حُصِّنْتَ يا وطني عنِ الصَّـدَّام والـ   ـهدَّامِ واسْـتقْوَى بـك الإنسـانُ
وطنـــي ســـتبقَى رايـــةً خفَّاقـــةً   تزهـو بـك الأشـكالُ والألـوانُ

والجدير بالذكر أنه قد أبدع هذه القصيدة في منطقة الرقعى شعيب الباطن بالمملكة العربية السعودية في السادس عشر من مارس عام 1998 .

وعندما عاد الصفاء للكويت ، وعادت لتقوم بدورها الثقافي والحضاري كما كانت واختيرت عام 2001 عاصمة للثقافة العربية ، يؤكد البابطين على دور الكويت التنويري وإشعاعها الثقافي ويباهي بأنها واحة العرب ، فيقول : (72)

(72) مسافر في القفار / ص116 .

(كُوَيْـتُ) يـا جنَّـةً في سَـاحةِ العـربِ ... ويا (عكـاظ) النُّهـي والشِّـعر والأدبِ

يـا واحـةً لَبِسَـتْ مـن نَسْـجِ خالِقِهـا ... غلائلاً مـن ضِـياءِ الشـمسِ والشُّـهُبِ

ونَجْوَةً في الصَّحاري البيدِ قـد وَصَـلَتْ ... مَهْدَ «النبـيَّ» بمَـوْجِ الشَّـاطئِ الـذَّهَبي

بـالعلمِ والحُـبِّ والإيمـانِ قـد مَلِئَـتْ ... أيامُـكِ الغـرُّ دومًـا عـن أبٍ فَـأبِ

والشِّعْرُ في أرْضِكِ المِعْطـاءِ مـا نَضَـبَتْ ... يوْمًـا يَنابيعُـهُ عـن مائهـا العَـذِبِ

شِـعْرُ المَحبَّـةِ والإنْسـانُ مِحْـورُهُ ... خُطَّـتْ دَواوينُـهُ في هـذه الكُتُـبِ

ويؤكد البابطين أن إبداعات الكويت فن مختلف الآداب والفنون والعلوم ومنها ديوانه «بوح البوادي» إنما يعد شعاعا من إشعاعات الكويت الثقافية والحضارية وقبس من نور العلم والمعرفة التي اتسمت بها الكويت : (73)

(بـوحُ البـوادي) شـعاعٌ مـن أشـعتهِ ... ونغْمـةٌ رُدِّدت في جوِّهـا الرَّحِـبِ

يـا رَبْعَنـا في ديـار العُـربِ هـلْ سـمعتْ ... آذانكـمْ مـا وَعَـاهُ مِسْـمَعُ الحِقَـبِ

صَـوْتٌ مـن الشِّـعر أمْـلاهُ «فَرَزْدَقُنـا» ... عـلى «جَريـرٍ» فثـارَ الشِّـعْرُ بالكُتُـبِ

في أَرْضِ (كاظِمَـةٍ) ألقَـى قَصـائدَهُ ... فَـراحَ تَرْدَادُهـا يسـري عـلى الهُـدب

شـمسُ البـدايات مـن آفاقنـا سَـطَعَتْ ... في العـالمين بنـورٍ غيـرِ مَنْحَجِـبِ

عـلى غُصـونِ الحضـارات التـي وَرَفَـتْ ... بلابـلٌ مـن طيـور الشَّـاطيءِ العَربـي

(كُوَيْـتُ) يـا بلـدًا للجـود يسـكنُه ... عـزمٌ عـلى الخيـر لا ينفـكُّ في دأبِ

(73) مسافر في القفار / ص117 .

قــولي لمــن قــال نــارُ العلــم واريــةٌ وقــودُ نيــران هــذا العلــم مــن حَطَبــي

إذا صـــمتُّ قلـــيلاً في الزحـــام وفي بحــر الضَّــجيج ومــوجِ الهــرْجِ والصَّــخبِ

مهــلاً فــأبْرعُ مــن غنــوا ومــن طربــوا قــد يصــمتُون عــن الإنشــاد والطَّــرب

حتَّــى يحــينَ زمــان يكشــفون بــه عمَّــا لــديهم ، لهــذا الصَّــمتِ ، مــن ســببِ

رِمالنـــا في البَـــوادي ذوبُ أزْمنـــةٍ أنجــبنَ مــن عــزَّ مــن آبائنــا النُّجــب

بمــا أشــاعوه عبْــر الفــتح مــن قــيمٍ في الشَّــرق والغــربِ جــاءوا النَّــاس بالعجــبِ

إذْ نــوَّروا الشَّــرق بــالأنوار وانتزعُــوا عــن نــاظِر الغــرب مــا غطّــاه مــن حُجُــبِ

كــم طوَّعــوا مــن خُيــول الــريح جامحــةً تَجْــري بهــم لجَليــلِ القَصْــدِ والأرَبِ

ويسرد الشاعر مصادر الثقافة الكويتية وألوانها وفنونها فيذكر أنها أنشأت بين الرمال وأمـواج البحر فاتسمت بالوسطية والتسامح والحب : [74]

وفي صَــباحِ الــوَرى كانــت ثقــافتهُمْ أُنشــودةً للهُــدى في لحنهــا العَرَبــي

ثقافــةً نشــأت بــين الرِّمــال ومَــوْ جِ البحر، واعْتَدَلَتْ في الوهْدِ والهِضَبِ

ومــدَّها العــزمُ حتَّــى طــارَ طائرُهــا مُغــرِّدًا ســابحًا في ملعــبِ السُّــحبِ

فألَّفــت مــن بنــي الإنســانِ عائلــةً توحَّــدت بــالهَوى والمَيْــل والنَّســبِ

دُنيــا مــن الحــبِّ والأخــلاقِ ســافرةٌ عمّــا طــوَى مــن حنــانٍ قلــبُ كــلِّ أبِ

دُومي كما أنــتِ يــا أرْضَ العروبــةِ يــا (كويتنــا) عــن ســماها النُّــور لم يغِــبِ

(ما أجْمَلَ الدِّينَ والــدُّنيَا إذا اجْتمَعَـا) في دوْلــةِ الحُــبِّ والإيمــانِ والأدبِ

***

(74) مسافر في القفار / ص118 .

هكذا عبر عبد العزيز سعود البابطين عن وطنه الكويت في السلم والحرب ، واعتزازه بدورها الثقافي العربي ، وتمسكها بقيمها وثوابتها ، وهكذا عبر شعره الوطني عن وطنه وأرضه وفخره بها ، ويحسب له أنه من شعراء الوطنية الكويتية في الشعر المعاصر ، والملاحظة الجديرة بالذكر أن وطنيته وطنية سمحة ليس فيها تعصبًا أو تشددًا بل وطنية سمحة تعرف للكويت دورها العربي وإشعاعها الثقافي والأدبي الذي تضطلع به عن رضا وسماحة.

البابطين شاعرًا عروبيا

وبجانب انتماء الشاعر لوطنه الكويت ودفاعه عنه ووقوفه منافحا عن الكويت في السلم والحرب معليًا من شأنها فإنه لا ينسى وطنه العربي الكبير في انتصاراته وانكساراته أيضا ، في بطولاته ومواقفه المشرف دفاعًا عن العرب والعروبة .

فعندما تحتفل لبنان بالانتصار على العدو الصهيوني وطرده من جنوب لبنان تستثار العزة العربية عند الشاعر ويهتز طربا بهذا النصر المبين على العدو ويباهى بعروبته وبالمقاومة العربية ضد العدو الغاصب ، فيقول مهنئا العرب وأباة الضيم في لبنان بنصرهم المظفر : (75)

زيِّنـي يـا أمّـة العُـرب العواصـمْ   فلقـد ردَّ الأذى عنـكِ المُقـاومْ

بطـلٌ مـا حـدَّثوا عـن مثلـهِ   في ميـادين الـوغَى حيث الملاحـمِ

كـان مرصـودًا ليـومِ النَّصـرِ في   زمـنٍ كـم كثـرت فيـه الهـزائمْ

يـا أبـاةَ الضَّـيم في (لبنـان) يـا   مـن قهـرتهم كـلَّ غـدَّارٍ وغاشـم

مـن مغـانيكم جعلـتم حرمًـا   عـزمكم فيـه قِبـابٌ ودعـائمْ

في زمـانٍ قـد رأى أبنـاؤُه   من صنُوف الظُّلمِ ما أوْهَى العزائمْ

أدبـر الليـل عـلى أيـديكمُ   يعـدمَا طـالَ ونـورُ الصَّبحِ قـادمْ

أنـتمُ في جنَّـةِ الشَّـرقِ وفي   جوِّهـا في حالـةِ السِّـلمِ حمـائمْ

ويسـاحاتِ الـوَغَى إن جـاءكم   معتـدٍ بـاغ ، أسـودٌ وضـياغِمْ

سِـيَرُ الأبطـال مـنكم قـد غَـدَتْ   لمعـاني الفخـرِ والمجـدِ معـاجمْ

(75) مسافر في القفار / قصيدة لبنان النصر / 106 .

بـــات هـــذا الشِّـــرقُ مـــن فرحتـــه	نـــاثرًا في مَـــدحِ مسْـــعاكم ونـــاظمْ
نُجْعَـــةَ الرائـــدِ (لبنـــانُ) غـــدا	وَغَـــدتْ (بيروتُـــهُ) أمَّ العَواصِـــمْ
رايـــةُ النَّصِـــرِ التـــي قـــد خَفَقَـــتْ	في فضـاءٍ كـان حتَـى الأمْـسِ غـائمْ
صـــــنعتَها ثـــــم علَّتْهـــــا عـــــلى	راحَتَيْهـــا كِبريـــاءٌ لا تُســـاوِمْ
في صِـــراع الخيـــر والشـــرِّ وقـــد	هُـزم الشـرُّ وكـان الخيـر هـازمْ
نِعـــم يـــوم كـــان في تاريخنـــا	رجـمَ الشـيطانَ فيـه ألـف راجـم
وتعـــرَّى الجُـــبنُ في جلبابـــهِ	واكْتسـى الإقـدامُ أكنـاف القسـائمْ
علَّمـــوا الغاشـــم في اســـتعْلائِهِ	كيفَ يَنْبُـو السَّـيفُ في قبضـةِ غاشـمْ
وعـــلى هامـــاتِهم كـــم أُلبِسُـــوا	مـن نَسـيج الحَـزْمِ والعـزمِ عمـائمِ
مَعشـــرٌ إن ســـالمُوا أو حـــاربوا	مـا بَغَـوْا إلا الكرامـاتِ غنـائمْ

وقد نظم البابطين قصيدة لبنان النصر في غرة نوفمبر عام 2000م ، وألقاهـا في دورة الشـاعر أبو فراس الحمداني في العاصمة الجزائرية تفاعلاً مع أنباء النصر على العـدو الصـهيوني واعتـزازًا بموقف لبنان البطولي.

وعندما يستشهد الطفل محمد الدرة في بدايات انتفاضة الأقصى المباركة ينتفض قلـم عبـد العزيز سعود البابطين مشيدًا ببطولة فتيان فلسطين ضد العدو الصهيوني الغاضب ويبـاهى بجيـل الشهادة البطل وهؤلاء الأشبال الذين ردعوا العدو الصهيوني ؛ وقد أبدعها في نوفمبر عام 2000 (76):

(76) مسافر في القفار / قصيدة محمد رمزهم / ص112 .

مَسـيرةُ الشَّـرق للتحريـر والظَّفـرِ　　قدْ خطَّهـا فِتيـةٌ في صـفحةِ القـدرِ

عـلى سَـنَاهُمْ مشَـى تـاريخُ أمَّتِنـا　　إلى المُكـارم مـن ليـلٍ إلى سـحرِ

أعظِـم بفتيـانِ صـدقٍ جـلَّ مـأربهمْ　　يقـاومونَ بنـي صـهيون بـالحجرِ

وللحِجـــارة في أيـــديهم لغـــةٌ　　تُزْرى فَصَاحَةً اهلِ الجُبنِ والخَوَرِ

مَضَوْا إلى السَّاحِ لا خوفٌ ولا حـذرٌ　　والحُـرُّ يَهْـزَأُ في المَيْـدانِ بالحَـذَرِ

في عـالمٍ مـا لـهُ قلـبٌ يحركُـه　　ومـا لـهُ بـدرُوب الخيـرِ مـن أثـرِ

يُحاصرُ الوحْشُ فيه الخلْقَ مُفتخِرًا　　بمـا لديـهِ مـن الأنيـابِ والظُّفُـرِ

يَعْتُو على مَـنْ زَكَّـتْ بـالخيرِ سـيرَتُهُ　　جورًا ، ويفترسُ الأطفالَ في السُّرُرِ

فَمِـنْ ريـاءٍ لـدفْعِ الحيْـفِ مُنعقـدٍ　　ومـن نفـاقٍ لنشـرْ العـدْلِ مُـؤتَمِرِ

تَمْحُو الوقائعُ ما خطُّـوه مـن دَجَـلٍ　　والرِّيحُ تمضي بما قالوه من هَـذَرِ

***

فَتَى الحجارة يـا سيف الكرامـةِ في　　دارٍ توالَـتْ عليهـا أوجُـهُ الخطـرِ

سَـخِرت مـن ظـالمٍ يزهُـو بآلتـهِ　　ومـن رصـاصٍ عـلى جِنْبَيْـكَ مَنْهَمِـرِ

وهِمَّـةٍ فـوقَ أرضِ الأنبيَـاءِ نَمَـتْ　　كأنَّهـا صـحْوةٌ في غفـوةِ القـدرِ

أعَـدْتَ سـيرَةَ آبـاءٍ لنـا انتصـرُوا　　على الطَّواغيتِ ، في ما كان من عُصرِ

أخزيـتَ أوْبـاشَ قـومٍ عـمَّ ظُلْمهُـم　　تكـاثرُوا زُمـرًا تَرْبُـو عـلى زُمـرِ

للغَدْرِ والمَكْرِ كانـتْ كُـلُّ هِمَّتِهِمْ　　وللمسـاوئِ والعُـدوانِ والضَّـرَرِ

فَاقْرَأْ بمـا جـاء في الإنجيـل لَعْنَتَهُمْ　　واقرأْ بمـا جـاء في القُـرآن مـن سُـورِ

ثم يجدها فرصة سانحة للإشادة بجيل الشهادة والفداء من أشبال فلسطين الذين ملأوا الدنيا بشجاعتهم النادرة وجادوا بأرواحهم فداء لوطنهم وسعيًا لتحرير أرضهم السليبة :

جيـــلُ الشَّـــهادةِ جيـــلٌ لا يُروِّعُـــهُ ... ســـلاحُ مُســـتكبرٍ بـــالبَغْي مشـــتهرِ

أشـــبالنًا ملـــؤوا الـــدُّنيا بســـيرتهمْ ... وسوفَ يبقُون مِلْءِ السَّـمعِ والنَّظرِ

جـادوا بـأرواحهِمْ بـذلاً ولـيس لهـمْ ... إلا الأمانِ ورَفـعُ الضَّـيمِ مـن وطـرٍ

لا تعرفُ الأرضُ أنقَـى مـن سـرائرهمْ ... عن مِثلهمْ ما رَوَى التاريخُ من خبـرِ

***

يا شرقُ قبَّل ثَرَى الأحْـرار مـن وهبـوُا ... لك الحيـاة بزهـقِ الـرُّوحِ والعُمـرِ

فمـا شـهيدُكِ يـا أرضَ الأبـاةِ سِـوَى ... شـهيدِ مـن ظُلمـوا في عـالمٍ عَكِـرِ

يُصاولُ المـوتَ مـن أجـل الـولادةِ في ... دُنيا تخلـص مـن فيهـا مـن الكَـدَرِ

كالشمسِ في الَّليل تَهْـوى عنـك غاربـةً ... لكي تعُودَ مـعَ الأضْـواء في السَّـحرِ

هكذا تفاعل عبد العزيز سعود البابطين مع قضايا وطنه العربـي الكبيـر وسـاندها في معـارك الحرب والسلام لأنه آمن بالعروبة لأنه جزء أصيل منها نشأ في بيئتها الصحراوية وترعـرع تحـت سمائها الساطعة ورضع من لبان الشمم والإباء العربي، وتنسم نسائم الحرية والعزة والكرامة في بيئته منذ صغره ، فلم يكن غريبا انتفاضته لكل ما يسمى كرامـة وحريـة واسـتقلال أي جـزء مـن الوطن العربي والإشادة والفخر ومساندة كل انتصار عربي يعيد للأمـة العربيـة اعتزازهـا بـذاتها وتمسكها بحريتها واستقلال إرادتها وحفاظها على وجهها العروبي الإسلامي الأصيل ، فاستطاع أن يعبر شاعرنا عن الوجدان القومي العربي بكل صدق وأصالة واقتدار ، لأنـه في النهايـة شـاعر عروبي أصيل قد تجاوز كل الحدود المصـطنعة وكـل الـدعوات الإقليميـة الضـيقة ليعبـر عـن الضمير القومي العربي الصادق .

ولعل كلماته التي انطلقت من القلب تعبر عـن هـذا الحـس القـومي العربـي الـذي يـرفض العنصرية والتفرقة بين عناصر الأمة ونبذ الفتنة والفرقة ، لتحقيـق العـدل والسـلام عـلى الأرض العربية حتى يعم الرخاء والازدهار والأمان إذا طبقنا جوهر ديننا الإسلامي الصحيح بعيـدًا عـن خزعبلات المتنطعين وأصحاب الفكر المتعصب الضيق ، هكذا عبر عبد العزيز سعود البـابطين عن آماله في وجود أمه عربية تعيش في سلام وأمان وازدهـار لإظهـار الـروح الحقيقيـة للإسـلام وللقيم العربية الأصيلة ، وهكذا عبر في ملحمة العرب التي أبدعها في شهر سبتمبر (أيلـول) عـام 2015 ، والتي يقول فيها : [77]

آمـــــنَ العُــــربُ جميعـــــاً	بنــــــــــداء الأنبيـــــــــاءْ
أكْبـــــرُوا ديـــــنَ النَّصـــــارى	ورســــــــالاتِ السَّـــــــماءْ
فَلَقـــــــد قــــــال تعــــــالى	رسُـــــــــلُ اللهِ سَـــــــوَاءْ
دينُنَــــــا ديــــــنُ التَّسَـــــامي	وعنــــــاوينُ الإخــــــاءْ
نَنْبِــــــــذُ الفِتنـــــــةَ .. والإرْ	هَـــــابُ ديــــنُ الجُبنـــــاءْ
واعلمُـــوا أنّـــا ـ وديـــنِ الْــــ	ـــــحقِّ ـ مـــنهمْ بُـــرءاءْ
يـــا بنـــي الإنســـان نـــدعو	كُـــــم ، فلبُّونــــا النِّــــداءْ
إنَّكُـــــمْ طُـــــرًّا خلقـــــتُمْ	مِـــنْ تُـــراب فيـــه مـــاءْ
انبـــــذُوا الحقـــــدَ وقـــــتْلا	وولُوغَـــــــا بالــــــدِّماءْ

(77) أغنيات الفيافي / ملحمة العرب / ص9 .

فجميعًـــا نحـــن خلـــق الــــ	ــــــلَّهِ نحـــــنُ العُقـــــلاءْ
املـــــــؤوا الأرضَ ســــــلامًا	وزهـــــــــورًا وسَـــــــــنَاءْ
وانْهَجُـــــوا نهــــجَ وئــــامٍ	وارتَـــــــــدُوهُ كَـــــــرِداءْ
لِتَعيشُـــــــــوا بأمـــــــانِ	ورخـــــــاءٍ .. وإخـــــــاءُ

كما أن عبد العزيز سعود البابطين بمشاركاته الثقافية في جميع الفعاليات التي تقيمها مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في المجال الثقافي والتعليمي والإنساني يؤكد بجدارة عن إيمانه بدوره العربي والإسلامي والإنساني في خدمة الثقافة الإنسانية .



الفصل الخامس

عبد العزيز سعود البابطين

شاعراً غنائياً

يا نـاي مالـك تبكـي الوصـل متشـحًا

بـالحزن والشـوق والآهـات والألم

تبكـي الزمـان الـذي ولّـى وتـذكره

في كـل آهٍ بأشـكال مـن السـقم

فـبُحّ صـوتك مـن مـرّ السـنين وقـد

شـاخ الزمـان بلحـن فيـك منسـجم

يـا نـاي هـدئ وسـلني لا تنـاوحني

سلني عـن النـوح والألحـان والـنغم

عبد العزيز سعود البابطين

اتسم شعر عبد العزيز سعود البابطين بتوهج النغم في شعره ، وتلك الموسيقى الخلابة التي تجعل من قصائده مغناة دون موسيقى تصويرية ، وهذا ليس غريبا إذا بحثنا عن ينابيع تكوين الشاعر حيث كان أحب الشعراء إلى قلبه : عل محمود طه وأبو القاسم الشابي والشاعران يمتلكان قسطًا وافرا من النغم ، فأصبحت موسيقى الشاعر في قصائد البابطين خاصية في شعره يمتلكها الشاعر بتلقائية وتتجلى في شعره بصورة ظاهرة ملموسة .

ولعل التناغم الصوتي في شعره وإحساسه بالحروف والكلمات إحساسا مرهفا دفعه لحسن استخدام الحروف والكلمات في موضعها ، فيبرز الجرس المنغم الذي يأسر القلب ويشجي الأذن ويرقص الوجدان ، فيبعث النشوة في نفوس ووجدان مستمعيه .

ولذلك لم يكن غريبًا أن يتغنى بعض أهل الطرب بقصائده المنغمة الموسيقية فتحدث تأثيرا قويا في الوجدان .

ومن قصائده التي تغنت بها المطربة اللبنانية المبدعة غادة شبير قصيدة «عند البحيرة» والتي غنتها المطربة في الحفل الغنائي الذي أقيم في الدورة العاشرة لمؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية «دورة شوقي ولا مارتين» في العاصمة الفرنسية باريس في قصر اليونسكو الذي أقيم في الثالث من نوفمبر عام 2006 ، وهي قصيدة غنائية رقيقة فيها استعادة لذكريات العاشق مع محبوبته على ضفاف البحيرة ، والتي استوحاها في ربوع لبنان ، صيف عام 2006 ، والتي يقول فيها[78] :

(78) ديوان أغنيات الفيافي / قصيدة عند البحيرة / إصدار مؤسسة البابطين / الكويت 2017/ ص113 .

هـل تّـذكُرين لقاءَنَـا بعـدَ الـذي ... قد كان من عملِ البِعادِ المُوجـعِ؟
إذا أشرَقتْ عيناكِ في نجوى الهـوى ... شـوقًا لِصـبٍّ والِـهِ مُتلـوِّعِ
حـولَ البحيـرةِ والطُّيـورُ سـواجعٌ ... تشـدو بأنغـام النَّجـيِّ المُبـدِعِ
قَلْنـا لهـا في سـرِّنا : لا تَصـمُتي ... غنِّي هوانا ـ يا طيورُ ـ ورجِّعِي
وتأمَّلـتْ عينـاكِ فيَّ ، وقالتَـا : ... زادَ الفِـراقُ تَلَهُّفِـي ـــ وتَطَلُّعـي
أشـكو كمـا تشـكو كآبـاتِ الهـوَى ... فلقـدْ شَـرِبْنَاها بكـأسٍ مُتْـرَعِ
فَأَجابَ قلبـي ؛ والنَّـواظرُ قـد رَنَـتْ ... لجمـالِ وجـهٍ بـالرُّواءِ مُشَعْشِـعِ
أوَمـا ذَكَـرْتِ وداعَنَـا يـومَ افْترقْـ ... ـنَا بعـد عهـدٍ مـن وصـالٍ مُمْتِـعِ
منـذُ افْتَرَقْنَـا لم أذقْ طعـمَ الكَـرَى ... وجرى عـلى خَـدِّ اللَّيـالي مَـدْمَعي
كـم رحـتُ أحْلُـمُ باللِّقـاءِ مَمَنِّيًـا ... نفسـي بمتعـةٍ نـاظريَّ ومَسْـمَعِي
عجبًا لحالي في الهوى أشـكو الجَفَـا ... مـن غـادةٍ هيفـاءَ تسـكنُ أضـلُعِي

ويلتفت الشاعر حوله فلا يجد أمامه إلا ذكريات حبه البعيد فيناجي طيفها الذي يغمره بعطرها وشبابها المتجدد فيمضي يعدد لها لواعج قلبه العاشق وهواجس نفسه المحرومة من وصالها ، فيقول[79]:

(79) أغنيات الفيافي / ص114 .

ما غـابَ طيفُـكِ عـن خيـالي ناشـرًا　　　حَـوْلِي نَـوافحَ عطْـرِه المُتضَـوِّعِ

طيــفٌ يُعيــدُ إليَّ مــن قــد فــاتني　　　أنْ ألْتَقِيهــا ، والبِعــادُ مُروِّعــي

غيـــداءُ بـــاهرةٌ المفـــاتنِ غضَّـــةٌ　　　تختــالُ في مــرحِ الشَّـبابِ الأروَعِ

كما تغنت الفنانة غادة شبير بقصيدة «إباء عاشق» في الحفـل الغنـائي الـذي أقـيم في الـدورة الثانية عشرة لمؤسسة عبد العزيز سعود البابطين «دورة خليل مطـران ومـاك دزدار» في سـراييفو عاصمة البوسنة في 19 أكتوبر 2010 ، والتي يناجي فيهـا طيـف ملهمتـه لـيلى التـي لا يسـتطيع نسيانها فيناشد طيفها علها تلبي نداء قلبه العاشق المستهام : (80)

لَحَـاكَ اللهُ هــل أنَــا مَــن يُضَــامُ؟　　　وهْــل مِــثلي يُعــذَّبُ أو يُســامُ؟

وهــل أنــا مــن يُســاقُ إلى الرَّزايــا　　　وأحلامــي يُبَعثِرُهــا الغَـــرامُ؟

فأيَّــامي مَضــتْ كــالومضِ حتَّــى　　　كــأنَّ الــومَض يُخفيــهِ الظَّــلامُ

رأيـــتُ الحُـــبَّ يَقْتُلُنِـــي بطيئًـــا　　　فهــل عَيشِــي بــلا حُــبٍّ يُــدامُ؟

ذَرَعْـــتُ الأرضَ شـــرقِيها وغربًـــا　　　أُناشِـــدُ مَـــنْ أُحِـــبُّ ... ولا أُلامُ

أناشــد بــل أُلاحــق طَيــفَ خِلِّــي　　　عســاها تَهْتَــدِي فَهْــيَ المَــرَامُ

لأبقَــى غارقًــا في حــبِّ «لــيلى»　　　وحتَّــى لــو دَنَــا منِّــي الحِمَــامُ

فَلَـــمْ أرَ أنَّ عيشِـــي دونَ حُـــبٍّ　　　ســيُبقِي العُمْــرَ عُمْــرًا يُسْــتَدامُ

كما تغنى الفنان صالح الحربي بقصيدة «يمين الله» والتي أذاعتها إذاعة الكويت عـام 1979 والتي تعبر عن مشاعر الشاعر العاشق لمحبوبتـه يسـتحلفها فيهـا البقـاء عـلى العهـد بـأن يظـلا عاشقين مهما نأت بهما الديار ومهما مرت الأيام ، فيعاهدها عـلى الوفـاء وصـيانة الحـب ، وأن تظل مقيمة في قلبه ووجدانه (81):

(80) أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص154 .

(81) أغنيات الفيافي / ص64 .

يمـــينُ اللهِ والـــذِّكرى ووعـــدي ولُقيانــا الأخيــرُ وليــلُ سُــهْدِي

ووعـــــدٌ لي قَطَعْتِيــــهِ بحـــــزمٍ بأنَّكِ لي ـ ولا لِسِـوايَ ـ وَحْـدي

وأنـــــات أقدســــــها ترامـــــت إلى قلبــي فنامــت بـين وجـدي

وبالحـــبِّ المُقــيم بِقلــبِ صــبٍّ يُــذَكِّرُهُ الحنــينُ ليــومِ عهْــدِ

فَلـــنْ أنســاكِ يــا حبَّــي وقلبــي يُــردِّدُ نبضــةَ دَقَّــتْ بمهــدي

ولــن أنسَــى ليــالي الوصــلِ حتَّــى يُنْسِّــيني مَشِــيبي كــلَّ رُشْــدي

ومــا أدري سَــلَوتُمْ يــا حبيبــي أمِ الـــذِّكرى تُــذكِّرُكُمْ بْــوِّدِي

بِكلْتَــا الحــالتَيْنِ أصــونُ حُبِّــي ولـن أنسـى هـواكُمْ بـلْ سـأفدي

إن أغنيات عبد العزيز سعود البابطين المموسقة تذكرنا بغنائيات شاعر الجندول علي محمود طه (1901 ـ 1949) التي تغنى الموسيقار محمد عبد الوهاب بقصائده «الجندول» عام 1939 و «ليالي كليوباترا» عام 1941 وقصيدة فلسطين «أخي جاوز الظالمون المدى» عام 1948 والتي أسهمت كلمات قصائده المموسقة مع ألحان الموسيقار الخالد لتصبح أحلى روائع القصائد الغنائية في النصف الأول من القرن العشرين .

وفي ديوان شاعرنا عبد العزيز سعود البابطين «بوح البوادي» و «مسافر في القفار» و«أغنيات الفيافي» العديد من القصائد الغنائية المموسقة التي لو قيض لها موسيقار قدير لخرجت لنا روائع من القصائد الغنائية في هذا الزمان الذي ندرت فيه غناء القصائد وسارت فيها الأغنيات باللهجات الدارجة بل والأغنيات الخفيفة التي تفتقر إلى روعة الكلمات وعذوبة الموسيقى التي سادت قبل ذلك ، ولعل قصائد شاعرنا الغنائية تؤكد أن شاعرنا كالماسك على الجمر في هذا الزمن وإصراره على أن يواصل إبداع قصائده بالكلمة الرفيعة ، بما تحمله من قسط وافر من الموسيقى يعد أحد أبرز فرسان القصيدة الغنائية العربية المعاصرة .

ليت أهل الموسيقى والطرب يلتفتون إلى ما في دواوين عبد العزيز سعود البابطين من قصائد غنائية لا تحتاج جهدًا كبيرًا لتلحينها لأنها تحتوي على قسط وافر من الجرس المموسق وسيؤدي ذلك إلى رفع مستوى الغناء في الساحة الغنائية العربية التي تحتاج بالفعل إلى مثل هذه النوعية من الغناء .

وأرشح نموذجا واحدا للتدليل على صلاحيتها للغناء والطرب مثل قصيدة «اذكريني» في ديوان بوح البوادي التي أبدعها عام 1978 تقول كلماتها الشجية المموسقة التي تعبر عن مناجاة عاشق لمحبوبته النائية لتذكر ليالي الحب والوصال والوفاء كلما حن الفؤاد وكلما شدا طير وكلما هبت ريح الصبا وكلما تفتح الزهر اليانع وكلما جاء الربيع البسام بوروده وأزهاره وكلما بزغ الفجر ، وفي كل حين وفي كل همسة يقول الشاعر لملهمته النائية [82]:

اذكريني كلّما حنَّ الفؤاد وَبَدَت بالأفق ذكراي تطُوفْ
وإذا ما أتعَب القلب البِعاد وتوارى قَمَري عندَ الخَسُوف
اذكُريني

اذكُريني عِندما تبدُو الغيُومُ في سمائي وبها الطَّائرُ غَرّدْ
لينُاجي خلهُ فوقَ النّجُوم مَستثارًا هائمًا لِلحُبِّ أنشدْ
اذكُريني

اذكُريني كلَما هبّت صَبًّا وسَرَت في ركبِها رُوحي تَطِيرْ
لمِغانٍ حيثُ حُبّي والصِّبا قد قَضينا وطرًا مِنهُ يَسيرْ
اذكُريني

(82) بوح البوادي / الكويت 1995/ ص11 .

اذكرينـــي كلّمـــا الطيـــرُ شَـــدَا نائِحًـــا يبكـــي حبيبًـــا فَقَـــدَهْ
وإذا مـــا لامَـــسَ الـــوردَ النَّـــدى فجـــر يـــومٍ نـــاعِسٍ يبغـــي غَـــدَهْ
اذكُريني

اذكُرينـــي كلّمـــا الـــوَردُ تَفَـــتَّحْ بِريـــاضٍ كـــل مـــا فيهـــا جميـــل
وإذا مـــا عطـــرُهُ يَســـري ويـــنفَحْ بمكـــانٍ ضـــمَّنا عِنـــد الأصـــيلْ
اذكُريني

اذكُرينـــي كُلَّمـــا جـــاء الربيـــعْ نـــاثرًا عِطـــر زُهـــورٍ بالفَضَـــاءْ
يَجـتلي الـرُّوحَ طَهُـورًا كالرَّضـيعْ يَتَغَنَّـــى بِتـــرانِيم السَّـــماءْ
اذكُريني

اذكرينـــي كُلَّمـــا غنَّـــى طَـــروبْ ينفُـثُ اللوعـةَ في صَـوتٍ حـزينْ
وَرَنـينُ العُـودِ قـد أشـجَى القُلُـوبْ فَغَـدَتْ تبكـي عـلى وَقـع الـرَّنينْ
اذكُريني

ثم تتابع مناجاته الحميمة لملهمته ونداء قلبه الوامق وهمسات روحه العاشـق لتتـذكره دائمـا كلما بزغ فجر أو أطل ربيع وكلما تفتحت زهرة أو أسدل الليل ستوره ؛ ولا تنساه مـدى العمـر ، فإن حبها سيظل خالدا خلود الروح :

اذكريني كُلّما ثارَ القَطَا | يملأُ الأُفقَ صياحًا ونحيبْ
يَذرعُ الكونَ وقد حثَّ الخُطى | تائهًا يبْحثُ عن مغنى الحَبيبْ
اذكُريني

اذكُريني كُلّما الفَجرُ تَنَفَّسْ | ومُحبٌّ لم يَذُقْ طعمَ الرُّقادْ
وإذا ما اللّيلُ أغفى حين عَسْعَسْ | وجَثَتْ رُوحُك تَسقيني الودادْ
فاذكُريني

اذكريني كُلّمَا العُمرُ تَصَرَّمْ | وسنُوني رحلتْ خلفَ السِّنينْ
وشبابي بعد عزٍّ قد تَهَدَّمْ | وضاع بين شَوق وحَنينْ
اذكُريني

اذكُريني كُلَّما صِرتِ وحيده | يعصُرُ البُعدُ فُؤاداً مُستهامْ
وإذا ما شَفَّكِ الوجدُ فَريدَه | فتعالى نَشرَبُ الدَّمعَ مُدامْ
واذكُريني

اذكُريني يا حيَاتى مُدنفا | فى هواكِ فى صَباح ومسَاءْ
كلما أشرقَ صُبحٌ أو غَفَا | فى لَيالى السُّهدِ مِصباحُ السَّماءْ
اذكُريني

اذكُريني كُلَّما نجواى شابتْ | وقضى القَلْبُ عليلاً يرتجيكْ
وغِنائِى نغمةٌ فى الكون ذابَتْ | وفؤادى يا حَياتى يَفتَديكْ
اذكريني

اذكريني إذْ مَدَى العُمرُ انقَضَى | وثوينا بَينَ أسداف اللُّحودْ
اذكُرى أنَّ زمانًا قد مضَى | فيهِ رُوحانا إلى الحبِّ تَعُودْ
واذكُريني

***

شاعرنا الوجداني العاطفي عبد العزيز سعود البابطين يملك رصيدًا كبيرًا من القصائد الغنائية التي لو لحنت وغنيت من ملحن قدير ومطرب جيد لأثرت هذه الغنائيات مكتبة الغناء العربي المعاصر لتنضم إلى بقية الروائع الغنائية في التراث الغنائي الموسيقي الخالد .



الفصل السادس

شاعر البوادي الخضر

في مرآة النقد

يقولـــون عمـــن أخـــذت القـــريض

وممـــــن تعلمـــــت نظـــم الـــــدرر

فقلـــت أخـــذت القـــريض صـــبيا

مـــن الطيـــر وهـــي تغنـــي الســـحر

وعـــن خطـــرات عليـــل النســـيم

يمـــــر فيشـــــفى عليــــل البشـــــر

عبد العزيز سعود البابطين

أصدر عبد العزيز سعود البابطين عبر مسيرته الشعرية ثلاثة دواوين هي :

1ـ بوح البوادي (عام 1995) .

2ـ مسافر في القفار (عام 2004) .

3ـ أغنيات الفيافي (عام 2017) .

والملاحظة الجديدة بالذكر هي حرص الشاعر أن تحمل عناوين دواوينه كل ما يتصل بمعنى البوادي والصحاري والقفار لارتباطه الوثيق بتلك الأجواء التي نشأ في ظلالها وتشرب من سماتها ، وعبر عن روح الصحارى والبوادي من معاني العزة والشرف والإباء والشمم فضلا عن اتجاهه للشعر العذري الذي يحمل روح الصحراء العربية عبر تاريخ الشعر العربي .

وقد تناول النقاد والباحثون شعر عبد العزيز سعود البابطين بالنقد والتحليل سواء في كتب أو ودراسات نقدية أو رسائل جامعية أو مؤلفات وكلها تتناول ملامح شعره وسماته وخصائصه لكن حظي ديوانه الأول «بوح البوادي» بنسبة كبيرة من التناول البحثي والنقدي لأنه الدفقة الأولى للشاعر بعد طول غياب والذي نشر فيه حصاد رحلته من الشعر منذ بدأ يكتب حتى صدور هذا الديوان عام 1995 ، بعد إلحاح محبيه عليه ليظهر للقراء ما عبر عنه في شعره من مشاعر وأحاسيس وعواطف مختلفة ، كما عبرت قصائد الديوان عن أعماق الشاعر الوجدانية ، وأظهرت ملامحه العاطفية والوطنية والإنسانية، كما اشتمل على قصائده التي أنشدها في رحلات الصيد في الصحاري والبوادي العربية والأجنبية .

أنماط الصور الشعرية عند البابطين

تنــاول الباحــث غســان بــن عبــاس الســعودي[83] في دراســته المتخصصــة «شــعر عبد العزيز سعود البابطين : دراسة أسلوبية »، ونـال عنهـا درجـة الماجسـتير مـن كليـة الآداب جامعة الإسكندرية لقسم اللغة العربية عام 2016 تحـت إشـراف د. فـوزي عيسـى ود. محمـد مصطفى أبو شوارب عضوا ود. أسماء شمس الدين عضوا ، حيث كون الثلاثـة لجنـة المناقشـة للباحث .

وتقع الرسالة في ثلاثة فصول تناول فيها الباحث بالدرس والتحليل :

1ـ الأساليب الخبرية .

2ـ مفهوم الصورة الشعرية .

3ـ أسلوبية الإيقاع .

حيث قدم الباحث في بحثه السمات الأسلوبية واللغوية لخطابه الشعري حيث توصل إلى مـا يلي :

1ـ يعد الشاعر امتدادًا لشعراء الهوى العذري في بادية نجد ، كجميل بثينة وكثيـر عـزة ومثـل بنتاجه علاقة حب عذري ، رسم جداوله منذ صباه ، مترجما ذلك بأساليب بلاغية ساحرة مصـيرا معظمها لخدمة حبه المفقود .

2ـ تناول الباحث الأساليب الخبرية في شعره .

3ـ تمثل المرأة جوهر قصائده ومحوره الأساس ، فلها ومنها تنبثق قصائده ، ليعبر عمـا يمـر به من غرام الوجد .

(83) غسان عباس السعدي : شعر عبد العزيز سعود البابطين: دراسة أسلوبية/ الكويت 2017 / ص156 .

ـ تطرق الشاعر إلى الأساليب الإنشائية البارزة في شعره .

ـ امتازت صورته الشعرية بالحداثوية والتجديد .

ـ تألق الشاعر في مجال الموسيقى وتوظيف الأوزان بطريقة حداثوية .

ـ اتكأ الشاعر على الموسيقى الداخلية كثيرا .

إلى غير ذلك من النقاط الأسلوبية المتخصصة ، وسنلتقي هنا بإيراد حديثه عن الصورة الكلية ضمن تناوله لأنماط الصور الشعرية بما تحويه من صورة واسعة تضم جزئيات كبيرة .

ويهدف البحث إلى دراسة أسلوبية في شعر البابطين قائمة على الأسلوبيتين (التحليلية والإحصائية) لتبيان معجمه الشعري ، الذي امتاز بحيوية أسلوبه الواقعي المتدفق ، وأنساقه الحداثوية ، وإيقاعه الشعري ، الذي يعتمد على تشكيل اللقطة الشعرية في جسد القصيدة وفضائها التكويني الخاص ، للوقوف في نهاية الأمر عند بعض الملامح الأسلوبية لبناء القصيدة لديه.

الصورة الكلية

في شعر البابطين[84]

هي الصورة التي تمثل لوحة كبيرة تضم داخلها صورًا صغيرة لا تستقل بنفسها ، ولكنها تكون جزيئات هذه اللوحة الكبرى وتتحد داخلها اتحادًا عضويًا ، ومن هذه الصورة المتشابكة والمتلاحقة تنتج الصورة الكلية التي هي في أيسر تعاريفها «مجموعة من الصور الجزئية المترابطة من حيث الرؤى والأفكار» ، فالصورة بذلك هي «وحدة عضوية تعبر عن تجربة الأديب في نقل أفكاره ومشاعره ورؤاه في كل متكامل من مجموع صور جزئية تنمو وتتكامل حتى تبلغ الذروة في إيصال فكرة معينة إلى المتلقى والتأثير فيه ، بمعنى أن تتحول الصورة الجزئية إلى جزء من صورة كلية تعبر عن معنى ومضمون مشترك أسهمت كل صورة من الصور في تكوين الصورة الكلية ورسم ملامح هذا المعنى الذي لم تستطع اللغة المباشرة أن تعبر عنه ليكون بذلك التصوير صنو اللغة» ، وعليه تكون الصورة الكلية «هي التجربة الشعرية التي يجسد من خلالها فكرة القصيدة العامة بما تحمل في داخلها من أفكار وعواطف» ، فيجب أن تؤدي «كل صورة وظيفتها في داخل التجربة الشعرية التي تكون هي الصورة الكلية ، وذلك لن تكون الصورة الجزئية مسايرة للفكرة العامة أو الشعور العام» . وتتشكل الصورة الكلية بمجموعها من صور جزئية متناسقة متماسكة لترسم لنا صورة تدل عل معنى كلي قصده الأديب وسعى إليه حتى لا يمكن الاستغناء عن إحداها فيه فتتضافر بعضها مع بعض من أجل رسم اللوحة الفنية ، لذا تُعدّ من التقنيات الأسلوبية المهمة لأنَّها المهمة لأنَّها تعتمد الإجراء الكلي بدلاً من الجزئية .

ونستطيع القول بأن الصورة الكلية في شعر عبد العزيز سعود البابطين كانت تمثل صورة مرتبطة مع سواها ارتباطًا تسلسليًا ، أو تتابعيًا ، أثناء تصويره الصحراء أو البادية أو الليل أو الهضاب أو الطير أو القنص .... ،

(84) شعر عبد العزيز سعود البابطين ، دراسة أسلوبية : د. غسان عباس السعدي / ص156 .

لأنها مجموعة من الصور الجزئية جاءت متوافقة ومنسجمة فيما بينها مكونة باتحادها الصورة الكلية ؛ أي إنَّ تلك الجزيئات المكونة للصورة الكلية يربطها ، إمّا تغلل الشخصية الفكرية والنظرة الفلسفية للشاعر ، وإما حالة نفسية معينة في القصيدة ، أو في تلك الصورة الكلية ، وإما سيطرة عاطفة على نحو ما سنرى ....؛ إذ أسهب الشاعر بشكل واضح في هذه الموضوعات فصوَّر مشاهدها المختلفة معبرًا عنها بطرائق كثيرة كان أبرزها الطبيعة ، لذا تحظى البيئة الطبيعية بمجالٍ واسع في شعره ، فهي تلهمه العديد من الصور التي تمثلت في سمائها وما تحويه من شمس وقمر ونجوم ومطر على أرضها وما يحيط بها من عناصر متحركة وساكنة ، ومن تلك الصور ما كان يستلهم في رسمه لصفات محبوبته .

كقوله :

وزَهرُ الرَّوض كفَّ عن التَّناجي	بفوحِ العطرِ يسكبُه بدنِّي
وموجُ البحرِ ألجَمَهُ سكونٌ	فَغَابَ بموجِهِ فِكري وظنِّي
وهذا البَدرُ أنكرَ أن رآنا	وقد شهدَ الهوى عينًا بعينِ
وذاكَ الليلُ أنكرني جراحًا	يُداويها وقد قاربتُ حيني
كأنَّ الْليلَ لم يشهد عهُودًا	تُوثِّقُها تباريحي وحُزني
وهذا الفجرُ لم يسمَعْ شكاةً	يضجُّ أنينُها في كلِّ أذنِ

فيتضح في هذه الأبيات ثراء المعطيات التي يؤسسها الشاعر عبد العزيز البابطين ؛ إذ يعطي لمحبوبته صورة من صور الطبيعة بآفاقها المختلفة ، ولعل ما تصوره الأبيات في هذه اللوحة من (الروض ، والبحر ، والبدر ، والليل ، والفجر) يدور في معنى الامتداد لمعاناة المحبوب التي لا تنتهي ، لذلك كانت الفكرة التي تجمع الأبيات تمثل علاقة ذلك بالوصف للشوق والذي يقتضي امتداد الشوق الذي لا ينقضي أبدًا ، فاللوحة كونت الصورة الكلية باتحاد تلك الأجزاء ، فيمثل هذا التشبيه الانعكاس النفسي لإحساس الشاعر وما عاناه من ألم الفراق وهجير البُعد .

ويجسد الشاعر في موضع آخر ، صورة الطبيعة فيقول :

يــا بــدر الليــل متــى يُــوفي	مَحْبــوبُ القلــبِ وأُســعدُهُ
ومتــى يــا بــدرُ تُدَغْدِغُــهُ	ذِكَــرُ الأَيَّــامِ وتُرشــدُهُ

لقد ارتسمت صورة القمر في معرض مقام المحبوب والشوق إليه ، ليقرن ذلك بصفة الإشراق والحضور التي يتمتع بها محبوب القلب فهو كالبدر الذي يطل ، وهذا الإطلال يكون مرغوبًا فيه ومطلوبًا حتى إنَّ العيونَ لا تحيد عنه ولا تمل النظر فيه لشدة أخذها به وتوقها إليه . وقد حظيت محبوبة الشاعر بصور رائعة وجميلة استلهم فيها ما يحيط به من صور الطبيعة ، الجامدة والمتحركة ، الصورة التي تغزل فيها بمشيتها وخطاها وجسدها وبياضها ، فهو يرسم في الجانب الآخر صورًا تقترن بها محبوبته بطبيعته .

ويقول :

يمــرُّ الليــلُ يتبعــه نهــارُ	وتتبــعُ يــومي الــذَّاوي فصــولُ
وتمضــي خلفهـا الأعـوامُ حسـرَى	ويمضــي العمــرُ يَعقبُــهُ الرَّحيــلُ
وينطفــيءُ التَّــوهجُ حــين تُمســي	حيــاةُ النّــاسِ يأســرها الأفــولُ
ويبقَــى المــرءُ للــذِّكَرى قُرونًــا	إذا مــا زانَــهُ العمــلُ الجَميــلُ

ونرى الشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن مشهد الليل بعد ذكر محبوبته وحزنه على فراقها ورغبته في عودة الوصال ، ويقول إنه قد هام بها وهامت به ، ولكن بلا جدوى ، فالليل والنهار يمران ، ولكن يتركان بدل التداني الهجر والفراق.

يظهر البابطين في هذه اللوحة شدة تحمله ابتداءً من احتمال الشوق للمحبوبة ، إلى احتمال طول الليل ؛ إذ أنَّ الأعوام تحولت من زمن لآخر ، ويظهر أن هذا التحول كان سلبيًا (من الحسن إلى السيء) لكن التحول على هذه الطريقة يخدم الشاعر الذي يرغب في بيان معاناته وألمه من خلال تلك الصورة ، من هنا نلحظ الاتساع في هذه اللوحة كان مصدره الأكبر امتدادَ التصوير للوحتي (الليل والنهار) المتعاقبتين ، واللتين تنذران بمضي الأعوام حسرى ونفاد العمر الذي يأذن بالرحيل ، والجامع في كل ذلك في سياق الوصف هو إظهار معاناة الشاعر ليصل بعد أن يختم بأبيات اللوحة الكلية في صورة الذكرى للفكرة نفسها التي حملت معنى عذابات الشاعر .

وتحتل «صورة الطير والقنص مكانًا أثيرًا في مخيلة الشاعر ؛ إذ تمثل امتداداً نفسيًا وشعوريًا لتجربته ، فغناء الطيور تعبير عن الحب في حالاته المختلفة ، وشدوها مرادف لشدوه ، وكثيرًا ما يدعوها إلى مشاركته همومه ، وتتردد صورة الطير المهيض الجناح أو المشرَّد كدوال للهجر والانكسار» .

يقول :

مُغـرَّدتي بالغُصـنِ هـيضَ جَناحها ... يمينًـا سـأبقى راعيًـا ثـمَّ حانيَـا
فـإن عقَّنـي حبِّـي وشُـرِّد طـائري ... فلَسـتُ إلى طيـفٍ سـواها مُواتيـا
سأبقى ويبقى الحـبُّ بَعـديَ خالـدًا ... بشَدْوِ طُيورِ الكَوْنِ تَحْكِـي وفائِيـا

نلاحظ أن الشاعر قد يستدعي صورة الطير في إطار دلالي عام ، ولا يعمد إلى التخصيص إلا في مواضع قليلة تتردد فيها ثلاث صور ، هي : (صورة القطا ، وصورة الحمامة أو الورقاء ، وصورة الصقر) وتنفصل صورة القطا عن التجربة الوجدانية ، كقوله :

وكلَّما هَتَفَتْ في الَّليلِ ساجعةٌ   يحثُّ شوقي خطاهُ حيثُ ألقاكِ
أطرتِ فكري شعاعًا والنُّهَى شَرَدَتْ   فهلْ تُعيدُ الحِجا أحْلامُ نجواكِ

ويتقدم البابطين هنا بصورة بالغة الروعة حيث يقول :

يُمطرُ الغيثُ من سماها مدادًا   فتضوعُ الأزهارُ في كلِّ سهلِ
قد منحتُ الحياةَ دفقةَ عطْرٍ   ضمَّختْ بالأريجِ مَنْ كانَ حَوْلي

استقى الشاعر أجمل صور الطبيعة في أروع ساعاتها ليوسم بها الحبيبة ، فقد برع في رسم هذه الصورة التي تدل على تمكن الشاعر وإبداعه في فنه ، فيلتقط صورةً المطر الذي يأتي بعد جدب وانتظار ، ليقارنها بعلاقته مع محبوبته التي تأتي بعد جفاء ، فكلاهما يأتي بعد جهد وعناء وطول انتظار ، وهو لا يروي الظمأ الشديد .

ولم تخل الصحراء بمختلف صورها الثابتة والمتحركة والتي لا يمكن حصرها في هذا المجال الضيق من وقفة للبابطين على رمضائها ؛ إذ مزج فيها الحالة النفسية بحركة الطبيعة وتقلبها ، والذي يعكس الحزن الذي يكابده تجاه رحيل المحبوبة ، فلا يجد ما يعبر به عنه إلا أن يراقب حركة النجوم في السماء حتى تصل إلى نهاية مسارها ، مازجًا معاناته بليل الصحراء البهيم ، وهذا لا يصفه إلاّ من جفاه النوم ، يقول :

لم يبقَ بالدَّرب إلانا نهيم بها صحراءُ لَيْلٍ بهيمٍ في ثنايانا

فمزِّقي كلَّ أستارٍ محجَّبةٍ ولترتشفْ روحُ روحينَا حُميَّانا

يصل بعد ذلك إلى الدلالة التي انبثقت منها الصورة الكلية لليل الصحراء وجامع أطراف الفكرة كان المعنى المتمثل في شدة الهيام ، ونوع دلائل الفراق ليجعلها طريقًا لا يخشاه ، فيما إذا كانت نهايته اللقاء بمن يحب أو حتى القرب منه ، ليمتد مكان الصورة داخل السياق العام للقصيدة كلها لبيان ما يتّبعه من وصف الشوق ، وهو الذي يمثل خطًّا عريضًا لمعاناته ، فقد جاءت لوحة ليل الصحراء في النص ممثلة لها وجامعةً لأطرافه على مستوى السياق كله .

وكثيرا ما تمتزج الطبيعة في شعر البابطين بموضوعات الشعر الأخرى ولا سيما المديح ، إذ يتحقق الانصهار بين الطبيعة والممدوح فينقل أوصافها إليه فيقول في قصيدته (عباءة النّور) :

قد شعَّ نورك في أرضِ (الكويتِ) كما تشعُّ شمسُ الضُحى أو زهرةُ الشُّهبِ

دَعَوْتِ للعلمِ - نور العَصرِ - فِتْيَتَنَا فعبُّ فِتْيَتُنَا من نَبْعِهِ العذِبِ

كشفت للمجدِ أسبابًا معمَّقةً وما هنالكَ أمجادٌ بلا سببِ

إذ شِدْتِ دارًا بشمسِ العلمِ مُشرقةً إن غابتِ الشَّمسُ عنها فهيَ لم تغِبِ

تميز الشاعر بنظرته الجديدة للطبيعة ، فهو لم يقف عند حد الشغف بها والهيام بجمالها بل تجاوز ذلك ؛ إذ انطلق في تجربته من تشبيهات بالغة الروعة ؛ إذ تنشطر الذات بين السرور والارتياح ، مشبهًا نور ممدوحته بنور الشمس والشهب ، وكذلك نور العلم ونور العصر ، مشيدةً بالوقت نفسه دارًا مشرقة بنور العلم والمعرفة لا تأفل أبدًا وإن غابت الشمس . يجعلُ الشاعرُ الطبيعة في هذه الأبيات ممثلاً لدائرة واسعة تجمع داخلها أمورًا مختلفة ابتداءً من تحقيق التذكّر والاشتياق والتبجيل لمن يمدح ، وصولاً للبوح بثمار العلم والمعرفة التي حان قطافها على يد ممدوحته (د.فايزة) ، ساعيا لرسم ما جادت به يراعها من خلال صور الطبيعة ، فتأتي الصورة الكلية داخلها حين أعاد الحديث عنها ممثلة بتكرار مفردة الشمس ، تعدُّ بذلك المحور الذي تدور فيه أبيات هذه الصورة .

يقول الشاعر في قصيدته : «مناجاة» :

كيـــف أمسَـــيتِ وقـــد طـــال الأَسَـــى	وسَـــهِرْتِ اللَّيـــلَ ليـــلَ العاشَـــقين
وصُـــروفُ الـــدَّهرِ عاثَـــتْ بـــالمنى	عرْبَـــدَتْ عَرْبَـــدَةَ المســـتكبرينْ
غيَّـــرت فيـــك تصـــاريفُ الهـــوى	بهجـــةً كانـــت تســـرُّ النّـــاظرين
فغـــدت بسْـــمَتُكِ الـــوَلْهَى شـــجًا	وغـــدا لَحْنِـــيَ كالنَّـــاي الحـــزينْ

يغرق الشاعر في هذه الأبيات في ذكر حبيبته والشوق إليها ، ويسأل : كيف أمسيت ؟ لا سيما قد طال الأسى وبلغ السيل الزبى ، وصروف الدهر عاثت بالأماني وما رسمته خارطة العاشقين ، ويسأل أغيَّرت فيكِ تصاريف الهوى ؟ أكانت تكتوي المحبوبة كما يكتـوي بنـار فراقهـا أو لا ؟ وتراه يصوِّر كيف ينظر إلى لقياها متشوقًا ، وكيف إنه طالما يتذكرها فهي أحدوثة النفس ؟ حتـى إن بسمتها البارقة أصبحت شجنًا ، وأصبح لحن الحبيب كالنّاي الحـزين بعـد أن شـغله حبهـا ، وإن الموانع هي التي منعته منها وكتبت الفراق له .

صدى البوح

في الخطاب النقدي

يرى الباحث أن الشاعر عبد العزيز سعود «البابطين» واحد من الشعراء المحلقين في ميدان التشكيل اللغوي ، إذ جاءت لغة شعره في (البوح) ذات ملامح فنية متنوعة ، منها :

الصحة الصياغية :

بنى البابطين شعره بناء لغويا سليما في هندسته ، إذ جاءت لبناته المكونة له صحيحة في مادتها الصوتية والمعجمية ، وفي هيئتها الصرفية والنحوية والبلاغية ، فخلا شعره مما ينفر أو يقلق ، من تنافر في الحروف ، أو الكلمات ومن ضعف في التأليف ، ومن خروج على ثوابت النحاة ، فجاء فصيحا صحيحا .

وكل ما في هذا الشعر من خروج أبيات معدودة لا تمثل تمردا على ثوابت اللغة، بل بعضها مقبول كإدخال البابطين «أل» على لفظ «كل» في قوله :

هجع الكل ونام النوم   وصحا القلب وغابت أنجم(*)

ومثل هذه المظاهر اللغوية الخارجة تعود إلى ضرائر شعرية مقبولة وردت في الشعر العربي منذ جاهليته الماضية حتى حداثته الحالية ، ولا تنال من شاعرية البابطين ، بل هي دالة على شجاعته وطبعه ، فهو ليس من هؤلاء الشعراء الذين ينقحون ويحكون أشعارهم بحثا عن السلامة اللغوية على حساب السلامة النفسية والإبداعية .

(*) د. صبري فوزي عبد الله أبو حسين /العذرية في بوح عبد العزيز سعود البابطين .

وثم يتناول الباحث في دراسته دور التجربة الشعرية في لغة الشاعر لفظا وتركيبا فيرى أن قوة التجربة: قد تدفع بالشاعر إلى استخدام بعض الألفاظ والتراكيب دون وعي كامل منه بموافقتها للقواعد أو عدم موافقتها لذلك ، لأنه يرى في هذه الألفاظ أو التراكيب بريقا خاصا يعتقد أنه يضيء الطريق أمام ما يريغ إليه ووضوح المعني في رؤية الشاعر الخاصة لا يجعله مع انفعاله بمعناه يحفل بوضع الكلمات ولا الروابط المنطقية المنظمة . وهذا ما جعل الدكتور إبراهيم أنيس يقرر أن الشاعر يفر من كل ما هو مألوف معهود محلقا في سماء الخيال ، لا يكاد يشعر بالألفاظ كما يشعر بالمعاني وهذا هو ما يسمى بانفعالية لغة الشعر أو تلقائيتها .

و«البابطين» شاعر موهوب حساس مفرط الحساسية ، منفعل كل الانفعال في شعره ، ومن ثم ظهر ذلك جليا في مفرداته وتراكيبه التي جاءت صادمة لكل ما هو ثابت متوقع كما في قوله :

بوح البوادي أهديه لمن عشقت صباكواه النوى في أمسنا وغد

فالانفعال ذو أثر واضح في شعر البوح ، كما دلت على ذلك الأشعار المحللة ، وغيرها من أشعار البابطين في هذا الديوان ، تلك التي لا يمكن وضعها في ميزان اللغة الصارم ، ولا أمام معايير النحو الجافة ، بل يجب النظر إلى هذه الأشعار على أنها ذات لغة حية حياتية ، عاطفية ، مرنة متطورة ، لا تستقر ، ولا ينبغي لها أن تستقر ، لارتباطها بعاطفة الشاعر الحارة القلقة الجياشة في صدق وقوة واستمرارية ، وتنوع غالبًا .

النفسية الإيقاعية

في بحث مستفيض متخصص يتناول د. محمد مصطفى أبو شوارب[85] «البنيـة الإيقاعيـة في شعر عبد العزيز سعود البابطين : قراءة في موسيقى الإطار» يرى الباحث في البداية أننـا إذا نظرنـا إلى موقف البابطين من البقاء الزمني في مجـال البحـور التـي يختارهـا إطـارا صـوتيا لقصـائده ، اعتمادا على عدد الأبيات (نسبة النفس) ـ فإننا لن نجد اختلافا بين نسب اتجاه الشاعر إلى البحور ونسب بقائه فيها سوى في تقدم الرمل على الوافر داخل المرتبة الأولى ، وإن ظل كليهمـا في هـذه المرتبة دون غيرهما من البحور الأخرى التي ظلت محافظة على ترتيبها داخـل المراتـب الـثلاث التالية وإن طرأ عليها تغير طفيف لا يذكر .

ولقد كشفت لنا مقارنة نسب البحور السابقة لمثيلاتها في الشعر العربي عن مكان عبد العزيـز سعود البابطين بين أضرابه من شعراء العربية ، فهو شاعر يدور في فلك الإطار التقليـدي للشـعر العربي بمحافظته على النسب القديمة إلى حد ما في اسـتخدام : البسـيط والخفيـف والمتـدارك ، وإن كانت النزعة إلى كسر جمود هذه النسب والانفلات من ربقتهـا قـد غلبـت في صـعوده بنسـبة الوافر والرمل ونزوله بنسبة الطويل والكامل .

ـ ولعبد العزيز سعود البابطين أسلوبه الخاص في انتقاء بحوره الشعرية الذي يميزه عن غيـره من سائر الشعراء العرب ، فهو وإن ربطته بالشعراء العذريين وشائج العاطفة وجمعت بينه وبينهم مواجد التجربة ومعجم التعبير عنها على مستوى اللفظ والصورة معـا ، إلا انـه اسـتطاع أن يميـز البنية الإيقاعية في قصائده عن مقابلها في شعر العذريين ، فاستخدم بحرين لم تظهـر لأيهمـا نسـبة عند شعراء الغزل العاطفي وهما الرمل والمتدارك ، وارتفعت نسبة الوافر والبسيط عنده ارتفاعـا كبيرا، بينما ارتفعت نسبة الخفيف ارتفاعا طفيفا ، وكان انخفاض نسبة الطويل انخفاضا لا مثيـل له ، وانخفضت نسبة الكامل انخفاضا لا يذكر .

---

(85) د. مصطفى أبو شوارب / البنية الإيقاعية في شعر عبد العزيز سعود البابطين / دار المعرفـة الجامعيـة الإسـكندرية 1997/ ص56 .

ـ وكما تميز البابطين في انتقاء بحوره الشعرية عن رفاق التجربة المشتركة من العذريين ، تميز أيضا عن رفاق الهم المشترك من الشعراء المعاصرين ، إذا ارتفعت نسبة الوافر والرمل والبسيط في شعره ارتفاعا كبيرا ، وانخفضت نسبة الطويل والخفيف والكامل عنده انخفاضا كبيرا كذلك ، وكانت نسبة المتدارك في «بوح البوادي»مساوية لنسبته في الشعر الحديث .

والقصيدة في «بوح البوادي»متوسطة الطول (معدل أبيات القصيدة الواحدة خمسة عشر بيتا) وقد ربط أيمن ميدان توسط طول القصيدة بتوافر عنصر الصدق واقعيا وفنيا في قصائد الديوان ، ولقد كان ميدان مصيبا حينما ألمح إلى هذه العلاقة الحميمية بين توسط طول القصيدة الذي يدل على ميلها إلى التركيز ـ وبين عنصر الصدق الذي اعتبره الناقد أهم ملامح تجربة البابطين الشعرية .

ولم يحاول البابطين أن يعزف كثيرا على الإيقاعات المجزوءة على الرغم من انسيابية البنية الشعرية في قصائده مما يدل دلالة واضحة على قدرة الشاعر على تطويع النموذج التام وإعادة صياغة عناصره الإيقاعية .

ولا شك في أن العلاقة بين الوزن والمعنى ، أو بين اختيار الشاعر للشكل الموسيقي ، واختياره للغرض المضموني ـ لا شك في أن هذه العلاقة قد لفتت كثيرا من النقاد والباحثين في القديم والحديث ؛ وحاول كثير منهم أن ينظر لتلاؤم أغراض معينة مع بحور بعينها ، ولتساوق مضامين محددة مع أشكال ذات طابع معين ؛ وكأن اختيار الشاعر لوزن قصيدة ما يتم بشكل إرادي وبطريقة واعية في مرحلة سابقة على كتابة القصيدة .

ولا شك أيضا في أن استقراء النماذج الشعرية قديما وحديثا يؤدي بنا إلى رفض هذا المبدأ ، ونهج القصيدة العربية بما فيه من تعددٍ للأغراض والموضوعات الشعرية داخل البحر الواحد شاهد على ذلك ، ولقد دعم عز الدين إسماعيل هذه الفكرة بغير واحد من النماذج والأمثلة حين دلل على صحتها بقول الفند الزماني في إحدى قصائده :

مَشـــــينَا مشْـــــيَةَ الليــــــثِ ... غَـــــدَا والليـــــثُ غَضْــــبَانُ

بِضْـــــرْبٍ فِيـــــهِ تـــــوهينٌ ... وتَخضِــــــــيعٌ وإِرنــــــانُ

وَطَعْــــــنٍ كَفَـــــمِ الـــــزِّقِّ ... غــــــدا والــــزِّقُّ مــــلآنُ

وبعـــــضُ الحِلْـــمِ عنـــد الجَهْـــــ ... ـــــلِ للزلَـــــةِ إِذْعَـــــانُ

الاتجاه الوجداني

في شعر عبد العزيز سعود البابطين

حصلت الباحثة إيناس الرفاعي عيد عوض على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام 2014م ، عن رسالتها «الاتجاه الوجداني في شعر عبد العزيز سعود البابطين وكانت لجنة المناقشة مكونة من :

1ـ د.فوزي سعد عيسى رئيسا ومشرفا .

2ـ د.السعيد بيومي الورقي عضوا .

3ـ د.محمد مصطفى أبو شوارب عضوا .

وتحتوي الرسالة على خمسة فصول كل فصول يتضمن عدة بحوث وكانت فصول الرسالة هي :

1ـ عناصر الاتجاه الوجداني

2ـ قضايا الذات

3ـ اللغة والأساليب

4ـ الصورة الفنية

5ـ البنية الإيقاعية

وتوصلت الباحثة في نهاية بحثها إلى نتيجة مفادها أن الاتجاه الوجداني في شعر البابطين قد شغل جانبا كبيرا من شعره ، حيث يمثل هذا الشعر تجربة خاصة في الشعر العربي المعاصر ، لأنه يمثل تجربة حب عذري تحمل معاني الطهر والوفاء والصدق والإخلاص ، فقد مزج الشاعر في ديوانه الأول «بوح البوادي» العشق بحب البادية ، التي ملأت عليه فكره وقلبه ووجدانه ، فقد تلبس بها وتماهى معها وذاب صوته المفرد في صوتها اللانهائي ، فهي التي أرضعته القيم المثالية الطامحة للجمال فجاء التوحد والتراسل بينهما مما انعكس على تجربته التي أكسبها عمقا وثراء وسمات وملامح متفردة .

ترى الباحثة إيناس الرفاعي[86] أن عنوان «بوح البوادي» خبر لمبتدأ محذوف مركب من مضاف ومضاف إليه ، والبوح هو ظهور الشيء أي باح بسره وأشهره ومن العنوان يظهر أن الشاعر كان يمتلك سرًّا ولكن الشوق غلبه فباح به ، وهذا السر يكمن في العلاقة التي بينه وبين البادية ، فمنذ صباه وهو يعايشها ويتأمل جمالها ويتعشقها ، فهو خبير بدروبها ، عالم بمجاهلها حتى أصبحت تعيش في ذاته وأصبحت شيئًا واحدًا ، فهي سره وهو سرها وتعانقا حتى العبادة فكانت الجملة الاسمية التي تفيد الإطلاق والعموم .

فالشاعر متيم بحب البادية ، تلك (التي تسري في عقله ووجدانه ، حياة ماثلة بكل مقوماتها وجودًا متصلاً بوجوده وهو في ديوانه يكشف أدق أسرار النفس من خلال عشقه للبادية فتشاكل العنوان والمضمون) .

البوح : حديث السر وليس إفشاء السر، البوح معاناة التعرف واختيار الصديق، البوح أسلوب لإخراج ما تتمتع به البادية من جهر عظيم معلق بالسر العظيم ، البوح عودة إلى السر وتلقفه ، البوح رغبة في الفهم والتواصل .. غاية البوح إذن تصفية وتنقية وثقة في المخاطب ، البادية لا تبوح إلا لإنسان منصت مغامر يرى العشق شجاعة وكرمًا ، والبوح إنصات للطاقة الكامنة والسخاء والاعتزاز .

(86) الاتجاه الوجداني في شعر البابطين : إيناس الرفاعي / دار الوفاء ـ الإسكندرية 2015 / ص22 .

ومن ثم تقترن البادية بالبطولة والعاطفة الجياشة والمغامرة والساذجة ، والروح الحرة ، هذا الانطلاق في أفق خالٍ لا تحده حدود ، وجفوة الـذوب في المجتمـع ومـا يشـبه الاسـتعلاء عـلى الذات والتحدي والاستبطان العميق ثم التطهر من أدران الحاضرة وصناعتها .. البادية شـباب ، البادية تعين على نشاط الروح الغامضة ومعاناتها) .

ديوان بوح البوادي (ينطق بلسان معاصر وقلب مفعـم بـالإخلاص إلى مـاضٍ يغمـره النقـاء والصفاء يعيشه ويستعيده زمانًا ومكانًا وعبقًا وإلحانًا) .

وترى الباحثة أن البابطين قد عشق البادية وقـد انعكـس هـذا العشـق عـلى قصـائد الـديوان ويتمثل ذلك في سريان التيار البدوي في ثنايا القصائد وغلبة الحس البدوي على أحاسيس الشاعر وعواطفه . ولو تأملنا العنوان «مسافر في القفار» لوجدنا مع السفر حرف الجر «في» ولم يقل «إلى» حيث إن استخدام الحرف «في» يوحي بالشمولية والاحتواء ، وكأن القفار ساكنه في عقلـه وقلبـه ووجدانه ، هي جزء أصيل في نفسه ، تحويه ويحويها ، يحيا بها ولها ومعهـا ومـن أجلهـا ، فهـي تعني له الحياة والروح ، التعانق والبقاء ، الاسـتمرارية والصـفاء ، الـذوب والعطـاء ، فـالبوادي القفر التي لا زرع فيها ولا ماء ، ينبتها بقلبه ويزرعها بوجدانـه ويرويهـا بمشـاعره ، تنمـو وتكبـر بنداءاته وسبحاته ، وتزدهر بآهاته وتنهداته حتى بدت عالمًا رحبًا مليئًا بل عامرًا ومرتبطًـا بـالري من خلال مشاعره ، والنماء من خلال قلبـه والبهجـة مـن خـلال وجدانـه ، والفقـد مـن خـلال أحاسيسه والذكريات من خلال عقله الواعي الثائر في رحبات باديتـه ، فالقفـار عنـده هـي النبـع الثري والوميض الجلي الذي ظهر بها ومن خلالها .

وهذا البوح وذاك السفر انعكـس عـلى قصـائده فنجـد غلبـة الحـس البـدوي عـلى عواطفـه وأحاسيسه ، ذلك الحس الذي استشرى في أعطاف القصائد وثناياها فوجدنا هذا الانصهار وذاك التلاحم الذي أصل بهذا الترابط الأبدي بين الشـاعر والباديـة ، وذلـك الارتبـاط الـذي أحـدث تناغمًا موصولاً .

وعن تجربة الحب العذري عند البابطين تذكر الباحثة أن تجربة الحب العذري في شعر عبد العزيز سعود البابطين[87] ماثلة واضحة حية في كل كلمة وبيت وقصيدة ، ذلك الحب الذي يصدر عن عاطفة صادقة ، وقلب مولع بالصحراء التي تمثل له حياة رحبة مليئة بكل معاني الطهر والصدق والوفاء فالبادية ماثلة بكل ما فيها في قلبه وعقله وروحه وجميع حواسه ، فعشقه للبادية وتتيمه بها جعل الحب العذري منسابًا مسترسلاً متدفقًا في جنبات قصائده .

وإذا نظرنا إلى تجربته نجدها (تحمل كل معاني الطهر والوفاء والصدق والإخلاص وهي القيم التي ترضعها البادية أبناءها فيتوارثونها جيلاً بعد جيل) .

ومن ثم فإن تجربة البابطين هي (امتداد لتجارب شعراء الهوى العذري في بادية نجد بدءًا من جميل بثينة ، كثير عزة والمجنون وعروة بن حزام ومرورًا بالعباس بن الأحنف وصولاً إلى شعراء منطقة الحريق بنجد كأميرها الغزلي محسن الهزاني والشاعر محمد بن لعبون خال الشاعر وأمير الشعر النبطي ، فالتجربة واحدة بملامحها وقسماتها وأبعادها مهما اختلفت الأزمنة لأنهم ينهلون جميعًا من بئر واحدة) .

(87) الاتجاه الوجداني في شعر البابطين / ص42 .

فقصة الحب العذري بدأت مع الشاعر منذ صباه عندما كان يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا .

يقول :

خمسٌ وعشرون مرَّت عاشها كمَدي   وتحلمين بان نجني لها نِعَما
لا بأسَ أن تذكري أيَّامنا فأنا   لا زلتُ أرقبُ قلبي يجرعُ الألما

وعندما يتحدث عن حبه العذري يرى ضحكاته وبسماته تشفي من السقم والعلة عندما يقول :

وابتسامات الهوى قد أينعت   فَشَفَتْ بالنَّفسِ سقم العِلَلِ

ويتضح سمات الحب العذري في أبيات الشاعر ، فيسأل ثم يطلب ثم ينادي ثم يرضى به حبًّا غير مشوبًا بشيء يعكره :

يقول :

يا مربعَ الحبِّ والإخلاص أين هما ؟   وأين منِّي الأماني إذا تمنِّيني؟
سلي فؤادي فقهرُ البين عذَّبه   وسالَ جرحٌ يبكِّيه فيُشقيني
ملَّ اصطبارٌ وصار العمرُ يهزأُ بي   إذ لاحَ في مفرقي شيبٌ يعزِّيني
يا خافقي أسنين الوصل تطلُبها   أم تلكَ أمنيةٌ عنها تُواسيني
لك الخلودُ يكفينا تألُّمنا   فالنَّارُ قد أحرقت عُمري ويكفيني

وتتناول الباحثة صورة المحبوبة في شعر البابطين الشاعر العذري فترى أن صورة المرأة عند البابطين يجسدها في أبهى صورها ، فهي شقيقة روحه ، ماثلة في كيانه فهواها يحيا فيه عمره وشبابه وأمنياته .

يقول :

يـــا شـــقيقَ الـــرُّوح لا تبـــرح دمــــي فعروقـــــي تشـــتهي فيهـــا تُقـــيمْ

أنـــــتَ تحيـــا في كيـــاني والهـــوى فيـــه أحيـــا كيـــف أســلو أو ألـــوم

فيــــه عمـــري وشـــبابي والمُنــــى ومغـــاني الشِّـــعر في الرُّؤيـــا تهـــيم

وأول ما يلوح لقارئ ديوان بـوح البـوادي هـو الحنـين الصـادق إلى أرض الحـب العـذري ووديانه ومراتعه ، يقول في مطلع قصيدة تعبر عن ذلك :

ســـلْ واديَ الحـــبِّ واســـأل وردةً فيـــهِ عـــن الَّلقـــاء الـــذي لـــو عـــاد يرويـــهِ

تَخضــــرّ أرضٌ ويزهـــــو في جوانبــــه شِـــيخٌ وينمـــو الخُزامـــي في روابيـــه

ويضيف :

ســل واديَ الحـــبِّ يـــا عـــوادُ ينبـــئكُم أنّ الســـرورَ تنـــادى في حواشـــيهَ

فاصـــدحَ بلحنـــكَ يـــا عـــوَّادُ منتشـــيًا ودعْ لُقانـــا عـــلى الـــذِّكرى نناغيـــه

ويتضافر الزمان والمكان باستدعاءات حية لشعراء الحـب العـذري تكسـب التجربـة عمقًـا وثراءً .

يقول :

سـقى اللهُ أيـام الوصـال بمزُنـةٍ   هطـولٍ فتحيـا بعـد جـدبٍ مراتِعُـهْ
فتزهـرُ نـوَّارًا وتنبـتُ بُرعمًـا   وتحيـي لنـا حبًّـا أبيـدت مواضـعِهِ

ومما سبق لاحظنا أن حضور الحبيبة المعنوي أو الروحي أقوى من حضورها الجسدي ، فهي تغيب جسديًا في معظم قصائد الديوانين ولا تحضر بهذا المعنى إلا في موضعين حيث تمثل في أولهمها من خلال التعبير بالإشارة .

يقول :

لا زلـتُ أذكـرُ يومًـا يـا مـودِّعتي   أشـرتِ لي فيـه أن نبقـى يـدًا بيـدِ

ويتجلى الحضور الجسدي في الموضع الثاني بقوة في قصيدة (ربيع الجمال) في ديوان البوادي حيث (يلفتنا هذا التدرج الحسي المفرط في تتبع أوصاف الحبيبة وكأنما استحالت عينا الشاعر إلى كاميرا تسلط عدساتها بقوة وتنتقل بالتصوير البطيء وبشكل متدرج عند كل جزئية أو موطن من مواطن الفتنة ، مكتفية بالمشاكلة دون النفاذ إلى الجوهر أو الماوراء) .

وفي شعره يجسد البابطين الصورة الموروثة لنموذج الجمال الحسي كما صوره الشاعر القديم مكتفيًا بالرصد الخارجي[88] .

وإذا وجدنا في القصيدة ذاتها ملامح حسية تحكي بالتفصيل مواطن الجمال في المحبوبة (أحسسنا لأول وهلة بتناقض الشاعر ثم لا نلبث ـ عند التحقيق ـ أن نتبين انتفاء التناقض لأن الشاعر يرسم صورة متخيلة مثالية للجمال وليست صورة المحبوبة) .

(88) راجع الاتجاه الوجداني / ص74 .

كما أن هذا الوصف الحسي نجده في موضع آخر .

يقول :

فعمـــري منـــكِ التَفاتـــةُ ظَبْـــيٍ　　ورفَّـــةُ ثغـــرٍ وومضـــةُ جِيـــدْ
وطـــرفٌ كحيـــلٌ وصـــدرٌ جميـــلٌ　　وخصـــرٌ نحيـــلٌ وقـــدٌّ يميـــد
ونظـــرةُ شـــوقٍ تلـــفُّ كيـــاني　　وتمـــلأُ نفســـي بأشْـــهى الوعـــود

وهذه الأوصاف لا تجسد حالة خاصة ولا تنسحب على امرأة بعينها وتعاين واقعًا ملموسًا بقدر ما تصور المثل الأعلى للجمال كما يراه الشاعر حيث لا تختلف صورته عن المقاييس الجمالية المأثورة فالقد كالغصن ، والشعر كالليل ، والوجه كالصبح ، والهدب أو الألحاظ والخد كالسهام ، التي تخترق الحصون المنيعة والخد كالورد ، والأسنان كالآلئ ، والجيد كجيد الغزال ، والنهدان كرمحين يتيهآن للنزال ، والخصر اللافت بدقته ونحوله .. إنها الصورة الموروثة لنموذج الجمال الحسي كما صوره .

ولعلنا نلمح من تلك التوصيفات الحسية أن الشاعر يتلمس التعبير عن أحاسيسه الذاتية بصور حية لمحبوبته ، وكأنها احتجاج عاطفي لما يضطرم في نفسه من وهج ما بداخله فعبر عما في مخيلته من وصف لمحبوبة متوهمة أو كائنة ولكن في عقله هو ليس سواه ، وكأن الوصف الذي جاء به وصف مثالي موروث لامرأة واحدة كائنة في خيال الشعراء ، وليست واقعًا ملموسًا حيًّا بين البشر ، إنها صورة موروث لمجهولة متخيلة ، رسمها العذريون لإذكاء نار الحب المتوهجة في قلوبهم حتى تصبح تلك التوصيفة الحسية المثلى للجمال الأنثوي متناغمة مع تلك العاطفة المتأججة بداخلهم ، وكأن هذا أحدث توازنًا بين الحب الخفي الداخلي وبين مثالية الجمال الحسي الخارجي .

قراءة في بوح البوادي

في قراءة لديوان بوح البوادي يرصد الدكتور مصطفى ناصف عدة ملاحظات مهمة في الشكل والمضمون[89].

لكنه في البداية يتحدث عن مزايا البداوة فيذكر إن أجمل ما في نفوسنا موروث من البداوة فالبداوة طهر ونقاء وأمومة عليا . ولكن هذا كله بات مهددا . إن الشعراء ليس من واجبهم أن يفضوا التناقضات . واجبهم أن يدلونا عليها وألا يتنكروا لها ، لقد أصبحت البداوة عزيزة المنال ، تخايلنا ، وتعاتبنا ، وتلفتنا ، وتقاومنا ، ونقاومها . نتقدم نحوها ونتأخر عنها . لا خير في تفكير وحيد الجانب يتجاهل هذا النحو الإشكالي الذي يطل علينا . إن ضغوط الكبت التي تعبر عنها الكلمات : النكد ـ الكمد ـ الرمد نشأت من الولاء للعاطفة الخاصة ، والعاطفة الخاصة العابدة لنفسها مسألة محيرة : إما أن ننحاز إليها وإما أن نجعلها جزءا من الإحساس القديم .

لكن الحقيقة التي نتغاضى عنها أن القصيدة تقول شيئا مزدوجا لا أحب أن أماري فيه كثيرا . لقد أصبحنا على غير ما كنا ، ثم انتبهنا إلى الفقد الذي أصابنا ثم استطاع الشاعر أن يومئ إلى أننا أصبحنا صغارا أمام هذا الإحساس القديم . لقد وجد الإحساس القديم ما يناوئه من بعيد ، ووجد الشاعر نفسه في موقف قديم جديد ، موقف بدوي حضري ، يريد أن يجمع بين الأمس والغد ، كيف يتركب من هذا كله وحدة منسجمة ؟ . الوحدة صعبة ، والوحدة مطلوبة ، أخشى ما يخشاه الشاعر أن تستحيل علاقتنا بالبادية إلى ما يشبه الغربة . فلا نحن أبقينا الولاء الساذج للبادية ، ولا نحن خلصنا لأنفسنا الطارئة وخواصنا الداخلية ، توزعنا الهموم ، والغريب أن يتجاهل الباحثون ما يعترف به الشاعر ، وكأن الشعر رغم كل شيء أكثر نفاذا من كثير من الدعاوي السطحية . من نحن ؟ ماذا أصابنا ؟

(89) دراسات نقدية / ديوان بوح البوادي / مركز الدلتا ـ الإسكندرية 1996 / ص52 .

لماذا لا يولي الباحثون هذا الانحناء القديم ، وهذا الانحناء نحو الطارئ الحديث عنايتهم ؟ هل نحن مقصرون إلى حد ما في استخلاص حقيقة الشعر ؟ هل ينبهنا الشعر إلى أن البادية رغم كل ما يقال ما تزال قابعة في عقولنا لجمالها وجلالها وحريتها وبراءتها من التناقض والتدافع ؟ هل نستوحش من زحام العاطفة الشخصية إلى حد ما لأن البداوة لا تنسى ؟ البداوة ماثلة في عمق شعر كثير حديث ومعاصر ، لكن البداوة وجدت ما يزاحمها أو يخاصمها أو يحاول نسيانها . هذا الخصام كله يجب أن يلفتنا . أن نقف عنده لا ننكر لكنه خصام ليس حادا في القصيدة . أحرى به أن يكون رقيقا لا يخلو من حيلة ومصالحة . أحرى به ألا يكون خصاما مزعجا «مغاضبا أو ثائرا» . خصام تحت السطح يحسن التقاطه والإشارة إليه .

وقد تمنى د. مصطفى ناصف أن يسجل الشاعر أسماء الأماكن المجهولة في الصحاري العربية بجانب حرصه على تأريخ قصائد الديوان : (90)

«وقد حرص الشاعر على تأريخ قصائده وليته حرص على تسجيل المواضع التي شهدت ولادتها ، ليتابع القارئ أسماء أماكن مجهولة في صحاري الكويت والعراق والسعودية ومصر وليبيا ، تشهد بانطلاق الوحي فيها خلال رحلات القنص حين تكون النفس على سجيتها حرةٌ بلا قيود ، يقول :

يا صديقي حين أبغي قَنَصا	أطرد الظبى وصقري والذئابا
فلأنسى جُرحَ قلبي والنوى	وهمومَ العشق تكويني اغترابا
فانا في البرَّ نفسي حرة	أبْعِدُ الغربة عني والعذابا

ويمتزج حب الصحراء بحب رفيقة الصبا امتزاجًا عضويًا كما نرى في هذه الأبيات ، فالصحراء شفاء لجرح القلب والغربة والعذاب . وإن كان الحب نفسه نفحةٌ من البادية تتمثل فيه خصائصها وسماتها . والبادية لا تغيب عن الشاعر في كل أناشيد حبه ، فنرى ونحس ونسمع كل عناصر البادية كالقطا والصبا والشيح والخزَامى ، والمهاة والربع والآتيّ والغيث والجدب ، حتى الأفعال المرتبطة بالبادية يوظفها في أناشيد حبه كالفعل (أناخ) فهو يقول :

(90) دراسات نقدية / ص92 .

وقـــد ظنّـــت ســـنوني أن هجـــري ينـــيخُ بشـــاطئي دون الإيـــاب

وتدخل البادية في نسيج صوره الشعرية يقول :

نَكَـــأت الجـــرح يـــا زمنـــي بوصـــلِ كـــومض البـــرق أســـرع في فـــلاةِ

طواهـــا المحْـــل أعوامـــا عجافـــا فجـــاء الـــومض بشـــرى للحيـــاة

ويقول :

أيـــوم الوصـــل تعـــدل في حيـــاتي ســـنين البـــين تلـــك القـــاتلات

ســـمعت الصـــوت يهتـــف مـــن بعيـــد وســـمعي يشـــتهي صـــوت المهـــاة

ويقول :

امتطـــــــى الآمـــــــالَ حينـــــــا فيجـــــــافيني ركبـــــــي

وحين يتخذ لمحبوبته رمزًا يتمثله في النخلة (هل نلتقي يا نخلتي وأعود) .

إن قصة الحب التي يهمس بها الشاعر في بوحه تبدأ في أيام الصبا حين كان الشاعر في الرابعة عشرة من عمره ، يقول في (وعود) :

هـــل تــــرجعين وقـــد شـــابت ذوائبنـــا وتــركعين لأنســى البــين حــين رمــى

خمــس وعشــرون مــرْت عاشــها كمــدي وتحلمــين بــأن تجنــى بهــا نعمًــا

ونراه يؤكد هذا التاريخ القديم لعشقه في قصيدته (سأسلو) حين يقول :

ثلاثـــون عامـــا مـــذ عشـــقتك والهنـــا يُجـــافي وجـــودي والتباعـــد قـــاهري

وعشق الصبا بكل ما فيه من سذاجة وبراءة لا يُنسى ، إذ تتعلق به النفس في بداية تفتح براعم الإحساس ، ويظل تعليقها مشبوبًا مهما تطاولت السنون فما من حب جديد يمحو الحب الأول ، خاصة حين يفترق العاشقان فيعيشان على الذكرى المتوهجة أبدًا بحرارة الشوق وإمكان اللقاء وتبدو عذرية هذا الحب واضحة في قول الشاعر :

ســـــأقنع بـــــالوداد بـــــلا وصـــــال وقــد يُنْمِــي الــودادَ هــوْى وَصُــولُ

ويحيـــا العاشـــقون عـــلى التلاقـــي ويكفينـــــي التنهـــــدُ والقَبــــول

وهو أشبه بقول جميل :

وإني لأرضـــى مـــن بثينـــة بالـــذي لــو أبصــره الواشــي لقــرت بلابلــه

بـــلا وبـــألا أســـتطيع وبـــالمنى وبالأمــل المرجــوّ قــد خــاب آملــه

وبـــالنظرة العجـــلى وبالعـــام تنقضـــي أواخـــــره لا نلتقـــي وأوائلـــه

وكثيرا ما يستدعي البابطين شعراء الحب العذري ليعبر عن انتمائه إليهم ، يقول :

وحُبّـــــي طهـــــرهُ بـــــاقٍ لنبقـــــى كبُثْنَـــــة أو جميـــــل لا نُـــــلامُ

وهو يسمو إلى مرافئ الحب العذري في آفاق علوية يحدو ركبه فيه الشعراء العذريون ، يقـول :

وطرنـــا ســـويا نعـــتلي الـــنجم والســـها ونُنْشـــدُ في الآفـــاق منـــا التناجيـــا

وســـارت قـــوافي الشـــعر خلـــف ركابنـــا لتحـــدو بنـــا حتـــى عشـــقنا القوافيـــا

وكـــان قـــرينَ الركـــب عمـــروٌ وعـــزةٌ وقـــيسٌ ولـــيلى ينشـــدون الأغانيـــا

وتمضي به السنون وهو على عهده في حبه :

بعفـــــة عـــــذريّ وطهـــــر بثينـــــة وإخـــلاص قـــيس ذائـــع الشـــعر والحـــب

وشـــوقٍ لعشـــاق قَضَـــوْا مُـــذ كثيـــرٌ إلى يومنـــا ذاقـــوا الفـــراق بـــلا ذنـــب

وتحرقه الأشواق ويكويه البعاد والذكريات فيذكر تباريح جميل وقيس ويراها دون مـا يحسـه يقول :

عُـــــذْرَةٌ بـــــالطهر في عشـــــاقها تزدهـــي بـــالفخر في طـــول الـــزمن

بجميـــــل وبثـــــين والهـــــوى وبشـــــعرٍ يتغنّـــــى بـــــالأغن

أيـــــن قـــــيسٌ وجنـــــونٌ مسّـــــه ومحـــــبٌ تبـــعَ المجنـــونُ جُـــنّ

وتبدو محبوبته في عينه صورة سماوية تزخر بألوان النقاء والعفة ، يقول :

رفيقــــة دربـــــي أبـــيض الـــذيل ثوبهــــا　　　وأذكرهـــا حُســـنا يشـــعّ ككوكـــب

فراشـــــة صــــبح يعـــتلي الزهــــرَ عرشُـــها　　　كـذا وصـفتها نَسْـمةُ الحـب عـن قُـرْب

وتعبيره عن محبوبته برفيقة الدرب تأكيد لمعنى بقاء الحب الأول على تطاول السنين مشبوبًا لا تفتر حرارته ولا تسكن لوعته ، بل هو يزيد على الزمن اشتعالا ؛ يقول :

عشـــقتك غـــرا ثـــم شـــابت ذؤابتـــي　　　ولا زلـت أصـبو للمزيـد مـن الحـب

والشاعر في قصائد مختلفة يؤكد استحالة نسيان هواه القديم ، كما نتبين في هذا الحـوار بـين العاشقين :

تقـــول شـــوقًا فهـــل لا زلـــت تـــذكرنا　　　أم هـــل نســـيت تناجينـــا وذكرانـــا

وهـــل أبـــادت ســـنون البعـــد حـــبكم　　　وأطفئـــت شـــمعة في درب مســـرانا

وبـــات قلبـــك مـــن قلبـــي بمظلمـــة　　　أم قـــد تجمـــد إحســـاس لتنســـانا

أجبـــت لا والـــذي يرعـــى محبتنـــا　　　لم أنـــس يومـــا تناجينـــا ولقيانـــا

فمـــرٌ أعـــوام بَـــيْنً عشـــرةٌ ســـلفت　　　لم يمـــح ذكـــراكم رَوْحَـــا وريحانـــا

ويبلغ حبه درجة من السمو تنأي به عن الحسية إذ يقول :

تســـامى الحـــب في نفســـي فأضـــحى　　كنبـــراس عـــلا فـــوقَ العـــوالي

يضـــيء ســـماء دنيـــا كنـــت فيهـــا　　أعـــيش بظلمـــة والقلـــب خـــالي

فإذا وجدنا في القصيدة ذاتها ملامح حسية تحكي بالتفصيل مـواطن الجمـال في المحبوبـة يقول فيها :

جمـــال القـــد أهْيَـــفُ مـــن غصـــون　　إذا ماســـــــت بغـــــــنَج او دلال

لهـــا شـــعر كعمـــق الليـــل داج　　تناوشـــني الســـها فيـــه بـــدال

وصـــبحُ في جبـــين الوجـــه بـــاد　　ربيعـــا مشـــرقا عـــذب الجمـــال

وهُـــدْب واللحـــاظ غـــزت فـــؤادا　　منيـــع الحصـــن في أعتـــى نـــزال

وخـــــدٌ خلتـــــه وردا تُبـــــاهى　　بـــه كـــل الـــورود زهـــا بخـــال

وثغـــر باســـم فيـــه لمـــاه　　تزيّنـــه الشـــفاه مـــع الـــلآلي

وجيـــد أتلـــع يســـمو بهـــاء　　يغـــار لحســـنه جيـــد الغـــزال

وصـــدر نـــافر النهـــدين عـــاتٍ　　برمحيـــه يُهيّـــئ للقتـــال

وخصـــر دق لـــو نالتـــه أيـــدٍ　　تقصَّـــف واهنـــا صـــعب المنـــال

وطـــول يســـتثير وقـــد تعـــالى　　بخطوتـــه جـــديرا بالتعـــالي

أحسسنا لأول وهلة يتناقض الشاعر ، ثم لا نلبث ـ عند التحقيق ـ أن نتبين انتفـاء التنـاقض لأن الشاعر يرسم صورة متخيلة مثالية للجمال ، وليست صورة المحبوبة ، كذلك اسم (سلمى) الذي ردده في هذه القصيدة إنما هو اسم متخيل .

لكن د. مصطفى ناصف يرى أن قصة الحب الأول عند الشاعر من الطبيعي أنها لا تزال تملك على الشاعر وجوده فيفرد لها ديوانًا زاخرًا بالعواطف الذاتية التي تغني بها الرومانسيون وكانت مثار مخاصمة الحركة الواقعية ـ غير مسببة في كل حالاتها ، فكثيرًا ما تهيج الظنون في نفس الشاعر كما في قصيدته (جمر الظنون) على سبيل المثال ويحس لذع الألم والحزن والجراح في عديد من القصائد ويشكو الفراق والنأي والعاذل ، وتنتابه في بعض الأحيان روح تشاؤمية نحسها في قوله :

يمـــــر الليــــــل يتبعـــــــه نهـــــار	وتتبـــع يـــومى الـــذاوي فصـــولٌ
وتمضــــي خلفهـــا الأعـــوام حســـرى	ويمضـــي العمـــر يعقبـــه الرحيـــل
وينطفــــئ التــــوهج حـــين تمســـى	حيـــاة النـــاس بأســـرها الأفـــول

وحين نتأمل معجم الشاعر نجد كل ألفاظ الحب ومرادفاته مرات كثيرة : الهوى ، الحب ، الغرام ، الهيام ، الصبابة ، العشق ، الود ، الوله وغيرها . ونجد في الوقت ذاته مرات كثيرة أيضًا كل ما يدل على الألم والحزن اسمًا أو فعلاً : الجرح ، الشجى ، الشجن ، السقام ، الهم ، الأسى ، المعنّى ، كوى ، التباريح ، الأنين وغيرها . كما نجد في داخل المعجم ما يعبر عن الذكرى والشوق والحنين والوصال والنأي والهجر والسلوّ . وكل ذلك يؤكد لنا أن مضمون بوح البوادي قصة حب متكاملة تتحقق فيها كل حالات الحب المتغيرة وأطواره المتقلبة التي تعني صدق التجربة الشعرية في بوح الشاعر بأسرار نفسه . ويتآلف صدق التجربة مع الإيقاع المتناغم .

ويمزج الشاعر في العناصر الفنية التي يرتكز عليها أسلوبه بين المعاصرة والتأثر بالتراث . وقد سبق أن ألمحت إلى استدعائه للشخصيات التراثية لتأكيد عذرية هواه . بل نراه متواصلاً مع التراث في رمزه للمحبوبة بالنخلة وبالطائر في قوله :

مغــــردتي بالغصــــن هــــيض جناحهــــا يمينــــا ســــأبقى راعيــــا ثــــمّ حانيــــا

فــــإن عقنــــي حبــــيُ وشــــرّد طــــائري فلســــت إلى طيــــف ســــواها مواتيــــا

كذلك يتواصل مع التراث في مخاطبته رفيقين كما في قوله :

قفــــا نــــذكر الأيــــام والوصــــل صــــافيا وودا عفــــاه الــــدهر أبْعَــــدَ نائيــــا

خلــــيليّ رفقــــا فالحيــــاة قصــــيرة ذراني فلــــن أقضــــى حيــــاتيَ باكيــــا

ثم يصل د. مصطفى ناصف إلى نتيجة مفادها أن ديوان «بوح البوادي» يرمز إلى ما ضاع أو ما لا ينبغي أن يضيع يقول [91]:

«الديوان بعبارة مختصرة رمز ما ضاع أو ما لا ينبغي أن يضيع ، رمز التفريق بين القشور واللباب ، بين الصحة والمرض ، بين الأصالة والطلاء ، بين الوجدان الرخيص والفقد العظيم ، الديوان فيما أعتقد توثيق البساطة والشجاعة والغناء . كأنما يبحث الشاعر عن ميلاد كامن في عمق بعض النفوس . يتصور أحيانا بصورة (الطيف) الذي يتردد في القصائد . هذا الطيف ينافس بعض المنافسة صاحبه أو صاحبته ، الطيف الذي استيأس منه الشعر لأنه استيأس من الماضي . لكن الشاعر يبحث عنه مكبرا له إكبارا يتجلى في تقليب الكلمة في اشتقاقاتها المتنوعة ، واستعمال كلمات أخرى بدائل تنوب عنه ، وترميز إليه من مثل كلمة الفجر والهمسات ، هذه الكلمات تتواشج للتعبير عن السر الذي لا يعيش الشاعر دونه . السر الذي يحفظه من التبذل وعدوان الإفصاح والتزيين . الطيف روح الزمان . أو روح العربية . الطيف ليس تابعا من توابع الحب فحسب . الطيف هو الحقيقة التي لم تتكشف بعد ، ومن حقها علينا أن تحتفظ بمكانها من النفوس . الطيف مجمع الماضي والحاضر . الطيف أمام نفوسنا إذا غرقت فيما ترى وما تسمع .

(91) دراسات نقدية / ص76 .

بناء الأسلوب الشعري

ويتناول د. فوزي عيسى بناء الأسلوب الشعري في «بوح البوادي» فيرى أن الشاعر يعتمد في أبنيته على عنصر (التضاد) الذي يؤدي دورًا نشيطًا كمكوّن بديعي في ترسيخ «المفارقة» وتأكيد ثنائية (الحضور ـ الغياب) : [92]

أنــــاجي طيـــف محبـــوبي وحينًـــا	يغيـــب فـــلا أنـــال بـــه المـــرادا
وأركــض خلــف طيــف الطيــف ركضًــا	فــــــأُخفق لا أرى إلا ســــــوادا
فأغُضـــى كالـــذليل وكنـــت حـــرًّا	أبـــيَّ الـــنفس مقـــدامًا جـــوادا
فكيـــف أضـــيع في زمـــنِ بخيـــلٍ	بإســـعاد الأحبّـــة إذ تمـــادى
أحـــاول ســـلوة بعـــد التّنـــائي	وأدعـــو للوصـــال هـــوىً معـــادًا
ولكنّـــي ســـأبقى طـــول عمـــري	أنـــادي للهـــوى مـــن لا يُنـــادى

ومن خلال اتكاء الشاعر على عنصر «التضاد» تتحقق «الثنائية» أو «المفارقة»؛ فالطيف يمثل حينًا لكنه لا يلبث أن يغيب ، والذات تسعى ولكنها تواجه «الإخفاق»والإحباط ، فتخضع للذلّ بعد الحرية ، وبينما يبخل الزمن بإسعاده يتمادى في غيّه ، فيصبح «التنائي» بديلاً عن «الوصال» ، وتبلغ المفارقة مداها حين ينادى الشاعر فلا يستجيب أحد لندائه ليكون «الفراغ» أو «الصدى» هو المشهد الختامي للقصيدة .

(92) دراسات نقدية / ص134 .

وتهيمن البادية أو الصحراء عمومًا بمفرداتها ودوالها على خيال الشاعر لأنها الأم الرءوم التي ولد في أحضانها ورضع قيمها ومثلها ، وترعرع في جنباتها ، فهو يعي كل تفاصيلها ومعالمها مما أتاح له استقصاء صوره ومشاهده ، وتتبع الجزئيات الدقيقة التي لا يلتفت إليها إلا ابن البادية .

فالبادية هي النبع الثَّر الذي يمتح منه صوره ، ويرفده بزاد وافر من الأخيلة .

كما يرى د. فوزي عيسى أن الصور الشعرية في «بوح البوادي» تكشف عن الأبعاد النفسية أو الشعورية في تجربة الشاعر ؛ فهو يكثر من استدعاء صورة البرق أو المطر الذي يمحو جدب الصحراء ويجعله مرادفًا أو معادلاً للوصال ، فكلاهما قادر على بعث الحياة من جديد :

نكأت الجرح يا زمني بوصلٍ   كومض البرق أسرع في فلاةِ
طواها المحل أعواماً عجافًا   فجاء الومضُ بشرى للحياةِ

ويرتبط اللقاء عند الشاعر بـ «الريّ» و«النماء» ويستدعي صورة الوادي مرادفًا لعالم الحب :

سل وادى الحب واسأل وردةً فيه   عن اللقاء الذي لو عاد يرويهِ
تخضرُّ أرضٌ ويزهو في جوانبه   شيحٌ وينمو الخزامي في روابيه

وكما تتأثر الطبيعة بتحولات الشاعر الوجدانية فإنها تؤثر فيه أيضًا بتحولاتها ؛ ولأن المياه هي قوام الحياة في الصحراء بصفة خاصة فإن الشاعر يكثر من استدعاء صورها ودوالها ؛ وتنشأ علاقة جدلية متبادلة بينهما ؛ فالنبع وهو من دوال الماء مرادف للحياة والموت في حالتي امتلائه ونضوبه :

شـــبابي قـــد ذوى مـــذ جـــفَّ نبعـــي وأُهـــدر مـــاؤه يـــوم التجنّـــى

ولكي يتحقق «التماثل» أو «التلاحم» بين العالمين : عالم الشاعر وعالم البادية ؛ فإن مفـردات البادية وصورها تنتقل من عالمها الحقيقي إلى عالم آخر مجـازيٌ ، هـو عـالم الشـاعر الوجـداني ، حيث تخلق خلقًا آخر ، وتتشكل من جديد ؛ لنفاجأ بعالم مختلف تتكون معالمه من سياط الهم ، ورياح الهجر ، وسراب الوهم ، وغول البين :

لقـــد جلـــدت ســـياط الهـــمّ قلبـــي ومُـــزِّق بـــين أظفـــارِ ونـــابِ

وتعصـــف بـــالفؤاد ريـــاحُ هجـــرٍ فيبلُـــغُ عصـــفها لُـــبَّ اللُبـــابِ

وتجتـــاح الظنـــونُ مـــدى خيـــالي فتُلقينـــي بـــوهمِ كالسَّـــرابِ

كـــأن الهجـــرَ لم يُخلـــقْ لغيـــري وغـــولَ البـــين سُـــكْناهُ ببـــابي

وتكشف الاخيلة عن جوانب نفسية عميقة خاصة فيما يتصل بعلاقـة الشـاعر بالصـحراء في تقلباتها وغموضها وغضبها ، كصورة الليل بإيقاعاتـه النفسـية المخيفـة التـي تتكـرر كثيـرًا : أو صورة الغول التـي تـرددت في المثـال السـابق أو صـورة سـهم المـوت ، أو صـورة العواصـف بإيحاءاتها المحبطة فيشاكل بين أثرها النفسي سواء على معالم البادية أو في وجدانه :

كيـــف أمســـيت ؟ بمـــاذا تحلمـــين؟ ألحـــب الأمـــس مـــازال الحنـــينْ؟

أم تراهـــــا ذكريـــــاتٍ عَصَـــــفتْ فبـــدا قلبـــك تـــذروه الســـنون

إذ ترامـــى البُعْـــدُ فينـــا شاســـعًا بفيـــافي العمـــر طـــول الأربعـــين

ورمـــــاني ويحَـــــهُ في كبـــــدي ورمـــاك البعـــد فـــازداد الأنـــين

وتحتل صورة الطير والقنص مكانًا أثيرا في مخيلة الشاعر ، وهي تمثل امتدادًا نفسيا وشعوريا لتجربته فغناء الطيور تعبير عن الحب في حالاته المختلفة ، وشدوها مرادف لشدوده ، وكثيرًا مـا يدعوها إلى مشاركته همومه وتتردد صـورة الطيـر المهـيض الجنـاح أو المشـرد كـدوال للهجـر والانكسار .

ونلاحظ أن الشاعر يستدعي صورة الطير في إطار دلالي عام ولا يعمـد إلى التخصـيص إلا في مواضع قليلة تتردد فيها ثلاث صور ؛ هي صورة القطـاة وصـورة الحمامـة أو الورقـاء وصـورة الصقر وتنفصل صورة القطاة عن التجربة الوجدانية أما الورقاء أو الساجعة فهي دالـة مـن دوال استثارة الشوق والحنين .

أما استدعاء صورة الصقر فيأتي في إطار المشاركة الوجدانية[93]

***

(93) دراسات نقدية / ص138 .

وبعد ، فهذه لمحات من سيرة عبد العزيز سعود البابطين شاعر البوادي الخضر وإبداعه الشعري ، والذي عبر بصدق عن أجواء البادية والصحراء التي عاش في ظلالها ، وعبر عن مفرداتها ، وأجواءها ، حيث تحقق التلاحم بين عالم الشاعر وعالم البادية بكل صفائه ونقائه وقيمه وأعرافه ومفرداته البسيطة ، كما حول بقاع الصحراء إلى واحة خضراء ، وزهور يانعة بوجود الحبيبة الملهمة معه :

فطيف الحبيب حين يهلُ   أرى السهل يخضر والواديا

ويملأ شاعر البوادي الخضر الدنيا غناء شجيًا للحبيب في كل أحواله : سعيدًا أم حزينًا قريبًا أم بعيدًا ، راضيًا أم غاضبًا ، متواصلاً معه أو نائيًا عنه .

سواء كان الحبيب حاضرًا ، أم طيفه هو الحاضر يناجيه الشاعر ويرتل له من أعماقه مواجده وعذاباته لهجر الحبيب النائي ، ولكن شاعر البوادي الخضر يحول تلك البوادي والقفار إلى واحة خضراء مزهرة بحبه العذري لمحبوبته الحسناء ؛ فيصبح الوادي كله مليئًا بالزهور اليانعة والأشجار الباسقة المخضرة:

سل وادي الحُبِّ واسأل وَردةً فيه   عن اللقاءِ الذي لو عاد يَرويهِ

تخضُّر أرضٌ ويزهوُ في جوانبهِ   شيحٌ وينمو الخُزامى في روابيهِ

هكذا اندمج شاعرنا مع البادية بعد أن جمع بين عالم البادية والصحراء بكل ما فيها من صفاء ونقاء وبين عالمه العاطفي بكل ما فيه من مشاعر وأحاسيس سامية تتغنى بالحب والحبيب ، وتعزف للملهمة أجمل أغاريد الحب العذري !



الفصل السابع

عبد العزيز سعود البابطين

في مرآة الشعراء



مع اضطلاع عبد العزيز سعود البابطين برعاية مملكة الشعر العربي المعاصر وشعرائها ، كبادرة حضارية للنهوض بمسيرة الشعر بعد أن تهددتها عوامل كثيرة ودعوات مشبوهة وافدة باسم التحديث والحداثة وقصيدة النثر وغيرها تبارى العديد من شعراء العربية للتعبير عن مشاعرهم نحو أمير هذه المملكة الشعرية الذي أوقف وقته وجهده وماله في سبيل النهوض بمملكة الشعر العربي من خلال مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وقد تصدى الباحث والناقد الأدبي د. محمد مصطفى أبو شوارب لجمع وتنسيق النصوص الشعرية التي قيلت في شاعرنا وصدرت في ثلاثة مجلدات تحت عنوان : «عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء» . خدمة للأدب والتاريخ وليصور جانبًا مهمًا من جوانب الحياة الثقافية التي وجدت أخيرًا من يهتم بالشعر والشعراء ومحاولة النهوض بالخطاب الشعري عقدت المسابقات وكرم الشعراء ، وأقيمت المهرجانات الشعرية الكبرى والندوات والدورات الشعرية لتكريم الشعراء القدامى والمعاصرين ، وجمع شعرهم المنسي فصدرت عنهم الدراسات المتخصصة المستفيضة بأقلام كبار النقاد والباحثين .

وقد أوضح د. محمد أبو شوارب سبب جمع وإصدار النصوص الشعرية التي جسدت رؤية الشعراء لشخصية عبد العزيز سعود البابطين شاعرًا وإنسانًا وصاحب رسالة ثقافية كبرى فقال [94]:

«استوقفني طرافة هذه القصائد ووفرتها واحتفاؤها بعبد العزيز سعود البابطين الإنسان والشاعر والمؤسسة ، وتنوعها ، وتوزعها على عدة ألوان من مستويات الأداء الشعري . فعقدتُ العزم على مراجعة قراءتها مرة أخرى ، غير أن ظروفًا طارئة اضطرتني إلى العودة إلى مصر بعد أن قضيت بالكويت سبعة أشهر فحسب . ورغم انشغالي بعملي الجامعي وما عهد إليَّ من مسئولية رئاسة قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة الإسكندرية عام ستة وألفين (2006م) ؛ فقد ظلت هذه القصائد بخاطري يشغلني التفكير فيها حينًا بعد حين ، إلى أن تجدّدت إعارتي إلى الكويت عام ثمانية وألفين (2008م) وعدتُ إلى مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الوظيفة ذاتها ، وفي صدارة أولوياتي الخاصة الرجوع إلى هذه القصائد وإعادة النظر فيها ، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير . فالعمل مع الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين في مشروعه الثقافي الذي تجاوز حدود الوطن العربي إلى آفاق العالمية الرحبة الوسيعة ؛ له متعته وفوائده وإيجابياته ، وله أيضًا متاعبه ومشاقه . فالرجل لا يعرف إلى الاسترخاء والتقاط الأنفاس سبيلاً ، ولا يدخر وسعًا في سبيل المضي قدمًا من منجز إلى آخر ويلزم نفسه في ذلك بما تطيق وما لا تطيق ، ويكلف من حوله ما يأخذ به نفسه ، فلا نكاد نخرج من مشروع حتى ندخل غيره وكأننا في سباق محموم مع الزمن .

(94) د. محمد مصطفى أبو شوارب : عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء – دار الوفاء الإسكندرية 2015/ المجلد الأول / ص9.

غير أن ذلك كله لم يصرفني عن هذه القصائد ؛ فكنت أحاول التسلل ولو لدقائق معـدودة إلى خزائن مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وأضـابيرها لمواصـلة البحـث عن نصوص جديدة من هذه القصائد التي كان الشعراء يبعثون بها إلى الأستاذ عبد العزيز احتفـاءً به ، أو تهنئة له ، أو تسجيلاً لنشاط من الأنشطة التي يقوم بها ، أو لمنجز من المنجزات التي يقف وراءها . وكلما وقعت على قصيدة من هذه القصائد أغرتني بتتبع غيرهـا حتـى اجتمـع لي خـلال ست سنوات عدد ضخم من النصوص الشعرية اللافتة بغزارتها الدالة ، وبتعقبهـا مراحـل حيـاة الرجل بكل ما فيها من خاص وعام ، وبتمثيلها لأجيال متعاقبة من الشعراء العرب ، ولجلِّ أقطار الوطن العربي من المحيط إلى الخليج.

وأصدقكم القول أني فوجئت من هذه الوفرة الهائلة من القصائد التي كتبها الشـعراء في عبـد العزيز سعود البابطين .

وليس من شك في أن قراءة هذه القصائد قراءة موضوعية وفنية تكشف عـن مسـتويات أكثـر اتساعًا وأبعد عمقًا عن صورة عبد العزيز سعود البابطين كما انطبعت في نفوس هـؤلاء الشـعراء وفي وجداناتهم ، وتبين عن تصوراتهم ومواقفهم إزاء هذه الشخصـية النـادرة المثـال ، وتوضـح طرائقهم في تصوير قسماتها ورسم ملامحها الجسدية والنفسية على حد السواء . كمـا أن دراسـة هذه القصائد ، وهي في حاجة إلى وفرة من الدراسات والقراءات حتى يمكـن استقصـاء جوانبهـا وتحديد سماتها وأساليبها – تعكس بوضوح موقف الشعراء من التجربة التي قدمها عبـد العزيـز سعود البابطين في دلالتها الإجمالية وتفاصيلها الدقيقة .

وفي اعتقادي أن التصور الرئيس الذي وجه رؤية الشعراء ومواقفهم مـن عبـد العزيـز سـعود البابطين على كافة الاتجاهات يصدر عن إحساسهم بتفرد هـذا الإنسـان / الشـاعر / المشـروع وتميزه الفريد ؛ على نحو دفعهم إلى محاولة تلقيبه ، وخلع جملة مـن السـمات الاسـتثنائية عليـه ، لعلهم بذلك يستطيعون إدراك جوهر فرادة الشخصية وتوصيفها ، وهو مـا يبـدو بوضـوح فيمـا اختاره الشعراء لقصائدهم من عناوين دالة بما هي عتبات أولية للنص على ذلـك التصـور الـذي يقدم البابطين كما هو في نظرهم شخصية استثنائية ، وبوصفه نسيج وحده .

وهم يعرفون لعبد العزيز سعود البابطين فضله على الشعر والشعراء ، وجهده الخارق في سبيل إعادة الشعر مرة أخرى إلى صدارة المشهد الإبداعي في المجتمع العربي ، ومن ثم عكست عناوين قصائدهم هذا المعنى فعبد العزيز : «حفيظ الشعر» في عنوان قصيدة عبد الرزاق حسين ؛ و«نصير الشعر» في عنوان قصيدة محمد ذيب النطافي؛ و«حاتم الشعر» في عنوان قصيدة أحمد قاسم أحمد .

***

ثم يحدد الباحث احتفاء الشعراء بدور عبد العزيز سعود البابطين في رعاية ودعم مملكة الشعر والشعراء ، فيقول [95]:

«وبقطع النظر عن فيوض الشعراء العاطفية وطروحاتهم الذاتية ، فإن التناول الموضوعي لحركة الشعر العربي الحديث والمعاصر ينتهي بأي دارس منصف إلى الإقرار بقيمة الدور الكبير الذي قام به عبد العزيز سعود البابطين منذ أن أنشأ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بالقاهرة سنة تسع وثمانين وتسعمائة وألف (1989م) ، في وقت تراجع فيه حضور الشعر في الحياة الثقافية ، وتأخرت مرتبته بين فنون الإبداع القولي المؤثرة في وجدان الأمة لمصلحة أجناس أدبية وإبداعية أخرى ، وأخذت الهوة في الاتساع بين الشعراء المتلقين من جهة ، وبين الشعراء بعضهم بعضًا من جهة أخرى على نحو أدى إلى ضمور شديد في الحركة الشعرية ، وتراخ في فاعليتها . فجاءت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري لتعيد للشعر ألقه وحراكه المؤثر اعتمادًا على اربعة مرتكزات رئيسية ؛ يأتي في مقدمتها تحفيز المبدعين من الشعراء ونقدة الشعر عبر سلسلة من الجوائز التي تمنح من خلال آلية شفيفة منضبطة ترتكز إلى قرارات لجان التحكيم الفنية المتخصصة دون اعتداد بأية تصورات مسبقة ، ودون أن تحركها أية مرجعيات سوى الانحياز للإبداع الفني الأصيل .

***

وبعد ، فمن بين عشرات القصائد التي جمعتها ثلاثة مجلدات سأختار عدة قصائد لعدد من شعراء الوطن العربي لتقرأ فيها صورة عبد العزيز سعود البابطين في مرآة مملكة الشعر العربي المعاصر ، ودوره في رعايتها ودعمها .

(95) المرجع السابق: ص13.



الفصل الثامن

ألوان من شعر

عبد العزيز سعود البابطين



نداء [96]

لــكِ روُحــي أمــا ســعِتِ النِّــدَاءَ	فهُمُـــومي قـــد أورثَتِنـــي العَنـــاءَ
وحنينـــي إلـــكِ أضـــحى شُـــعاعًا	قـــد تعـــالى فمَـــسَّ حتَّـــى السَّـــماءَ
مـــلأ الكـــونَ والفَضـــاءَ وأمســـى	بَـــينَ عينيـــكِ يَســـكبُ الأضـــواءَ
إذ سَـــرىَ الليـــلَ طُولـــهُ ليلاقِـــي	فجِـــركِ الحُلـــوَ يَنضَـــحُ الأنـــدَاءَ
إيـــهِ أمسِـــي أتَـــذكرُ الحـــبَّ طفِـــلاً	فيـــهِ غَنَّـــى شَـــلاَّلُهُ كَيـــفَ شَـــاءَ
فيـــه مَـــلَّ اللقـــاءُ منـــا وإنَّـــا	مـــا ارتوَينـــا وَلم نمَـــلَّ اللِقـــاءَ
كَيـــفَ تجـــري الحيـــاةُ فينـــا إلهـــي	والبِعـــادُ الألـــيمُ هَـــدَّ الرَّجـــاءَ
أنـــا لـــن يُوقِـــفَ البِعَـــادُ حنينـــي	لا ولـــن يَخنـــقَ الزَّمـــانُ النَّـــداءَ
ذاكَ حُبِّـــي فـــلا يـــزالُ أتيَّـــا	دَفقُـــهُ الثَّـــرُّ جـــاوزَ الجَـــوزَاءَ
لـــكِ رُوحِـــي ومُهجَتِـــي وسُـــنونِي	كُـــلُّ مـــا بـــي أهـــدي إليـــكِ فِـــدَاءَ
هَل سَـمِعتِ النِّـداءَ يـا إلـفَ رُوحـي	أم هـــديرُ النِّـــداءِ ولّـــى هبَـــاءَ
سَـــيَظَلّ النِّـــداءُ يَســـري ويَـــدوى	ليُعيـــدَ الهَـــوى إليَّ بَهَـــاءَ
ويهُـــزُّ الفَضَـــاءَ حُلُـــو التَّغَنِّـــى	أنـــا مَـــن عَلَّـــمَ الطُيـــور الغِنَـــاءَ
فـــإذا مـــا سَـــمعتِ يومًـــا هـــديلاً	فهَـــو فنّـــي منحتُـــهُ الورَقـــاءَ
أو سَمعتِ الطيور في الـرَّوضِ تشـدو	تُطـــربُ الـــرَّوضُ والـــرؤي والسَّـــناءَ
ذاك ممّـــا تعلَّمتـــهُ مزيجًـــا	مـــن غِنَـــائِي إذ أرتجيـــه دَوَاءَ
لـــكِ رُوحِـــي رُدِّي إليَّ لقـــاءُ	فهُمـــومِي قَـــد أورثتِنـــي العَنـــاءَ

1992 /10 /30

(96) من ديوان «بوح البوادي / بيروت 1995 / ص32 .

أرجوحة الأحلام[97]

قد كنتِ لي في ما مضَى ملءَ الفَضَا
واليَوْمَ أبْحَثُ عن مَطافِ سَناكِ

وَلَقَدْ وصَلْتُكِ يَوْمَ كُنَّا لِلْهَوَى
والآنَ يُرْضِينى خَيالُ هَواكِ

واهًا أيا لَيْلَى على زَمَنٍ مَضى
مَلَكَتُ يَدايَ زِمامَهُ ويدَاكِ

في حقْبَةٍ هِيَ كُلُّ ما في العُمْرِ مِنْ
فَرحَ الحَياةِ مُضَمْخًا بشَذاكِ

أيّامُنا الحُسْنَى مَضَتْ كالبَرْقِ في
لَيْلٍ أضَاءتْ عَتْمَهُ عَيْنَاكِ

يا حَبَّذا تلكَ الحَدائِقُ في الصِّبا
وخُطَايَ في جنباتِها وخُطاكِ

كم طُفْتُ في دُنْياكِ عَبْرَ جِنانها
واليَوْمَ أينَ جِنانُها دُنياكِ؟

ما شاقَ قلبى منكِ في عَهْدِ الهَوَى
لم يَبْقَ لي منهُ سِوى ذِكْراكِ

أوْتَارُ قلبى كمْ تَنَاغَمَ عزْفُها
قِدْمًا فَقطَّعها الأسَى بنَواكِ

قَدْ غِبْتِ ، لكنْ ظَلَّ طَيْفُكِ حاضِرًا
يَحْنُو ويَدْعُوني إلى نَجْواكِ

كَمْ شَقَّ طَيْفُكِ جُنْحَ لَيْلٍ مُظْلم
فَأزَالَهُ عَنِّى بنُورِ بُهاكِ

ما كان في دُنْيايَ ما أصْبُو لهُ
وأعِيشُ مُمْتلئًا بهِ لولاكِ

فَبكُلِّ ما أرْنُو إليهِ بناظِري
ألْقَاكِ يا أُخْتَ المَها وَأرَاكِ

لِلْحُبِّ سَوّانِى الإلهُ وأنتِ يا
أرْجوحَةَ الأحْلامَ إذْ سوَّاكِ

أنا من خِلالكِ أنتِ أحْبَبْتُ الوَرَى
فكأنَّهمْ سَبحُوا بَبحْرِ هَواكِ

فَمَوَدَّتِي وجَمِيلُ عَهْدي للأنا
م لِكُلِّ مَنْ يَرْعَاهُ مَنْ يَرْعَاكِ

هُمْ إخْوَتِى قد حُمِّلوا مَعْنايَ في الدْ
نيا ، كما قدْ حُمِّلوا مَعْناكِ

يا حُزْمةً من ضَوْءٍ ومْض قد مَضَى
اليَوْمَ أبْحَثُ عن مكان سَناكِ

فاس – المملكة المغربية

2003 10 /12

---

[97] من ديوان «مسافر في القفار» / الكويت 2004/ ص138 .

غناء حمامة [98]

حمامةَ الأيْكِ غَنَّى الحبُّ ساجعةً — إنَّ الغِناءَ لِقَلْبِي بَلْسَمُ الشَّجْنِ

هيَا بنا نَتَنَاجَى في مُرابِعَنا — فالشَّوْقُ يُلْهِمُكِ النَّجْوى ويُلْهِمُنِي

شَكْواكِ شَكْواي والأشجَانُ واحِدةٌ — فَرِدِّي في مَداهَا ما يُعلِّلُنِي

إنِّي لأَدْرَى بما تشْكِينَ مِنْ وَلَهٍ — مِثْلِي فَما وَلَّه الورقاء ولّهني

غنى وإن كان نوحًا ما شدوت به — يحيا غرامي إذا ما الشوقُ ذوّبني

ما أعجبُ الحبُ يُشْقِيني ويُسْعدُني — وأعْجَبُ الشَّدْوُ يُشْجيني ويُفْرحُني

إنْ نَكّتْمِ الحُبَّ لم تُكْتَمْ دَلاَئِلُه — فَنَحْنُ أسْراهُ في سِرٍ وفي علنِ

أصْبُو وأنْغَامُكِ الرَّوْعَاءُ تحْمِلُنِي — إلى زَمانٍ مَضَى بالذِّكْرياتِ غَنِي

فِي شَدْوِكِ الآنَ صَوْتٌ كنتُ — فِي صَمْتِ فاتِنَتِي «لَيْلَى» فيُسكِرُني

باللهِ مَنْ عَلمَ الوَرقَاءَ ما عَلمتْ — مِنْ حالِ صَبَّ لأمْرِ الحُبِّ مُرْتَهَنِ

حَتَّى تَمَكَّنْتُ من إنْشَادِ سيرتِهِ — بصَوْتِكِ العَذْبِ صَداحًا على فَنَنِ

يُطَأطئُ الغُصْنُ للإنْشَادِ هامَتَهُ — وَيَرْفَعُ الزَّهْرُ أنْظَارًا إلى الغُصْنِ

كأنَّما الرَّوْضُ إذْ يُصْغِي لساجِعَةٍ — خَمائِلُ كَسَتِ الفِرْدَوْسَ في عَدَنِ

[98] ديوان مسافر في القفار/ ص20

***

حَمامَــةَ الأَيْــكِ زيــديني هَــوْى فإنْ شَدْوَكِ فِـي عُرْفِـي مِـنَ المِـنَنِ

حُبًّـا لِلَيْلَـى التـي أحْيـا بعالَمِهـا وَقَدْ غَدَا طَيْفُ لَيْلَى وَحْـدَهُ وَطَنـي

غِنَاؤكِ العَذْبُ مِنْ مَاضِـيَّ قَرَّبنِـي وعنْ أَسَى حاضِري المَلْهوفِ أبْعَدنِي

فَفِيه مِـنْ كُـلِّ أوْتَـارِ الهَـوى نَغَـمٌ قدْ حرّكَ الشَّوْقَ في قلبـي ودَلَّهنِـي

لأنتِ والغُصْـنُ ميّـادًا بقامتِـهِ الــْ ــهَيْفَاءِ دُنْيَـا لِسِـحْرِ العَـيْنِ والأذُنُ

في ما شَـدَوْتِ وفيـه مـا يُـذكِّرُنِي ببعضِ ما مَلَكتْ «لَيْلايَ» مِنْ فِـتَنِ

جُودي بما تمْلِكُ الوَرقَاءُ مِنْ حَسَنٍ يا طيبَ من جادَ يَا ورْقَاءُ بالحسَـنِ

وَرِّدي نَغَمًـا قــدْ كنــتُ آلفُــهُ إنَّ الغِنَـاءَ لِقَلْبـي بَلْسَـمُ الشَّـجَنِ

باماكو – مالي

أكتوبر 1994م

رمز الحب[99]

اسْألوا الشَّـمْسَ ..هَـلْ رأتْ مِثْـلَ عِشْـقِي ... مُذْ أنيـرتْ ، أوْ عاشِـقًا عـاشَ مِثْلِـي

عــاشَ يَسْــقِي مَنــابعَ الحُــبِّ حَتَّــى ... صــارَ رمْـزًا للحُــبِّ في كُــلِّ نُــزْلِ

يَمْـــلأ الحُـــبُّ قَلْبَـــهُ يَتَغنَّـــى ... بِنَشــيدِ الحيــاةِ غَنِّــي كَطِفْـــلِ

يُمْطِــرُ الغَيْــثُ مِــنْ سَــمَاها وِدادًا ... فَتَضُــوعُ الأزْهَــارُ في كُــلِّ سَــهْلِ

قَــدْ مَنَحْــتُ الحَيــاةَ دَفْقَــةَ عِطْــرٍ ... ضَمَّخَتْ بـالأَريجِ مَـنْ كـانَ حَـوْلِي

والبَعيــدُ البَعيــدُ يَرْعــاهُ حُبِّــي ... عــلَّ روحــي تطالُــهُ أو لعَلِّــي

أنـا أهْـوَى الجَمـالَ في طَبْـعِ «سَـلْمَى» ... فَأحَــبَّ الجَمَــالَ قَلْبِــي وعَقْلِــي

وَلَبِسْــتُ الوَفَــاءَ ، بَــلْ عِشْــتُ فيــهِ ... فقَهــرْتُ السِّــنينَ لا .. لَــمْ أمــلِّ

لــن يُحِــبُ الجَميــعَ قَلْــبٌ كقلبــي ... أوْ يَــودُّ الجَمَيــعَ أكْثَــرَ قَــبْلي

أنــا يــا شَــمْسُ إنْ وَدِدْتُ الأناســي ... فَلأنِّي عَشْقْتُ – يـا شَـمْسُ – خِلَّـى

اســألوا الشَّــمس !! لم تُشــاهِدُ حبيبًــا ... مُــذْ أُنيـرتْ أو عاشـقًا عـاشَ مِـثْلي

فليج (شمال الحفر)

المملكة العربية السعودية

25/ 1/ 1995

---

(99) من ديوان «مسافر في القفار» الكويت 2004/ ص26.

مناجاة الرُّوح [100]

رُوحِـي أيـا رُوحِـي مُلئـتِ مَحبَّـةٌ ... لِلآخَـرينَ فَيَمِّمُـوا مَغْنـاكِ
ضُـمِّي بأَجْنحَـةِ السَّـعادَةِ والهُـدَى ... زُمَـرَ الشَّـكاةِ وَكُـلِّ مَـنْ نـاداكِ
إهْـدي المَحَبَّـة لِلْجَميـع وكَفْكِفـي ... يـا روحُ دَمْعَـةَ كُـلِّ عـانٍ بـاكي
كُونِي أيَا رُوحِي المُعِين لِمَـنْ شَـكَى ... في عـالَمٍ مـا حَـسَّ صَـوْتَ الشَّـاكِي
كـوني كَطَيْـرِ الـرَّوْضِ يُفْـرِحُ شَـدْوُهُ ... مَـنْ حُوصِـرتَ دُنْيَـاهُ بالأشْـوَاكِ
أوْ مَـنْهَلاً يـرْوي العِطـاشَ نَميـرُهُ ... أوْ وَرْدَةً عَبَقَـتْ بعِطـرٍ زاكِـي
كوني الرَّبيعَ السَّمحَ يَضْحَكُ وَجْهُـهُ ... مُـتَهَلِّلاً حتَّـى لِمَـنْ عـاداكِ
وامْضِي علـى الحُـبِّ الـذي أحْيَا بِـهِ ... لا يَرْدعَنَّـكِ عنـهُ مـنْ جافـاكِ
مـا ضَـرَّ شَـدْو الطَّيْـرِ مَـنْ في أُذْنِـهِ ... صَـممٌ ، ومَـنْ أمْسَـى بـلا إدْرَاكِ
كـلاَ ولا عـابَ الـوُرودَ وعِطْرَهـا ... نَقْـصٌ بِحِـسِّ مُـراوِغٍ أَفّـاكِ
قـولي لِمَـنْ جَـافى وأفْسَـد وُدَّهُ ... وَلِكُـلِّ مَـنْ خَـلاَكِ أوْ وَالاكِ
هَيَّا اعْتَصِـمْ بالحُـبِّ دَوْمًـا أوْ غَـدَتْ ... دُنْيَـاكَ يـا إنْسَـانُ دارَ هَـلاكِ
كُـوني أيَـا رُوحِـي زُهـورَ مَـودَّةٍ ... لِلآخَـرينَ ، فَـدَرْبُهمْ مَغْنـاكِ

جيليك – نور العرش – إيران

2002/7/1

---

[100] من ديوان «مسافر في القفار» الكويت 2004/ ص 130 .

جمرة الوجد[101]

يا نَجْمُ اللَّيْلُ مَتَى غَدُهُ ... ومَتى يَرْتَاحُ مُسهْدُهُ
أَيَمُرُّ العُمْرُ ولا أمَلٌ ... بلقِاءِ حَبيبى يُسعِدُهُ
يُبْعِدُنِى قَدَري عن وَصْل الْـ ... ـمَحبوب ، وعنِّى يُبْعِدُهُ
فأبيتُ وقَدْ أوحِشَ لَيْلِى ... ونَأي مَنْ قَلْبى يُنْشُدُهُ
أتَقَلَّبُ فيه على جَمْر ... حام ، وحَنينى مَوْقِدُهُ
تَجْتاحُ الحُرْقَةُ أيَّامِى ... ويُذيبُ القلْبَ تنَهُّدُهُ
لا يَفْتَحُ لِى أمَلى بابًا ... إلاَّ والفُرْقَةُ تُوصِدُهُ
يُرْهِقُنِى الهَجْرُ ويُجْهِدُنِى ... وَيَلوعُ الخِلِّ ويُجْهِدُهُ
يُسْتَهْلِكُ أحْلامَ العُشَا ... قِ ، ويُشْقِى العُمْرَ ويُفْسِدُهُ
رِفْقًا يا لَيْلُ بمنْ لَبِثتْ ... نيرانُ الوَجْدِ تُهَدِّدُهُ
خِلِّى ، والبَدْرُ بطَلْعَتِهِ ... أبْهَى من بَدْرِكَ مَشْهَدُهُ
يَتَثَنَّى الغُصْنُ بقامَتِهِ ... وَيَشْوقُ القلْبَ تأوّدُهُ
تَجْرِي الأطْيابُ بعُودِ الوَرْ ... دِ ، إذا ما مَسَّتْهُ يَدُهُ
هُوَ مَعْنَى الحُبِّ وصُورَتُهُ ... وَوَحِيدُ الحُسْن ومُفْرِدُهُ
هُوَ فِي صَحْرائى واحَتُها ... وبلَيْلِى الدَّاجى فَرْقَدُهُ
إنْ غابَ حَبيبُ القلْب لِمَنْ ... يَشْدُو فِي الرَّوْض مُغَرِّدُهُ
وَلِمَنْ يتلألأُ بَدْرُ اللَّيْـ ... ـل ، ومَنْ بالنُّور يُزَوِّدُهُ
وَيطُولُ الشَّوْقُ إلى قَمَر ... فِي وَجْهِ حَبيبى مَوَّلِدُهُ
يا قَلْبُ مَتَى يَبْزَغُ فَجْرِي ... ومَتَى يَرْتاحُ مُسَهَّدُهُ

جنيف (سويسرا) بلعشمية (لبنان)

21/ 7 –13 / 9/ 2001

---

[101] من ديوان «مسافر في القفار / الكويت 2004 / ص123.

طيف الحبيب[102]

كُلَّمــا حاولــتُ أنسَــى طيفَهــا عانــد الطَّيْــفُ وأنْسَــانِي الرُّقَــادْ

وأظــلُّ الليــلَ أشــكو طوَلــهُ فَتَمــلُّ السُّــهدَ عينِــي والوسَــادْ

وَيَمَــلُّ السُّــهدُ لَــيلى كلِّــهُ فَينــاِجي طيفُهــا لُــبَّ الفــؤادْ

وُينيــرُ الليــلَ قِنــديلُ الهــوى ويَشــعُّ الحــبُّ مــن كــلِّ الوهــادْ

وتُــدَوِّي فرحتِــي مُعلِنــةَ عــن لقــاءِ كنــتُ أرجــو أن يُعــادْ

وسَــتمْلاَ نَشْــوَتِي ســاعتَها كــلَّ أجــواءِ السَّــما في كــلِّ وادْ

ويعــود الحــب كــالراح إذا عتقــت أعنابــه ينســى البعــادْ

هــي أحــلام الهــوى يــا ويلنــا عنــدما نصــحو وينســانا الرقــادْ

مدينة سيدي براني - الحدود المصرية

أول فبراير 1974 .

([102]) من ديوان أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص 47 .

الذكريات الغالية [103]

أنـــــتِ أغلَـــــى ذكريـــــاتِي		أنـــــتِ أحَـــــلى أُمْنِيـــــاتِي
أنـــــتِ يـــــا كـــــلَّ حيـــــاتِي		كـــــلُّ آمـــــالِي وذاتِـــــي
هِمْـــــتُ فيـــــكِ يـــــا شَـــــبابي		ومَشِـــــيبِي وحَيـــــاتِي
لم يـــــزلْ حُبُّـــــكِ يســـــري		بِعُروقِـــــي كالحيـــــاةِ
أنـــــتِ يـــــا أشـــــهى حبيـــــبِ		عَاهِـــــدينِي للمَمـــــاتِ
حبُّنَـــــا يبقَـــــى عزيـــــزًا		رغـــــمَ كيـــــدِ العَاديـــــاتِ
لا تُبَـــــالِي بِعَـــــذولٍ		لامَنَـــــا حتَّـــــى المَمَـــــاتِ
يـــــا عَـــــذُولِي كُـــــفَّ عنِـــــي		وَلْتَـــــدعْنِي لِسُـــــبَاتِي
أنَـــــا لا أرغـــــبُ صَـــــحْوًا		لا يُـــــوافِيني بـــــآتِ
فيـــــهِ تَحقيـــــقُ الأمـــــانِي		فـــــوقَ كـــــلِّ المُعْضِـــــلاتِ
ابتعـــــدْ عنِّـــــي عـــــذولي		حـــــينَ تَلقـــــانِي فَتَـــــاتِي
واقتـــــربْ منـــــي إذا مـــــا		آذنَـــــت دعـــــوى الشَّـــــتاتِ
إنَّ لَومًـــــا منـــــك يجلـــــو		كـــــلَّ هَمِّـــــي وأَسَـــــاتي
لا تُصَـــــدِّقْنِي عَـــــذُولي		فَغِنـــــائي وصَـــــلاتي
لِحَبيبـــــي فَهْـــــوَ يَـــــدْري		إنَّـــــه كـــــلُّ حيـــــاتي

كنج مريوط – الإسكندرية 8/ 12/ 1974

---

[103] من ديوان «أغنيات الفيافي / الكويت 2017 / ص34 .

نداء العمر[104]

يُـــذكِّرنِي الرَّبيــعُ بزهـــوِ عُمْـــرِي ... غـــداةَ القلـــبُ نـــوَّرَهُ الرَّبيـــعُ

وأسْـــــعَدنِي التَّــــنَعُّمُ في ليـــالِ ... شَـــذاها مِـــن جَنائِنِـــهِ يَضُـــوعُ

وتحــتَ نــواظِرِي مــن كــان حِبِّـي ... يَطيـــبُ بـــه التَّدَلُّـــهُ والولـــوعُ

تَزيـــدُ مَلاحـــةً إمَّـــا تَثنَّـــتْ ... وَزَيْـــــنَ دلَّهـــا ذوقٌ رفيـــعُ

فَـــأحلامٌ وأخْيلَـــةٌ غرامِـــي ... بهـــا والحـــبُّ عالمُـــهُ وســـيعُ

بـــهِ أيامُنَـــا تحلـــو وتَغـــدو ... كمـــا نهـــوى ، وعَاصِـــيها يطيـــعُ

تَشــوَّقَ حاضــري بغيــابِ أمســي ... إلى عهـــدٍ زهَـــتْ فيـــه الرُّبـــوعُ

وأوحَشَـــتِ الـــدِّيارُ فـــلا حبيـــبٌ ... ولا ليـــلُ تضـــاءُ بـــه الشُّـــموعُ

زمـــاني – بعـــدّ أن ولِّيـــتُ – عُمـــرٌ ... تســـيلُ عـــلى مُفارقِـــةِ الـــدُّموعُ

أأيـــامَ الرَّبيـــعِ فـــداكِ عمـــري ... أمـــا لِنَســـيمكِ الشَّـــافي رجـــوعُ؟

لِنُرْجِـــعَ ماضـــيًا نصـــبو إليـــهِ ... غـــداةَ القلـــبُ نَـــوَّرهُ الرَّبيـــعُ

غرناطة(الأندلس)

2007 / 4 /12

[104] ديوان أغنيات الفيافي / الكويت / 2017 / ص106 .

الربيع الضُّحوك (105)

بَدَتْ شَمسِي وقدْ أرخَتْ جُفونَا ... كأنَّ شُعاعها يرنُو لأمسي

بعَيْنٍ كادَ يُثقِلُها سُهَادٌ ... أَقَضَّ مَضاجِعَ الَّذكرى لهمسي

أأيامِي .. ويا فجرًا بعُدنا ... أما مِنْ عَودةٍ لرفيقِ نفسِي ؟

فقدْ ضاقتْ بروحِي أُمسياتي ... ولَيْلِي باعَنِي واهًا ببخْسِ

وعمري ينطوي والثقل فيه ... كأن سنينه ملأى ببؤسِ

وكادت وحدتي تكسي بحزنٍ ... وإن الحزن يقذفها بنحسِ

ولكنَّ الرَّبيعَ أتِي ضَحُوكًا ... تُعَانِقُهُ الوردُ عِنَاقَ عُرْسِ

وتعبَقُ مِنْ ثَنايَاهُ عُطُورٌ ... أعادتْ للحياةِ فَتَى بحِسِّ

وشَمسِي أشرقَتْ إشرَاقَ نُورٍ ... أتَى بالبهجَةِ الأولى لِشَمسي

لأنَّ القَلبَ حَرَّرهُ اصْطِبَارٌ ... مَضتْ أعوامُهُ فقضى بيأسِ

وإنَّ الصُّبْحَ ردّدَهَا مِرارًا ... سنينُ العُمر أمْضوها بِأُنْسِ

كوبنها غن

1982 /8 /25

(105) من ديوان: أغنيات الفيافي/ الكويت 2017/ ص101.

العمر الضائع [106]

ذَكرتُــــكِ واللَيَــــالي حَالِكَـــاتٌ	ودربُـــكِ يمـــلأ الـــدَّنيا اتَســـاعَا
رأيتُـــكِ في ســـماء الكـــونِ نـــورًا	ووجـــدِي زادَهُ الشّـــوقُ الْتِياعَـــا
حَسِـبْتُ الحِـبَّ يـرأَفُ بـي لِصَـبري	ولكـــنَّ الشَّـــتاتَ أبَـــى اجْتِماعَـــا
ســـألتُ الله يجمعَنـــا بقـــربٍ	كفَـــاهُ البعـــدُ عمـــرًا قـــد أضَـــاعَا
وصـــبري تســـأمُ الأيـــامُ مِنْـــهُ	كمـــا ســـئمتُ ليـــاليَّ ارْتياعَـــا
لحالـــكَ الله يـــا صـــبري فَصَـــبرًا	ســـنونَ الصَّـــبْرِ قـــد ولَّـــتْ تِباعًـــا
فـــإنَّ الأربعـــينَ مضـــتْ وغابـــتْ	وليـــلُ البُعـــدِ قـــد طـــرد الشُّـــعَاعَا

30/ 7/ 1991

---

(106) ديوان أغنيات الفيافي / الكويت 2017/ ص105.

وشعّت الأنوار[107]

جـاء الحبيـبُ فَشَـعتِ الأنـوارُ ... وتَرنَّمـتْ بمجيئـهِ القِيثَـارُ

وتفتَّحـتْ مزَّهـوةُ بقدومِـهِ ... زَهِـرُ الـورودِ وهَلَّـتِ الأمطَـارُ

وَتَـلألأتْ في خـافقي بشـري المُنـى ... فَتَلاشـتِ الأحـزانُ والأكـدارُ

رفَّ الحمَـامَ مُغْنيًـا بهديلـهِ ... فَتَراقصَـتْ بِرَفيفِـةِ الأطيـارُ

يـا فرحـةَ القلـبِ الكليـمِ وسـعدَهُ ... فلْتمْـرَحِ الأشـعارُ والأوْتَـارُ

ويُصَـفِّقِ الـرَّوضُ الجميـلُ ووردُهُ ... وتَـرفَّ أجنحـةُ الفَـراشِ تَغـارُ

فأهْنـأُ بعْرسِـكَ يـا عزيـزًا رَحبَـتْ ... بعروسِـكَ الأيَّـامُ والأقمـارُ

سوفرنيه – فرنسا

حزيران 2113

([107]) من ديوان «أغنيات الفيافي/ الكويت 2017 / ص85 .



عبد العزيز سعود البابطين

في قلوب الشعراء!

النصوص الشعرية

■ إبراهيم عيسى(*) (108)

قطرة نور (109)

مـــن النيـــل جئـــتُ إلى المغـــربِ مشـــوقًا إلى البلـــد الطيـــبِ
إلى ســـجدة النـــور في مســـجدٍ بـــه نفحـــة الطهـــر مـــن يثـــربِ
وتشـــمخ هامـــاتُ كـــل المـــآذ ن تلمـــسُ تســـبيحة الكوكـــبِ
ولمـــا أتيـــتُ توضَّـــأتُ بالحُبـــ ـــب صـــليتُ بالشـــوق لم أُحجـــبِ
وأصـــبحتُ قطـــرةَ نـــورٍ عـــلى جبـــين صـــباح نـــدىٍّ صـــبي
وفي الأفـــق ســـبَّح كـــل شـــعاع فأشـــرق وجـــهُ الـــدُّجى المطـــرب
وينشـــق فجـــر ولـــودٌ عـــلى شـــموخ مـــن الـــدأب المنجـــب
فأحسســـت بـــين ضـــلوعي طيـــرًا تغنـــى .. وتقفـــز فـــوق الرُّبـــي
وغـــرد شـــعري لـــدى أمـــةٍ تضـــيء الصـــدارة في الموكـــبِ
وفي نايهـــا للبطـــولات لحـــنٌ حـــداة الضـــياء لـــه تجتبـــي
تـــراب بـــلادي ســـماء مـــنَ المجـــ ـــد تشـــرق بالحـــب في المغـــرب
وكـــل بـــلاد العروبـــة أرضـــي ونبضـــي .. وعرضـــي.. لهـــا مـــذهبي
بـــلاد العروبـــة مهـــدُ القداســـا ت أرضُ البطولـــة والغُلـــبِ
إذا ألحـــد الليـــلُ مـــن حولنـــا جـــذبنا ســـنا الفجـــر لم نرهـــب

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص70.

(108) شاعر من مصر ولد سنة 1927، وتوفي عام 2000م، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، 1/ 210.

(109) القصيدة في دورة أبي القاسم الشابي، التي عقدت في مدينة فاس – المملكة المغربية عام 1994م تحت رعاية صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله .

ألم تـــر أنـــا كمـــوج الضـــحى إذا غـــرب النـــور لم نغـــربِ؟

وفـــوق مخالـــب صـــحرائنا عرسْـنا ربيـعَ الهـدى المعْشِـبِ

وعنـــد الهجيـــر قطفنـــا الظـــلالَ أدرنـــا الليـــالي إلى الأصـــوبِ

فليـــت لنـــا ســـطوة الغيـــب حتـــى نقـــيم رخـــاء الضُّـــحى المخصـــبِ

ونمشـــي عـــلى الليـــل مشـــي الضـــياء ونبـــذل كالمنهـــل الأعـــذبِ

ونبـــذرُ فـــوق النفـــوس وِدادًا يضـــمُّ الشـــبابَ مـــع الشُّـــيِّبِ

ولمـــا أتيـــتُ إلى شـــاطيءٍ عليـــه خُطـــى الـــزمن المعجـــبِ

أكـــاد أرى طـــارق بـــنَ زيـــادٍ يمـــرُّ مـــن الصـــعب للأصـــعبِ

ويبنـــي بأنـــدلس أمـــةً موحـــدة الـــدين والمـــذهبِ

لأنـــك يـــا بلـــد الفـــاتحين كبيـــرٌ العزيمـــة والمـــأربِ

ســـلام عـــلى وطـــن الأكـــرمين عـــلى قمـــم المجـــد في المغـــرب

ســـلام عـــلى كـــل بلبـــل شـــعرٍ شـــدا.. فاســـتثار رؤى الكوكـــبِ

عـــلى مـــن أضـــاءَ حـــروفَ القصـــيد عـــلى مبـــدع الشـــعر .. والمعجـــبِ

ولـــولاك يـــا بـــابطينُ انفرطنـــا كعقـــدٍ تنـــاثرَ في غيهـــبِ

ولـــولاك مـــا احتشـــد الشـــاعرونَ عـــلى الأخ في وُدِّهِ والأبِ

ســـلام علـــيكم.. ســـلام علينـــا عـــلى الحـــبِّ في البلـــدِ الطيِّـــبِ

■ **أحمد غراب**[*] [110]

المرايا

أنطفــــي ومرايـــا الشــــوق تشــــتعلُ هــل خاصــمتنا الــرؤى؟ أم خاننــا الأمــلُ؟
ســـلطانة القلـــب قـــد صـــارت حكايتنـــا طفــلاً جــريح الخطــى ضــاقت بــه الســبل
قـــد أوشـــك الحلـــم أن يخبـــو ويتركنـــا قصـــيدة لـــيس تـــدري كيـــف تكتمـــل
تكلمـــــــي إن في عينيـــــــك أســـــــئلةً تبكـــي بغيـــر دمـــوعٍ .. كيـــف أحتمـــل؟
إن الســـــكوت ســـــكاكين تمزقنـــــي فهـــل تبـــوحين أم تاهـــت بـــكِ الحِيـــل؟
لا تـــدخلي اليـــأس، مـــاذا أنـــت عاشـــقةٌ هـــل يقتـــلُ العشـــقَ إلا اليـــأسُ والملـــل؟
لمـــا ارتعشـــتِ شـــتاءُ الخـــوف هـــاجمني ومـــن عروقـــي تـــوارى الشـــوق والغـــزل
مـــا زال للخـــوفِ جُـــرحٌ في جوانحنـــا لا تنكئـــي اليـــوم جرحًـــا لـــيس ينـــدملُ
حبيبتـــي أنـــت فاســـترخي بـــأوديتي صـــيفًا رضـــيعًا عليـــه العشـــبُ والبلـــلُ
مـــا زلـــتُ أهـــواكِ أصـــدافًا تؤانســـني وشـــاطئًا مـــن زمـــاني فيـــه أغتســـلُ
أنـــا المغنـــي فكـــوني دفءَ أغنيـــةٍ منـــي إلى ريشـــها الصـــيفي أنتقـــلُ
لا تســـأليني لمـــاذا.. وامســـحي رئتـــي مـــن الرمـــاد الـــذي مـــا زال ينهمـــلُ
صـــهرتُ عمـــري حروفًـــا فانصـــهرتُ عـــلى نـــارِ القصـــيدة أغـــلى وهـــي تشـــتعلُ

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص100.

(110) أحمد غراب ، شاعر من مصر ، مواليد عام 1952م ، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ، 1/ 360.

وكــــان للفكـــر حـــربٌ داخـــلي وأنــــا   في كـــل يــــوم بجلـــدي يرتمـــي بطـــلُ
نعــم نســجتُ رمــوشَ الشــهب ملحمــة   مـــا بشـــرتْ قبـــلُ للرؤيـــا بهـــا رســـلُ
وكانـــت الشـــمسُ ترمـــي تحـــت نافـــذتي   جـــدائل الصـــبح ترنـــو كيـــف تنغـــزلُ
فأســـــــــتحث شـــــــــراييني وأوردتي   وأمتطـــي جبهتـــي التعبـــي وأرتحـــلُ
وأنـــبش البـــرق بحثـــا عـــن شـــعاع رؤى   لا ينحنـــي كـــالثواني حـــين تكتهـــل
في شـــعوذاتٍ الـــدجى أبنيـــه أخيلـــة   قـــد تـــوهمُ الـــوهم أن الليـــل يبتهـــل
أصـــوغه بيـــت شـــعر لا يمـــوتُ لـــه   صـــدى ولا ينطفـــي مـــن حولـــه جـــدل
وكـــم عبـــرتُ حـــدودَ المســـتحيل وكـــم   دخلـــت وكـــر الخفايـــا قبـــل مـــن دخلـــوا
لكـــن رجعـــتُ دخانـــات وأبخـــرة   تقتـــاتُ موقـــدها الـــدامي وتقتتـــل
حتـــى التقيـــت بمـــن في جـــدب أزمنتـــي   بالحـــب أمطـــرني فاخضوضـــر الأمـــل

***

عبـــد العزيـــز ســـماءٌ لا غيـــوم بهـــا   فيهـــا الكواكـــب لكـــن مـــا بهـــا زُحـــل
وفيـــه تـــدري بـــأن الأرض مـــا عقمـــت   مـــن الرجـــال ولا استعصـــى لهـــا الحبـــل
في طيبـــــة الأرض إلا أنـــــه بشـــــر   يـــــرق كالســـــهل إلا أنـــــه جبـــــل
لـــو لم يكـــن في حنايـــا الطهـــر صـــومعة   لقالـــت الشـــمس: هـــذا في فمـــي قبـــل
فـــردٌ ويبـــدو شـــعوبًا لا عـــداد لهـــا   كأنـــــه وحـــــده مـــــن نفســـــه دولُ
فيـــه انفســـاح المـــدى لـــو رحـــت تعبـــره   لـــــلا نهايـــة قـــد تعـــدو ولا تصـــل
تكـــاد تحســـبه مـــن فـــرط رقتـــهِ   لـــو مـــر في لهـــوات الخلـــق مـــا ســـعلوا

***

(ابـــا ســـعودٍ).. شـــفيتَ اليـــوم قـــافيتي   مـــن بعـــد مـــا ســـافرت في لحمهـــا العلـــل

بعـــض الأنـــام نـــدى والـــبعض عشـــبُ ربُّـــي   وأنـــت بينهمـــو الصـــيف الـــذي نزلـــوا

لـــو كـــان للحـــب وجـــهٌ كنـــت أنـــت لـــه   جبينُـــه الطهـــر والأجفـــان والمقـــل

ولســـت ممـــن ضـــبابُ الـــوهم ســـلعتهم   لكنـــك الفكـــر والأخـــلاق والمثـــل

مـــروءة ونقـــاء واخضـــرارُ يـــدٍ   كأنـــك الـــدين أو أيامـــه الأول

أعشـــبت حقـــل القـــوافي بعـــدما ارتحلـــت   عنـــه الجـــداول واســـتدنى لـــه الأجـــل

فكـــلُّ قافيـــةٍ بالشـــوق صـــادحةٌ   فمنـــك تشـــدو وعـــن نجـــواك ترتحـــل

أنـــت الرجولـــة في أصـــفى ملامحهـــا   كـــمْ مـــن رجـــالٍ ومـــا في جلـــدها رجـــل

لـــولا العروبـــة إخـــلاصٌ وتضـــحية   فأنـــت وحـــدك في هـــذا الـــورى الرجـــل

■ أحمد محمد آل خليفة(*) (111)

حملت عبء القوافي

أبـا سـعودٍ وقـد أزمعـتُ للسـفر أقـدمُ الشـكر في نفـح مـن الزهـر
إنـا رأينـاك نبراسًـا بكـل دجـى فأنـت للصـحب في الظلمـاءِ كـالقمر
إن اجتهـادك ربـى لا يضـيعه والله يعلـم مـا يخفـى عـلى البشـر
ووجهـك الطلـق للأصـحاب مؤتلـق فـلا نحـسُّ بقـرب منـك بالضـجر
حملـتَ عـبءَ القـوافي وهـى مرهقـةً حتـى تقطـع منـك النـوم بالسـهر
بـالله هـذا (عكـاظٌ) في مواسـمهِ أو (مربـدٌ) (112) عـاد بالخـافي مـن الصـور
فللقـوافي رنـينٌ في محافلـه كأنمـا الطيـرُ تشـدو اللحـن في الشـجر
مـاذا أقـول وشـعري لـيس يُسـعفنى لوصـفِ ممـا أراه اليـوم بـالنظر
أرى المواكـب بالأفـذاذ حاضـرةً وأمـة الشـعر مـلء السـمع والبصـر
مواكـب الشـعر مـن كـل الفجـاج أتـت وكـان هـذا لعمـري منتهـى القـدر

***

أبـا سـعودٍ لقـد حققـت معجـزةً بالشـعر أغـلى مـن المرجـان والـدرر
أحييتـه بعـدما طـال الرقـادُ بـه والشـعر كـالتبر قـد يصـفو مـن الكـدر
إني لأسـمع للأمـوات همهمـةً تكـاد أصـواتهم تـأتي مـن الحفـر
لأنهـم مـن فعـالِ منـك قـد شـعروا والميـتُ كـالحيِّ قـد يرتـاحُ للخبـر
أبـا سـعودٍ تحيـاتي أقـدمها إليـك قبـل ارتحـالي اليـوم للسـفر

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص7.

(111) الشيخ أحمد محمد آل خليفة شاعر من البحرين، ولد عام 1929م، وتوفي عام 2004م، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 1/ 374.

(112) المربد: سوق من أسواق العرب القديمة في مدينة البصرة، كانت تقام فيه مبارزات في الشعر بين جرير والفرزدق، وكان هذا السوق سوقًا للإبل، فسمي بالمربد.

■ سليمان الجار الله(*)

شاعر الوجدان(113)

يــــا شـــــاعر الإحســـــاس والوجــــدانِ	يــا مـــن يغــوص عــلى غريــب معــانِ
عبــــد العزيـــز ومـــا نظمــــت مـــؤخرًا	كلــــم أعـــاد لنـــا القـــديم الفـــاني
جــــددت عهـــد ذوي الصـــبابة والهـــوى	ممـــن مضـــوا في ســـالف الأزمـــانِ
تــــأتي لنـــــا بـــــالمفردات غرائبًـــــا	لا غـــرو إن طـــال المـــدى شـــهران
تصــف الهــوى والشــوق وصــف مجــربٍ	أودى بــــه شـــــوق وحــــب جــــاني
أنـــا حـــائرٌ فيمـــا تقـــول ومعجـــب	بــك أنـــت يـــا كنـــز القـــوافي البـــاني
إني لأعجــــب كيــــف يــــأت بمثلهـــا	مـــن كـــان مثلـــك دائـــم اللهفـــان
لـــن يســكت الـــواحي بقربــك لحظـــةً	مـــن كـــل صـــوبٍ هاتفًـــا بأغـــاني
هنـــا يقـــول الشـــعر فيـــك مرحبًـــا	بــك أنــت دون النــاس خصَّــك عــاني

***

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص254.

(113) سليمان الجار الله الحسن الجار الله : شاعر كويتي (1926–2014) نشرت القصيدة بالمجلد الرابع من ديوانه : ص252/ والقصيدة مؤرخة في 22/ 4/ 2000م.

وهنـــاك ثمـــة شـــاعر بـــك حـــائر ... يـــأتي بشـــعرٍ راقـــصِ الأوزانِ

ويقــول أيــن «جميــل»[114] أيــن «كُثيِّــرٌ» [115] ... والبــدو أهــل الإبــل أهــل الضــان

مــن شــاعرٍ عــرف الحضــارة كلهــا ... وكــذا البــداوة فهــو كالربــان

مــا شــاء ربــي لا يكــل مســافرًا ... للشــرق بــل للغــرب لــيس بــوان

فــوق الســحاب مقــره متنقــلٌ ... بالشــعر ينشــره بكــل مكــان

إن قيــل أيــن الســندباد فقــل لهــم ... هــذا هــو المشــتاق ذو الألحــان

يهــوى الغِنــا ويهــزه ويذيبــهُ ... نغــمٌ يحــرك كــامن الأشــجان

رجــلٌ إذا مــا فــاه في رنانــةٍ ... جــذب القلــوب لشــاعر الوجــدان

والشــعرُ في أنفاســه متجســمٌ ... فيمــا يقــول كطــائر الأفنــان

قــل لــلألي نظمــوا القــريض تــأملوا ... في الشــعر في الأنغــام في التبيــان

إن كــان للشِّــعرِ القــديم حــلاوةً ... فلشــعرِه شــهدٌ حَــواه الجــاني

مــا عــاش في ماضــي القــرون وأهلِهــا ... بــل عــاشَ في عصــرٍ غريــبٍ ثــانِ

إني لأعجــبُ للصــحافة عنــدنا ... مــن نشــر شــعرٍ وهــو كالهــذيان

أَوَ ذا يُعــدُّ قصــائدًا يرضَــى بهــا ... أهــل النُّهــى والعلــم والعِرفــان

تــاللهِ لا يهفــو لــه ذو فطنــةٍ ... إلا ويشــعرُ منــه بالغثيــان

فاعــذرْ أخــاك أبــا ســعود إنْ أتــى ... بعجالــةٍ في شــعره الإخــواني

---

(114) جميل بثينة (....- 82هـ) شاعر أموي.

(115) كثير عزة، شاعر أموي، توفي في المدينة المنورة.

■ **جميل ميلاد الدويهي**(*) (116)

تحية إلى البابطين(117)

تحيــة الشــوقِ يــا أهــل الكويــت، ومــا | مثــل الكويــت نــرى أهــلاً وجيرانــا
تــروى العروبــة عــن أفضــالهم قصصًــا | فــإن في أرضــهم للخيــر عنوانــا
هــم الأبــاة، الحمــاة المجــد مــن قــدمٍ | ولا يهــابون أعــداء وعــدوانا
ويــذكرُ النــاسُ في التــاريخ أنهــم | مــن جــارهم شــربوا مــرًا وأحزانــا
وقــد غضــبنا لهــم، فالخطــبُ أوجعنــا | والنــزفُ افجعنــا، والجــرح بكانــا
لكــنهم خرجــوا مــن موقــف جلــل | إلى الميــادين أبطــالاً ، وفرســانا
كمــا الصــقور إلى الأجــواء صــاعدةً | تقبــل الشــمس ، والفجــر الــذي بانــا
فحــرروا أرضــهم والأرضُ مــن ذهــبٍ | وأرجعــوا البيــتَ ، والعــز الــذي كانــا

***

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص148.

(116) جميل ميلاد ، شاعر لبناني من مواليد زغرتا عام 1960م ، حاصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، 8/ 246.

(117) القصيدة مؤرخة بـ27/ 1/ 2013م ، جامعة سيدة اللويزة – لبنان .

يــا بــابطين، لقــد أبــدعت في زمــنٍ ... مــن الجفــاف، هزيــل الفكــر، أعمانــا

فالنــاسُ في قلــقٍ، والحــربُ دائــرةٌ ... في كــل شــبرٍ، ومــا ارتاحــت مطايانــا

ســيف لســيفٍ، ورمــح طــالعٌ أبــدًا ... وقــد غرقنــا جميعًــا في خطايانــا

لكنمــا الشــعر نــورٌ، كيــف نطفئــه؟ ... وكيــف ننســاهُ في عصــرٍ ، وينســانا؟

تراثنــا الحــبُّ كــم في الحــبِّ مــن عِبــرٍ! ... والحــب ديــنٌ، ولــيس الحــبُّ أديانــا

أنــت الزرعــت لنــا حقــلاً، ففــي يــدنا ... خيــرُ المواســم تفاحًــا ، ورمانــا

يــا عاشــق الفكــر، أنــت الفكــر حاملــهُ ... إلى الشــعوبِ، وقــد نــورت دنيانــا

كتابــك الســحرُ، لا حبــرٌ عــلى ورقٍ ... بــل فيــه يرتفــعُ الإنســانُ إنســانا

***

مــا الشــعرُ؟ عــزفٌ عــلى الأوتــار.. زقزقــةٌ ... أو إنــهُ البحــرُ أبعــادًا، وشــطآنا!

إذا يَــرقُّ، فمثــلُ العطــر نســمتُهُ ... ولــو تمــرَّدَ، صــار الحــرفُ بركانــا

حبيــبُ روحــي، إذا فارقتُــه، ســكتتْ ... رُوحــي، وصــرتُ فقيــرَ الحــالِ، عريانــا

ولســتُ أمشــي عــلى دربــي، ولــيس معــي ... نــورُ القــوافي، وإلا ضِــعتُ أزمانــا

إني عشــقتُ الكــلامَ العــذبَ مــن صِــغَري ... ولــو أمــوتُ، ارتــديتُ الشِّــعرَ أكفانــا

أنــا الــذي تُشــبهُ الأبيــاتُ قامتَــهُ ... أنــا الــذي يجعــلُ الصــحراءَ بُســتانا

فكيــف تُهمِــلُ أشــعاري، وتَجْهــلُ أنْ ... علّمــتُ للطيــرِ فــوقَ الغصــنِ ألحانــا

يــا مَــنْ جمعــتَ مِــن الأســماءِ طائفــةً ... نَســيتَني فمــلأتَ الكــونَ نِســيانا

***

يهـــديكَ لبنـــانُ مـــن أَرْزٍ لـــه خَضِـــرٍ عبيـــرَهُ فاقْتَبِـــلْ منَّـــا هَـــدايانا

يُهـــديكَ ســـيفًا جمـــيلاً مـــن قصـــائدِه وكوكبًـــا في ســـماء الفكـــرِ جَـــذلانا

فمـــا النياشـــينُ تُعطَـــى للـــذي سَـــكبتْ يَـــداهُ في زئبـــقِ الغابـــاتِ ألوانـــا

كـــان الكـــلامُ ســـخيفًا ولا جـــودَ لـــه فأنـــت أعطيتَـــهُ خَـــيْلاً ومَيـــدانا

كانـــت قصـــائِدُنا كالليـــلِ عابســـةً فأنـــتَ حوَّلتَهـــا وردًا وأغصـــانا

قـالوا عـن الشـاعر المسـكينِ : كـم لَعِبـتْ بـــه المقـــاديرُ حتـــى صـــار شـــيطانا!

وأنـــتَ قلـــتَ: لـــه سِـــفرٌ يُخلِّـــدهُ وقـــد جعلنـــا لـــه في الأرضِ سُـــلطانا

هـــو الـــذي ســـحرُهُ فـــاقَ الخيـــالَ فقـــد كنـــا نعـــيشُ بـــلا روحِ ، فأحيانـــا

■ **جورج شدياق**(*) (118)

على جناح الأماني(119)

عـــلى جنـــاحِ الأمـــاني طـــارَ مغتـــرب	يحـــدو بـــه رغـــم أعبـــاءِ المـــدى أربُ
لبيـــتُ يـــا إخـــوتي بالحـــب دعـــوتكم	والقلـــبُ بـــين حنايـــا الصـــدر يضـــطرب
أتيـــتكم وفـــؤادي كـــاد يســـبقني	أمـــا ترونـــه مـــن ثنـــيِّ الحشـــا يثـــب
أعليـــتم أدبـــي شـــأنًا ومرتبـــةً	فهـــل أعـــدتْ لمـــثلي هـــذه الرُّتـــب
قـــد كنـــتُ أحســـب أن البُعـــد غيَّبَنـــي	ثنـــى المجاهـــل واســـتزرت بـــي النُّـــوب
جهـــد المقـــل.. فهـــل أجـــزى عـــلى أدبٍ	نَـــزْرٍ يبـــررُ مـــا أعطـــى ومـــا أهـــب
عفـــوًا إذا خـــانني مـــن خوفـــهِ قلـــمٌ	أو هـــي عزيمتـــهُ بعـــد النـــوى تعـــب
عـــلام أحيـــا.. ولكـــن لـــيس مـــن لغتـــي	يراعتـــي مـــن مآســـي الهجـــر تنتحـــب
شـــعري لـــه نكهـــةُ الفصـــحى وقـــافيتي	يزينهـــا التمـــرُ والزيتـــونُ والعنـــبُ
مـــن روضـــةِ الأدبِ الصـــافي عوارفُـــهُ	مـــن كـــل حـــرفٍ عطـــورٍ الضـــاد تنســـكب
رغيـــفُ خبـــزٍ وبعـــض الشـــعر يشـــبعني	لم يغـــــرني أبـــــدًا درٌّ ولا ذهـــــب
تبًـــا لأذنٍ رنـــــينُ الفلـــــس يطربهـــــا	فليبـــق لي مـــا حييـــتُ النـــايُ والقصـــبِ
نعـــم هجـــرتُ الحمـــى لا عـــن رضـــىً قســـمًا	أســـمى حبيبـــين عنـــدي: الله والعـــرب

***

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص156.

(118) جورج يوسف شدياق سوري مهجري مقيم بأمريكا اللاتينية. ولد في حلب سنة 1948م.

(119) نظمها الشاعر لمناسبة عقد الدورة الثانية عشرة للمؤسسة في سرايبفو.

أكــــرِمْ بمكتبـــةٍ ضــــمت نفائســـــنا ... الشـــعرُ فيهـــا عزيـــز الشـــأن والأدب[120]

رفعـــتم الصــــرح والأجيـــال شـــاهدةٌ ... لســـوف تـــذكر مـــا أعليـــتم الحقـــب

أنــــــرتُم بشــــعاعِ الفكـــــر موئلهـــــا ... فغـــاب عنـــا ظـــلامُ وانطـــوتْ حُجُـــب

أثنـــى عـــلى جهـــدكم والأصـــغرانِ معـــي ... أمـــا يضـــم عُرانـــا الأصـــلُ والنســـب

مــــن ذا يمــــدُّ إلى ذاك التــــراثِ يــــدًا ... وأنــــتمُ أنــــتمُ أعلامــــهُ النُّجُــــب

هــــذا هــــو الأثــــرُ البــــاقي لمعجــــزةٍ ... أعطيتموهــــا مــــن الأحنــــاء مــــا يجــــبُ

بالســـعي أحـــرزتم الأمجـــاد قاطبـــة ... فالمجـــد بالســـعي لا بـــاللهو يكتســـبُ

تراثنـــا الغُـــرُّ نـــورٌ يستضـــاءُ بـــهِ ... مـــن الكويـــتِ تطـــلُّ الأنجـــمُ الشـــهب

ســـواعدُ شـــيَّدت للشـــعر مملكـــةً ... كبـــرى، فلـــم يثنهـــا وهـــنٌ ولا نصـــب

للبـــابطين أيـــادٍ لا كفـــاء لهـــا ... يســـمو بهـــا التوأمـــان العـــزُّ والغلـــب

هـــذا النميـــرُ المصـــفى مـــن مناهلكم ... يجـري، فهـل غـاض يومًـا منهـلٌ عـذب

أعليـــتم رايـــة الآداب عاليـــة ... فـــثمَّ فـــوق الـــذرا الشـــماء تنتصـــب

بـــوأتمُ شـــعراءَ الضَّـــاد منزلـــةً ... علويَّـــةً، وطـــأتْ أعتابهـــا السُّـــحب

قـــد أرخصـــوا للقـــوافي ألـــف غاليـــةٍ ... عصـارة القلـبِ مـا أعطـوا ومـا سـكبوا

لقـــد فتحـــتم لهـــم صـــدرًا يليـــق بهـــم ... مـا ضـاق بالشـعر صـدرٌ واسـعٌ رحـب

هـــذي النفـــائسُ إرثٌ مـــن قـــرائحهم ... لم يغـــرهم أبـــدًا جـــاهٌ ولا لقـــب

نمنمـــتمُ لعيـــون الشـــعر جـــائزة ... أرضـى العروبـة هـذا العطـفُ والحـدب

عـــرائس الضـــادِ جـــذلى مـــن مـــآثركم ... يهزهـــا المترفـــان الزهـــوُ والطـــربُ

للبـــابطين أمـــاني العمـــر قاطبـــةً ... يزُّفهـــا مـــع طيـــوبِ الحـــبِّ مغتـــرب

إلى الكويـــت تحيـــاتي معطـــرةً ... فالحـــبُّ ثنـــى حنايـــا أضـــلعي لهـــب

***

(120) مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت .

أبـــا مُحسَّـــدَ ســـاحُ الشـــعر شـــاغرةٌ … فكـــل فرســـانها الأقحـــاح قـــد ذهبـــوا

أتبســـمُ الضـــاد مـــذ أزرى بهـــا هـــذرٌ … أصـــيلها مـــن مآســـي الحـــرفِ مكتئـــبِ

ثغـــرُ البلاغـــةِ قـــد غاضـــتْ بشاشـــتُهُ … ووجههـــا بالجديـــد الغـــثِّ مُنتقـــب

أيـــن البحـــورُ التـــي أغنـــتْ قصـــائدنا … هـــذا الحـــديثُ دخيـــلٌ مـــا لـــه نســـب

أخشـى عـلى اللغـةِ الفصـحى وقـد عبثـتْ … بهـــا مـــآربُ شـــتى مـــا لهـــنَّ أب

مـــن ذا تبنـــى بـــلا وعـــي طلاســـمهم … وكيـف نرضـى بمـا خطُّـوا ومـا كتبـوا

للشـــعر موعـــدُ وصـــلِ مَـــع أصـــالتهِ … أراهُ رغـــم عثـــار الـــدربِ يقتـــرب

نحـــنُّ للشـــعرِ يحيينـــا وينعشـــنا … كمـــا يحـــنُّ إلى قطـــر النـــدي العشـــبُ

يـــا ربِّ لي عـــودةٌ أنعـــمْ عـــليَّ بهـــا … فـــالمرءُ يقضـــي التياعـــا حـــين يغتـــربُ

قـــد نلتقـــي في ربـــوع البـــابطين غـــدًا … فَيـــنجلي عـــن فـــؤادي الغـــمُّ والكُـــرَب

أهـــوى الكويـــتَ فـــأهلي في مرابعِهـــا … لا لـــن تغـــارَ عـــلى شـــدياقها حلـــبُ

■ خالد الشايجي(*) (121)

البابطين(122)

لقد جئت «يا بوسعودُ»(123) للعلم عارضًا ... يصيب رواهُ الممطر الوعر والسهلا

لقد جئت في جدب الزمان وأهلهِ ... كما يفعل الودق الذي يمحق المحلا

وإنك ماضي العزم في العلم والعلا ... تشدُّ إلى أعلى مكارمها الرحلا

وتحمل همًّا للعلوم كأنما ... تساءل عن أحمال أكبرها ثقلا

ولا شيء يعلو في العلوم وذكرها ... فعالك هذي الغر والمزن والوبلا

ولو أن في الدنيا حقولاً لعلمها ... لأصبحت في آدابها ذلك الحقلا

أتبغي نجومًا؟ إنما أنت مثلها ... وتبدو إذا ما كنت في نظمها جذلى

الشمس تجري شاغلتك بنورها ... وها أنت في أعلى منازلها نزلا

وهيهات أن يأتي المعالي مسابقٌ ... يعزُّ عليه البذل من ماله بُخلا

وأنتم بني الأمجاد كنتم سلالة ... تعاهدها الرحمن في خلقه رُسلا

لتصبح بين العالمين منارةً ... وتهدي إلى أرقى شرائعه سُبلا

وحين نبذناها وراء ظهورنا ... غدونا شتاتًا رغم أعدادنا غفلى

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الأول/ ص184.

(121) خالد عبد اللطيف الشايجي، شاعر كويتي، ولد سنة 1944م . له عدد من المقالات والمؤلفات الشعرية والروائية. وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 2/ 46.

(122) القصيدة مؤرخة بـ15/ 1/ 1999م .

(123) «يا بوسعود»، أوردها الشاعر حسب طريقة النطق في اللهجة الكويتية «بُسْعُود» ، ومن ثم عوملت نحويًا معاملة الاسم المفرد.

تركنـــا همـــوم المجـــد والعلـــم للعـــدا ... لنغـــزل في لغـــو الحـــديث المنـــى غـــزلا

فجـــار علينـــا أقـــبحُ النـــاس خلقـــةً ... أذلهـــم خلقًـــا وأحقـــرهم أصـــلا

وقـــد كنتمـــو مـــن أمـــة جـــاد ربُّهـــا ... وأودع ســـر العلـــم في فكرهـــا قـــبلا

فكنـــتم بنـــاةً للحضـــارات كلهـــا ... وأول مـــن خـــط اليـــراع ومـــا يُـــتلى

أقامـــت حضـــاراتٍ عـــلى العلـــم والهُـــدى ... ومـــا بطـــرت حقًّـــا ومـــا خـــذلت عـــدلا

كـــذلك كـــانوا ثـــم جئـــتم لترتضـــوا ... بـــأن تهبطـــوا مـــن بعـــد عـــزتكم رذْلا

فـــذقتمْ كـــؤوس الـــذُّل مـــن ســـوءِ أمـــركم ... تخـــرُّ الجبـــالُ الشـــمُّ مـــن عـــارهِ خَجـــلى

وإمَّـــا تقاعســـتم عـــلى الـــذل والخنـــا ... فأيـــامكم بالمبكيـــات لكـــم حُـــبلى

وفينـــا عقـــولٌ تـــزدري بتراثنـــا ... ولا تقتـــدي منـــه بأحســـنه فضـــلا

ومـــا في زوايـــا عقلهـــا بعـــض غيـــرةٍ ... تـــدافع هـــذا الجهـــلَ أو تعمـــل العقـــلا

تُســـارع في العلـــم الـــذي لا يُنيرهـــا ... وتحمـــل مـــا يخفـــي بباطنهـــا الجهـــلا

ومـــا العلـــمُ إلا في بنـــاءٍ وهيبـــةٍ ... ومـــا العلـــم إلا قبضـــةٌ تسْـــحَقُ الـــذلا

ومـــا ضـــرنا لـــو أن للعلـــم هـــاجسٌ ... يجـــدد مـــن أمجادنـــا غـــابرًا ولَّـــى

إذا المـــال لم يجلـــب إليـــك محامـــدًا ... ولم يتجـــانفْ فيـــك للفعلـــة الفُضـــلى

ستصـــبح مـــذمومًا ويغـــدو نُفايـــةً ... تجـــرُّ إليـــك الكلـــبَ والفـــأر والـــنملا

ومـــا لـــك منـــه غيـــر نُغبـــةِ طـــائرٍ ... ومـــا لـــك منـــه غيـــر مـــا ســـاترٍ يـــبلى

***

وقـــد أدرك البـــابطين كيـــف يســـودُهُ ... فبـــادره قـــولاً وبـــادره فعـــلا

وهـــذا هـــو البـــابطين قـــد قـــام بيننـــا ... ليوصـــل هـــذا الفـــرع في أصـــلهِ وصـــلا

ويبـــذل أجـــلَّ العلـــم مـــالاً وقـــدرةً ... فـــأين أنـــا أو أنـــت مـــن هـــذه الجُلَّـــى؟

***

■ **محمد التهامي**(*) (124)

رنين الشعر

دعـــاني إلى ناديـــكَ أنـــك شـــاعرُ   تعـيشُ عـلى الأشـواق منـك المشـاعرُ
تبيـتُ مـع العشـاق في عـزة الهـوى   وقلبـك خفـاق وجفنـك سـاهرُ
تـذوب وأنـت الطـودُ حُبًّـا ورقـةً   ويحكـمُ فيـك الحـب مهمـا تحـاذر
وحسـبُكَ أن القلـب قلـبٌ لشـاعرٍ   تهـونُ إذا قيسـتْ عليـه الجـواهر
إذا صـح منـك العـزمُ فـالعزمُ قـادرٌ   وإن طـاف همـس الحـب فالحـب آمـر
ومـا السَّـيفُ إلا رقـة وصـلابةٌ   إذا اجتمعـا للسـيفِ فالسـيفُ بـاتر

***

منحـت البـوادي مـن حنانـك همسـةً   فغـارت وحنـت للغنـاء الحواضـرُ
ولم تـدرِ أن البيـد راحـةُ مـثخنٍ   يلـم جـراحَ القلـب والجـرحُ غـائرُ
وُلقـي بصـدرِ البيـدِ تحنـانَ عـالمٍ   يـذوب الأسـى فيـه وتصـفو السـرائر

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثالث/ ص595.

(124) محمد التهامي، شاعر مصري من مواليد عام 1920م، وتوفي عام 2015م. نظم القصيدة بمناسبة حفل التخرج الثاني لطلبة دورات تعلم مهارات اللغة العربية وعلم العروض التي نظمتها مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في أسوان بجمهورية مصر العربية بتاريخ 3/ 3/ 2007م، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 4/ 382.

فيــدعو شــتات الــنفس يُصــغى لهمســها ... يحاورهـــا حينًـــا وحينًـــا يُســـاير

ويســـري نـــداءُ الشـــعر عطـــرًا منغمًـــا ... فكـــل نســـيمِ طـــاف بـــالكونِ عـــاطر

تضـــن البـــوادي لا تبـــوحُ بســـرها ... وأنـــت لهـــذا الســـرِّ والعطـــرِ ناشـــر

تعـــيش مـــع الأشـــعار في عُمـــق عمقهـــا ... ولـــيس لعمـــق الســـرِّ في الشـــعر آخـــر

تضـــيء القـــوافي في عميـــق بحـــورِهِ ... وتنـــأى فـــلا يـــدنو لهـــا مُتشـــاعر

وأنـــت وقـــد أُوتيـــت في الشـــعر ســـره ... تهـــمُّ إلى مرضـــاته وتُبـــادر

وتـــدري بـــأن الشـــعر روحٌ لأمَّـــةٍ ... إذا دب فيهـــا صـــالحتها المقـــادر

ودب دبيـــب الحـــب والمجـــدِ بينهـــا ... فـــلا تشـــغلنها عـــن عُلاهـــا الصـــغائر

فراحـــت تهـــزُّ الشـــعر تُرضـــي نبوغـــهُ ... لتعلـــو بـــه في الخـــافقينِ المنـــائر

ويلمـــعُ نـــورُ الشـــعر فـــوق طريقنـــا ... ويضـــوي فـــلا يبقـــى عـــلى الـــدربِ حـــائرُ

***

ولمـــا رأيـــتَ الشـــعر يُلقـــي عبيـــره ... ويمضـــي كمـــا يمضـــي مـــع الـــريح طـــائرُ

فـــلا يـــدرك الظمـــآنُ فـــيضَ عيونـــهِ ... وإن شـــققت للظـــامئين المرائـــر

وقـــد بُعثـــر الشـــادون في كـــل أيكـــةٍ ... فـــلا تلتقـــي بـــين الشُّـــداةِ الأواصـــر

ويحلـــو رنـــينُ الشـــعر عنـــد ســـماعِهِ ... ويُنســـي فـــلا يبقـــى مـــن النـــاس ذاكـــر

دعـــاك رحيـــقُ الشـــعر فارتحـــت طـــائرًا ... كمـــا شـــدتِ النحـــل المشـــوق الأزاهـــر

جمعـــتَ رحيـــقَ الشـــعر صُـــنْتَ بريقـــهُ ... ليبقـــى كقـــرص الشـــمسِ في الفلـــكِ دائـــر

وأودعـــت هـــذا الشـــهد والعطـــر (معجمًـــا) ... فيـــا لشـــهيٍّ في المعـــاجم نـــادر

تصـــون بـــه الفصـــحى عيـــون حياتهـــا ... فـــأين مـــن (البـــابطين هـــذا) الـــذخائرُ

■ محمد عبد الله ولد عمر (*) (125)

يا عاشق الشعر

يـا عاشـقَ الشـعرِ والحـب الوريـق بـخٍ[126] بـــخٍ، يلـــف المـــدى عـــزًّا وتمجيـــدا

ســـماك في كـــل بيـــتٍ نشـــره عبـــقٌ نـــاغى بـــه الطفـــلُ إلهامًـــا وتقليـــدا

«بـــوح البـــوادي» بـــوادٍ شـــيخها غـــزلٌ تهـــزُّ أوزانـــه الصـــم الجلاميـــدا

مســـحت للضـــاد تسترضـــي لغرتـــه حتـــى أضـــاءت بـــ(نيناوي) و(مدريـــدا)

وســـرت في موكـــب التـــاريخ أغنيـــةً خضـــراء تهتـــزُّ أغصـــانًا أماليـــدا

***

يكفيـك يكفيـك قـد حـزتَ المـدى شـرفًا وســرح مســعاك في هــام العــلا شــيدا

اتـــركْ لغيـــركَ ذِكـــرًا أو ســـبيلَ عـــلا لـــك المعـــالي غـــدتْ نهجًـــا وتقليـــدًا

لم يبـــقَ مَمدحـــةٌ إلا ظفِـــرتَ بِهـــا فهـــل يُضـــامُ الـــذي يبغـــى المحاميـــدا

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثالث/ ص651.

(125) محمد عبد الله ولد عمر، شاعر موريتاني، عضو المكتب التنفيذي لرابطة الأدباء الموريتانيين .

(126) بخٍ، اسم فعل للمدح والإعجاب والرضا بالشيء، ويكرر للمبالغة.

■ **سليمان العيسى**(*) (127)

يا شاعر الناي

يا شاعر الناي .. أقداحٌ وصهباءُ؟ أم دفقةٌ .. من يمين السحر خضراءُ
لحن.. وتهمي سماوات على شفتي روضًا وعطرًا.. وتمشي فيَّ أنواءُ
وترتمي حلوةٌ في بحر قافيةٍ عطشى.. ويغتبقُ الندمانُ ما شاؤوا
وفجأة حلوةٌ أخرى.. تمرُّ على جفنيك.. فالكونُ في جفنيك نعماءُ
حناجرٌ.. تتمشى روعةً وهوى والنايُ.. نجمٌ بقلبِ الليل وضّاءُ
يا شاعري.. نحنُ في صنعاءَ .. هات لها ما قالَ بوحُكَ.. أُمُّ البوحِ صنعاءُ
أنا الذي ذابَ في أعصابها وترًا وقلتُ بعض الذي قال الأحباءُ:
تُحبُّها؟ وشوشوني، والتصقتُ بها شعثاءُ من سفر التاريخ غبراءُ
من منكم لم يجد فيها طفولتهُ وتخترقهُ – ولو لم يدرِ – صنعاءُ؟

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص315.

(127) سليمان العيسى (1921–2013) شاعر سوري ولد في أنطاكية الواقعة في لواء إسكندرون. له نحو خمسين كتابًا مطبوعًا، منها دواوين شعرية ومسرحيات شعرية، وأناشيد للأطفال، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 2/ 582.

■ **عبد العزيز جمعة**(*) (128)

دع حديثاً

دع حـــديثًا عـــن قـــدودٍ كالرمـــاحِ وتحـــدث عـــن عُـــلا قـــومٍ فصـــاحِ

أســـرة شـــرفها (قحطـــان) (129) أصـــلاً وحباهـــا كـــل أســـباب النجـــاح

عنـــدما (عائـــذُ) (130) للعـــزِّ نماهـــا قـــال هـــاكم قمـــم المجـــد الصُّـــراح

ركبـــوا للمجـــد لمـــا أن تبـــدي مـــن جيـــادِ الخيـــل والنُّـــوقِ الوضـــاح

فـــإذا هـــم في ســـما المجـــد بـــدورٌ تتبـــارى في أفـــانينِ الفـــلاح

لِبَنـــي (البـــابطين) (131) في العـــالم ذِكـــرٌ يتغنـــى فـــوق أوتـــار الرِّيـــاحِ

يترامـــى في بقـــاع الأرض طُـــرًّا ويـــدوِّي في ســـماوات فســـاح

أيهـــا الســـائلُ عـــن رفعـــةِ قـــومٍ جُبلـــت مـــنهم بأســـباب الكفـــاح

وأيـــادٍ جودهـــا غطـــى البرايـــا كغيـــوثٍ هـــاطلاتٍ مـــن دلاح

لا تظـــنن قيـــاد المجـــد ســـهلاً لســـوى الأفـــذاذ مـــن أهـــل الصـــلاح

***

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص434.

(128) الشاعر عبد العزيز محمد جمعة شاعر فلسطيني – أردني شغل وظيفة المعاون الفني لأمين عام المؤسسة منذ عمله فيها عام 1997 وحتى وفاته رحمه الله عام 2011م . من مؤلفاته : ديوان شعر «توارت في الحجاب» ، وديوان شعر يضم أعماله الشعرية الكاملة طبعته مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين بعد وفاته ، كما طبعت له أطروحته التي نال عنها درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر في كتاب بعنوان «المشهد الإنساني في الشعر العربي قبل الإسلام» .

(129) إشارة إلى أصل أسرة الشاعر عبد العزيز سعود البابطين.

(130) عائذ: اسم الجد الذي تنسب إليه أسرة البابطين وهو من نسل قحطان.

(131) التزم الشاعر اللفظ المحكي لاسم البابطين حسبما ينطقه أهل الخليج العربي بسكون الباء وإخراج الطاء ما بين الفتح والكسر.

يـــا كـــريمَ الأصـــل سـبحان الـــذي قـــد ... مـــنح الوجـــه ضـــياءُ مـــن صـــباح

يـــا أبـــا السَّـــعدِ مـــلأت القلـــب وُدًّا ... ولقـــــد آذن قلبـــــي بـــــالبواحِ

وقلـــوبُ النـــاس تبقـــى شـــاهداتٍ ... في ائـــتلافٍ واخـــتلافٍ مُســـتباح

فـــإذا كشـــر دهـــري قلـــتُ مهـــلاً ... فسـليلُ المجـدِ ذُخـري وسـلاحي

دُم رعـــــاك الله رمـــــزًا للمعـــــالي ... وبقيـــتم للوفـــا أســـمى وشـــاحِ

■ **عبد الكريم الحمصي**(*) (132)

غدوت جداولاً وظلالا

اللهُ فـــاضَ عـــلى الجمـــال جمـــالا	فغـــدا الزمـــانُ مواســـمًا وغـــلالا
عـــاد امـــرؤ القـــيس الجميـــلُ بخيلـــهِ	وعنيـــزةُ لم تنـــزع الخلخـــالا
وجميـــل(133) عـــاد بشـــعره مترنمًـــا	وبثـــينُ غنـــت للهـــوى مـــوَّالا
والمهرجانـــاتُ(134) الجميلـــة أغـــدقت	شـــعرًا يمـــوجُ سلاســـلا وســـلالا
يـــا ســـيدي عبـــد العزيـــز غـــدوت في	تلـــك الكـــروم جـــداولاً وظِـــلالا
وكأنمـــا أصـــبحت فينـــا كعبـــةً	«يـــدعو لهـــا ســـبحانه وتعـــالى»
فكأنمـــا أصـــبحتَ فينـــا رائـــدًا	يـــردُ الميـــاه عـــلى الغـــدير زُلالا
أرجعـــتَ للشـــعراء غـــابر مجـــدهم	مـــن بعـــد مـــا كـــان الرجـــوعُ مُحـــالا
فلأنـــت في وجـــه الحقيقـــة عينهـــا	قـــرَّتْ هنـــاك وحققـــتْ آمـــالا
ولأنـــت في قلـــب القصـــيدة فرحـــةٌ	نطـــقَ اللســـانُ بمـــا يحـــبُّ وقـــالا

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص442.

(132) الشاعر عبد الكريم خلف الحمصي من الجمهورية العربية السورية، ولد في مدينة درعا عام 1950م. من دواوينه الشعرية : ألحان من اليرموك، صور من صور، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين : 3/ 316.

(133) جميل بن معمر، الملقب جميل بثينة (ت 82هـ) شاعر غزلي مشهور .

(134) إشارة إلى مهرجان ربيع الشعر الذي تعقده المؤسسة بشكل دوري في شهر مارس من كل عام.

■ **عبد الله الحقيل**(*) (135)

جامع الإخوان(136)

منــــي الســـــلام لجـــامع الإخـــوانِ لجـــواد صـــدقٍ فـــاضَ بالإحســـانِ

فـــدعا جمـــوع المبـــدعين تكرمًـــا في المهرجـــان رعـــاهم بحنـــان

فلقـــد أتيـــتُ إلى الكويـــت مشـــاركًا مـــا شـــاده للشـــعر مـــن بنيـــان

لحضـــورِ حفـــلِ قـــد زهـــا بمـــودةٍ حيـــث احتفـــى بالنخبـــة الأعيـــان

بالصـــفوةِ الأدبـــاء ممـــن شـــاركوا حفـــل افتتـــاحِ شـــامخ الأركـــان

ســـعيًا لترســـيخ المعـــارف والعُـــلا وقـــراءةِ الأشـــعار ذات الشـــان

يـــزهينَ في عمـــق المعـــاني والمـــدى وبهـــا افتُتنـــا بـــالهوى الفتـــانِ

قـــدمتَ مكتبـــة لكـــل مثقـــفٍ يصـــبو لهـــا بعزيمـــةٍ وتفـــانِ

ورفعـــت فـــن الشـــعر طـــودًا شـــامخًا يعلـــو بـــذكرٍ في ربُـــا الأوطـــان

وبهـــا المعـــارفُ والفوائـــدُ جمَّـــةً حفلـــت بشـــعر دونمـــا نقصـــان

ولقـــد بـــدت في حلـــةٍ فتانـــةٍ تختـــالُ في رغـــدٍ مـــدى الأزمـــان

ســـيظل يـــذكرها الجميـــع مـــردِّدًا في كـــل عصـــرٍ بـــل وكـــلِّ مكـــان

***

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص450.

(135) عبد الله حمد الحقيل شاعر من المملكة العربية السعودية كان أمينًا لدارة الملك عبد العزيز سابقًا ، وانظر ترجمته في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: 3/ 374.

(136) قيلت القصيدة بمناسبة حفل افتتاح مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت يوم 6 أبريل 2006م .

يـــا روضــــةً غنـــى عــــلى أفنانهـــا ... دررٌ مـــــن الأشــــعار ذات بيـــــان

هــــذي الكويــــتُ اليـــومَ تفــتح بابهـــا ... والـــــودُّ تغرسُــــه بـــــذا الميـــــدان

هامــــت بهـــا نفـــسُ الكــــريم تجمُـــلاً ... فلهـــا التحيـــةُ مـــن رُبَـــا الظهـــران[137]

حـــــازت مكانًـــــا بـــــارزًا بقلوبنـــــا ... ولهـــا الـــــدعاءُ بعــــزَّة وأمــــان

فاقبــــلْ تحيـــاتي وصــــدق مــــودتي ... مقرونــــــة بالشــــكر والعرفــــانِ

ولــــك التَّهـــاني مـــن جميـــع أحبَّتـــي ... بالقلـــبِ صـــدقًا قبـــل قـــول لســـاني

وإليـــكَ تزجَـــى ألـــفُ ألـــفَ تحيـــةٍ ... تتـــرى مـــدى الأيـــام والأزمـــانِ

ولكـــل مـــن حضـــروا إلى الحفـــل الـــذي ... يـــــزدانُ بالترحيــــب والأشــــجان

حقِّـــقْ إلهـــي ســـعيَ مـــن حفلـــوا بنـــا ... فهـــمُ الكــــرامُ بشـــعلةِ الإيمـــانِ

(137) الظهران مدينة في المملكة العربية السعودية ، تقع في الجزء الشرقي من المملكة بالقرب من ساحل الخليج.

■ عبد الرزاق العسكر(*) (138)

من وحي رحلة صيد (139)

رأيــت شـــريطًا قـــد أثـــار مشـــاعري ... فمـــا بـــين مكســـورٍ ضـــعيفٍ وكاســـرِ
(حبـارى) ذهـــولٌ قـــد أصـــاب فؤادهـــا ... (وحُـرٌّ) (140) تـراه انقـض صـلبَ الأظـافر
تلـــوذ بـــأطراف الحـــزيم لعلَّهـــا ... بـــه مـــا يقيهـــا مـــن عـــدوٍّ وغـــادر
تـــرى المـــوت منقضًـــا بـــدون هـــوادةٍ ... فتســـرع كـــي تحظـــى بســـترٍ وســـاتر
(حبـارى) تراهـــا يهشِـــمُ الطيـــرُ جســـمهَا ... فتهـــوى ويغـــدو ريشـــها بالتّنـــاثر
وكـــم صـــاحبٍ للطيـــر أثلـــج صـــدرهُ ... رؤاهـــا وقـــد ذلـــت لمخلـــب طـــائر
وكيـــف لهـــا والكـــل شـــمرَ ســـاعدًا ... وأظهـــرَ ســـكينًا تعـــدُّ لكـــافرِ
حيـــاةٌ رأوهـــا في البـــراري جميلـــة ... يجملهـــا حُســـن اللقـــا بالتســـامر
فضـــاءٌ فســـيحٌ لـــيس فيـــه ســـواتر ... روائحـــهُ فاقـــت عطـــورَ المبـــاخر
وصـــحب تـــراهم في وئـــامٍ وألفـــةٍ ... إذا مـــا أتـــى ليـــلٌ أووا للمجـــامِر

(*) عبد العزيز سعود البابطين في قلوب الشعراء/ المجلد الثاني/ ص428.

(138) عبد الرزاق عبد العزيز العسكر شاعر كويتي .
(139) يقول الشاعر في مناسبة نظم هذه القصيدة: شاهدت شريطًا يحوي (رحلة صيد) للأخ عبد العزيز سعود البابطين وقد استوحيت من منظره هذه الأبيات بتاريخ 14/ 4/ 1997م.
(140) الصقر.. وهو من الطيور الجارحة.

ولكـــــنهم إمـــا بـــدا البــــردُ قارصًـــا وزادَ صـــريرُ الـــريح وسْـــط الـــدياجر

تـــراهم أقـــاموا في الصَّـــحاري خيـــامهم تقـــيهم ســـحابًا لـــو أتـــاهم بمـــاطر

فحينـــا يـــروا جـــوًّا بـــه حُســـنَ راحـــةٍ وحينًـــا يُـــرى يـــأتي بهيـــأةِ ثـــائر

هـــي الـــنفس إن تهـــوى يهـــونُ طِلابُهـــا ويســـهلُ مـــا قـــد كـــان صـــعبَ المصـــادر

***

فيـــا صـــاحبي (عبـــد العزيـــزِ) وجارَنـــا (أمـــا تســـتلذُ العـــيشَ غيـــرَ مســـافر) [141]

تنقـــلْ، ففـــي الترحـــال أنـــسٌ وراحـــةٌ ولا تـــنسَ في التِّرحـــال طيـــبَ المـــآثر

ويـــا صـــاحبي هـــذي تحيـــةُ شـــاعرٍ أتتـــكَ وفيهـــا فـــيضُ كـــلِّ مشـــاعري

(حُبـــارى) تراهـــا في الشـــريط كبيـــرةُ ولم نلـــق منهـــا غيـــرَ حُســـنِ المنـــاظرِ

(141) تناص مع بيت الشاعر معروف الرصافي:

«إلى كم تجد البين عني مسافرًا أما تستلذ العيش غير مسافر».

المــلاحق

مؤسسة

عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

بعد انطلاق مؤسسة عبد العزيز سعود الثقافية عام 1989 ، عقدت الدورة الأولى في القاهرة في السابع عشر من مايو عام 1990 ، برعاية الفنان فارق حسني وزير الثقافة المصرى الأسبق ، وقد ألقى الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين رئيس مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري كلمة في هذه الدورة قال فيها :

معالي الوزير الفنان الأستاذ فاروق حسني

الإخوة الحضور

لو قيلَ لي تمْلِك الدنيا بأجمعها	ولا تكون أديبًا يحسنُ الأدبا
لقلتُ لا أبتغي هذا بذاك ولا	أرى إلى غيرهِ مستدعيًا أربا
لجلسةً مع أديبٍ في مذاكرةٍ	أنفى بها الهمَّ أو أستجلب الطربا
أبهى إليّ من الدنيا وزخرفها	وملئها فضَّةً أو ملئها ذهبا

كان حلمًا يدغدغ مشاعري منذ صباي وقفتي هذه بينكم ، فيشهد الله بأن لكم في نفسي وملء جوانحي ولمن سبقوكم من الأدباء الأفاضل كل الإجلال والتقدير والاحترام والمحبة ، إذ كنت أمني النفس فعلاً ومنذ صغري ، وأنا أقرأ للزيّات والعقاد والرصافي والمازني وفهد العسكر والبارودي والمنفلوطي والأخطل الصغير والشابي وغيرهم من شعراء العروبة وأدبائها ، كنت أمني النفس أن أقف بينهم أو بين من يرثونهم لأسهم بوضع لبنة لعلو صرح الأدب عاليًا في وقت انحسر فيه المد الأدبي إلى أدنى مستوياته للأسف .

وإن هذا الانحسار جعلني أقارن بين حاصرنا وجهلنا التام بتراثنا العظيم وتجاهلنا المحزن له وبين ما كان يحدث منذ عهد قريب .

ففي بداية هذا القرن حيث كانت القاهرة تعج بمنتديات الأدب والثقافة تحدثنا مجلة «الهلال» بان رقاع «بطاقة» الدعوة وزعت لحضور حفل إلقاء القصيدة العمرية للشاعر حافظ إبراهيم .. قصيدة واحدة فكان عدد الواقفين أكثر من عدد المدعوين والجالسين على المقاعد . كان هذا عام 1917 رغم انشغال الناس ـ آنذاك ـ بمعرفة نتائج الحرب العالمية الأولى .

هذا ما جعلنا نفكر في هذا الإسهام المتواضع من خلال هذه الجائزة لعلنا نعيد بجهدنا بعض أمجاد الأدب العربي .

إن تقدم الأمم يقاس بنوعية معطياتها للحضارة الإنسانية من نتاج ، ولقد كان لإسهام العرب قبل قرون مضت ، ولعدة قرون ، الفضل الكبير في رفد الثقافة العالمية بالكثير من الروائع ، وعلى مختلف الميادين ، ذلك العقل العربي هو العقل العربي اليوم ، والمشاعر العربية هي هي لم تتغير ، ولكن هذا بحاجة إلى صقل عن طريق الحوافز التشجيعية والمنافسة الحرة الشريفة لتواكب مسيرة العطاء .

فلقد كان حينئذٍ ـ أيام الزهو ـ تشجيع للشعراء خاصة والأدباء بشكل عام من قبل الخلفاء والأمراء والميسورين له الأثر الكبير في تقدم عجلة الحضارة العربية حيث كانوا ينظمون المسابقات ويخصصون الجوائز ، وكانت الأسواق العربية الأدبية تقام على أرفع المستويات في المربد أو عكاظ في عصر ما قبل الإسلام .

وأتمنى أن يكون للمبادرات الخيرة التي يقوم بها ـ على قلتها ـ بعض الأفراد أو الهيئات الثقافية أو الرسمية أثر في رفع مستوى الأدب العربي إلى ما كان عليه في سالف الأزمان ، كما أتمنى مخلصًا أن تكون مثل هذه المبادرات نهجًا يتبعه القادرون ماديًا ممن أفاء الله عليهم بفيض للعمل على النهوض بأدبنا العربي من عثرته التي يعيشها اليوم .

إن إقامة هذا المهرجان الأدبي بالقاهرة يعتبر تحية ود وإخاء من الكويت وأهل الكويت وفاءً لكنانة العرب وعرفانًا بالجميل لأدباء مصر ومثقفيها ومعلميها الذي قدموا إلى الكويت والخليج العربي منذ نصف قرن ليساهموا في دفع عجلة التعليم تحت ظل ظروف معيشية كانت صعبة بينما القاهرة عروس الشرق العيش بها رغدًا .

كما أشكر رابطة الأدب الحديث ومقرها القاهرة والتي تبنت الجائزة وقررت أن تحمل اسمي المتواضع فشكري لهم بكل جوارحي ، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان لمعالي الوزير الأخ الأستاذ فاروق حسني لتفضله برعاية هذا التجمع الأدبي الذي يدل دلالة لا تقبل الشك على اهتمامه بالأدب وأهله وهو يعكس اهتمام السيد حسني مبارك بكل ما هو عربي .

ختامًا يسعدني جدًا أن أقدم تهاني القلبية للفائزين بالجوائز وأن أقول لمن لم يفوزوا بأنهم أيضًا قدموا لتراثهم ما نصبو إليه جميعًا ، فمساهمتهم هذه لها كل التقدير في نفوسنا .

ومن على هذا المنبر يسعدني أن أدعو إخواني وأخواتي في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه لأن ينضموا إلينا من خلال هذه الجائزة ويقدموا نتاجهم الفكري وإلى اللقاء في مثل هذا اليوم من العام القادم إن شاء الله .

الأوسمة الرفيعة والجوائز

التي حصل عليها الشاعر

حصل الشاعر عبد العزيز سعود البابطين على العديد من الأوسمة الرفيعة والـدروع الجـوائز تقديرًا لما قام به من جهد في ميدان الثقافة في المحافل العربية والدولية ومنها :

1ـ وسام «الاستحقاق الثقافي» من الصنف الأول من فخامة رئيس تونس في 1996.

2ـ وسام «الاستقلال» من الدرجة الأولى من جلالة ملـك المملكـة الأردنيـة الهاشـمية ، في 2001 .

3ـ جائزة الدولة التقديرية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولـة الكويـت في 2002.

4ـ وسام «الأرز» برتبة ضابط من رئيس الجمهورية اللبنانية في 2004 .

5ـ الوسام الذهبي الممتاز من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو ـ ALECSO) ، في المؤتمر الرابع عشر لوزارة الثقافة العرب في القصر الجمهوري بصـنعاء ، وكـان أول رجـل أعمال عربي يمنح هذا الوسام عام 2004.

6ـ وسام الكويت «ذو الوشاح» من الدرجة الأولى من حضرة صاحب السـمو الشـيخ جـابر الأحمد الجابر الصباح رحمه الله وناب عنه سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رئيس مجلس الوزراء (آنذاك) ، تقديرًا لإسهاماته في مجال الثقافة والتعليم محليًّا وعربيًّا ودوليًّا عام 2005.

7ـ وسام العلم والآداب الفنون الذهبي من رئيس جمهورية السودان، عام 2005.

8ـ وسام برتبة فارس من فخامة الرئيس جيورجيو نابوليتانو ، رئيس الجمهوريـة الإيطاليـة ، في مجال الثقافة وحوار الحضارات، عام 2009.

9ـ وسام الاستحقاق المدني من المرتبة العالية من جلالـة ملـك إسـبانيا خـوان كـارلوس ، تقديرًا لجهوده الثقافية في الأندلس ، والتي كان من نتائجها قرار حكومة الأندلس تـدريس اللغـة العربية في مدارسها ، عام 2009.

10ـ «جائزة توما الأكويني للثقافة» من جامعة قرطبة ، تقديرًا لما قدمه مـن خـدمات علميـة للجامعة ولحضارة إقليم الأندلس ، عام 2010.

11ـ الوسام الرفيع من سمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي حاكم عجمان ، عام 2010 .

12ـ «وسام جامعة سراييفو الذهبي» وهو ثالث شخصـية تحصـل عـلى هـذا الوسـام ، بعـد مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق ، ورجب طيب أردوغان رئـيس تركيـا حاليًّـا ، تقـديرًا لجهوده في حوار الحضارات ، عام 2010 .

13ـ وسام الشرف برتبة الكوماندوز من نوع الهلال الأخضـر القمـري مـن الـدكتور إكليـل ظنين رئيس جمهورية القمر المتحدة ، عام 2011 .

14ـ وسام البرلمان المالطي من سعادة رئيس البرلمان السيد مايكل فريندو ، تقديرًا لجهوده في حوار الثقافات ، عام 2011 .

15ـ وسام التميز رفيع المستوى على النطاق الدولي من كلية ولـدنبرج الدوليـة البريطانيـة ، عام 2012.

16ـ وسام دولة فلسطين للثقافة والعلوم والفنـون (مسـتوى الإبـداع) مـن فخامـة الـرئيس محمود عباس ، تقديرًا لإسهاماته الخيرة في دعمه للشعب الفلسـطيني ونصـرة قضـيته العادلـة ، عام 2014 .

17ـ جائزة السلام العالمية لعام 2015 من «مؤسسة البحر الأبيض المتوسـط» في إيطاليـا ، والتي نالها في السنوات الماضية على جائزة نوبل في المجالات المختلفة .

18ـ وسام الاستحقاق الرئاسي من الدرجة الممتازة في المسئولية الاجتماعية من فخامة الرئيس عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان في الحفل الذي أقامه الملتقي الإقليمي الثاني للسفراء الدوليين للمسؤولية الاجتماعية لعام 2015 في الخرطوم .

19ـ الوسام الوطني للاستحقاق الثقافي من الصنف الأكبر من فخامة الرئيس التونسي الباجي قايد السبسي ، تقديرًا لجهوده الثقافية التي بذلها حول العالم في ترسيخ ثقافة المحبة والسلام ، عام 2016 .

التعريف بالمؤلف

محمد رضوان

ـ ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية ـ محافظة الدقهلية بمصر في 15 سبتمبر 1948 .

ـ حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام 1971 وعمل صحفيًا بمجلة الهلال عام 1973 .

ـ عضو نقابة الصحفيين ـ عضو اتحاد كتاب مصر (جوال : 01006759224 (مصر 0202) .

ـ من الأدباء والنقاد الذي تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت ـ أنيس منصور ـ أحمد عبد المجيد ـ د. يوسف نوفل ـ عبد العليم القباني ـ د. مقداد يالجن ـ د. ماهر شفيق فريد ـ كمال النجمي ـ كمال نشأت ـ فاروق شوشة ـ محمد إبراهيم أبو سنة ـ حسن فتح الباب) .

ـ له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسة ، حيث عمل في سلطنة عمان رئيسًا لتحرير مجلة السراج الأدبية (1976 ـ 1977) ، (1992 ـ 1994) ، ومديرا لتحرير مجلة (النهضة) السياسية (1982 ـ 1993) .

ـ ابتدع لنفسه منهجًا أدبيًا في كتابة السير سماه (المنهج الوجداني) يجمع بين الموضوعية والعاطفية ، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي ، ولعل بداياته القصصية هي التي ساعدته في تأصيل هذا المنهج ، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد (حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ، ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه ، فتجيء ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى) .

ـ له أكثر من عشرين كتابًا في أدب السير منها : صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك ـ مأساة شاعر البؤس : عبد الحميد الديب ـ اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي ـ شاعر الأطلال ناجي ـ شاعر الجندول علي محمود طه ـ شاعر النيل والنخيل : صالح جودت ـ رحلتي مع القلم ـ عندما يحب الشعراء ـ شعراء الحب شاعر الهمسات : أحمد عبد المجيد.

ـ قام بجمع وتحقيق ودراسة :

ـ ديوان شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب (المجلس الأعلى للثقافة) ـ القاهرة 2000 .

ـ ديوان شاعر الكرنك ، أحمد فتحي (منشورات سندباد الشعر) ـ القاهرة 2007 .

ـ ديوان شاعر الجندول ، علي محمود طه (هيئة قصور الثقافة) ـ القاهرة 2010 .

ـ ديوان شاعر الحب والحرية (صالح جودت – 2012) القاهرة .

الفهرس

